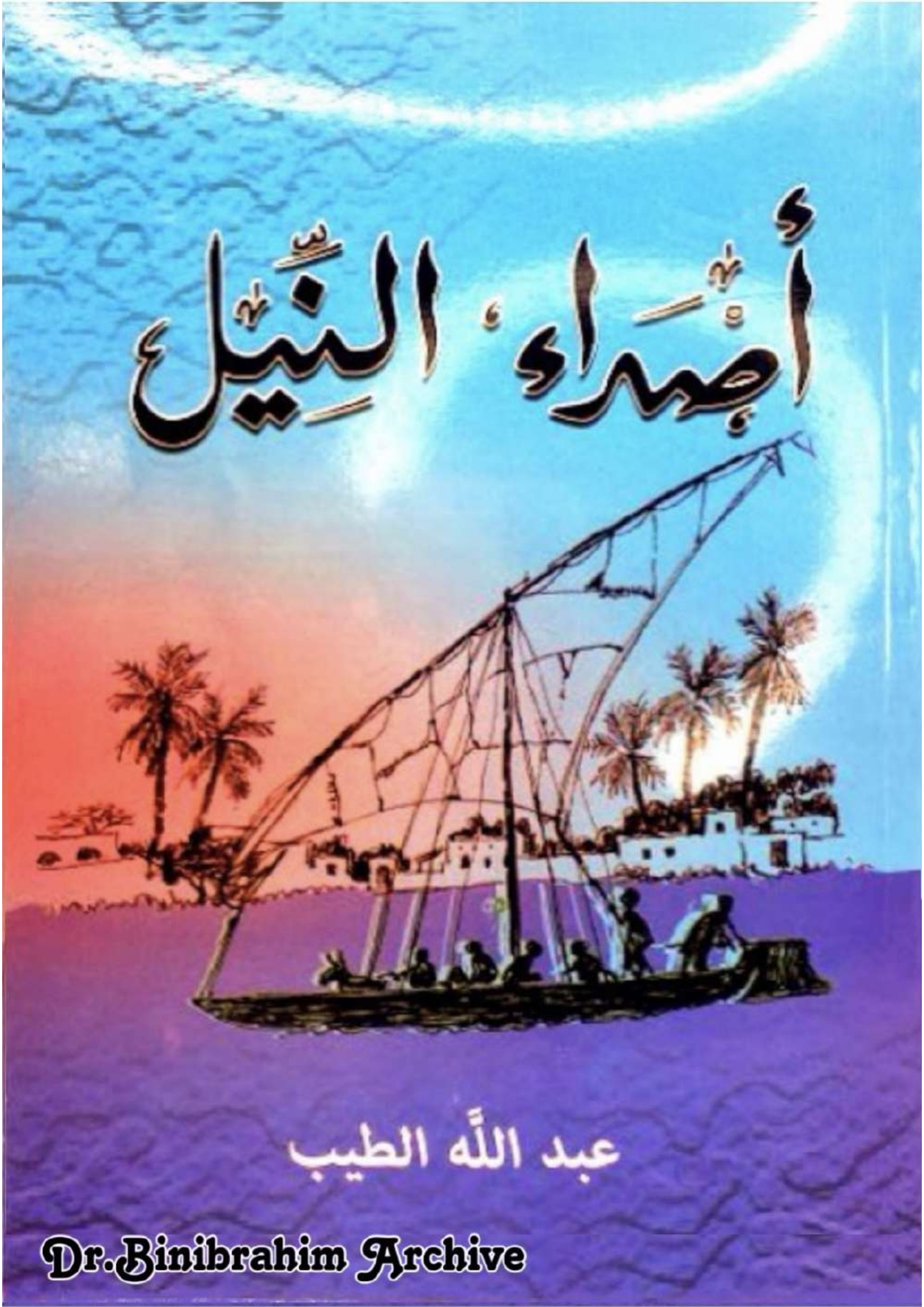

أصداء النيل
عبد الله الطيب
Dr.Binibrahim Archive



عبدالله الطيب

أصداء النّيل



دار المعـــارف بمصـــر

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر — ٥ شارع ماسبيرو — القاهرة

الإهداء

إلى الأخ السرى الأديب اللبيب السيد إسحق محمد الخليفة شريف من ظلّ وداده ثابتاً على تقلب الأيام وأبنائها – ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والشفيع المشفع يوم الفزع الأكبر وعلى آله وصحبه الطاهرين .

أما بعد فقد كنت اخترت من شعرى قطعاً متنوعات ونشرتها جميعاً باسم « أصداء النيل » فى مدينة الخرطوم حرسها الله سنة ١٩٥٧م .

ثم بدا لى أن أضيف إلى تلك الاختيارات وأحذف منها وأنشر جميع ذلك مرة أخرى من مدينة القاهرة زادها الله جمالا إلى جمالها وأسبغ نعمه ظاهرة وباطنة على أهلها .

وقد تكرمت دار المعارف فكفتنى أمر الطبع والنشر .

وهاهو ذا أصداء النيل فى ثوبه الجديد بين يدى القارئ الكريم ، فآمل أن يقع منه موقعاً حسناً ، وبالله التوفيق .

عبد الله الطيب

البابُ الأول

المقطوعات

غريب

قَضَى اللهُ أَنِّى هكذا الدَّهْرَ مُفْرَدٌ ... وما عن قضاء الله للمَرءِ مَزْحَل[1]
تَدَاوَلُنِى الأَيامُ بالمكْر وَالأَذى ... وَمالى إلا مَعْقِلَ الصَّبْرِ معقل[2]
أَلا أَيها القلب الذى ظل نابضا ... سيسكتك الدهر الذى ليس يَغْفُل
ويأَيُّها النفس اللجوج تَئيَّةً[3] ... زمانُكِ هذا بالكرام موكل
أَلم ترنى أَهْرَقْتُ[4] كأْسى بعدما ... أَكون ولى منها صديق مُعَلِّل

وداع

عَلَى عَجَلٍ ودَّعتهُا بسلام ... ووطَّنْت نفسى للخطوب أَمامى
لعل زمانا حال بينى وبينها ... مُكِنٌّ عناق فى غَدٍ ولِزَام
لقد طالما مَنَّيْتُ نفسى أَمانياً ... كلمع سَراب أَو كبرَق جَهام[5]

---

(١) أى مهرب .
(٢) المعقل هو الحصن .
(٣) مهلا .
(٤) أرقت .
(٥) الجهام السحاب الذى لا مطر فيه .

وكم جُبْتُ في الدنيا فِجَاجاً عَرِيضة ... بآمال مَشْبوبِ الفؤاد جِسام[1]
وَعُدتُّ كما قال امرؤ القيس مغنمي ... إيابي ، بعيدًا لا يُنَال مرامي[2]

الصابر

طَرِبْتُ لذكرِ النيل إذ شَطَّ مَنْزِلي ... بلندن حولي كلُّ أعْجَمَ رَطَّان
وَهَيَّجَنِي صَوْتُ البلابل صُدَّحاً ... وأسْرابُ طَيْرٍ ذي وَصِيعٍ وإرْنان[3]
أَلَمْ تَرَنِي أصْبَحْتُ في النَّاس مُفْرَدًا ... وخان وما خُنْتُ المودَّةَ خُلَّاني
وجَرَّبْتُ من دهري صُرُوفاً وزارني ... زرافاتُ أَحْدَاثٍ له بعد أُحدان
فِرَاقُ أَحِبَّاءٍ ، وثُكْلُ عَشِيرَةٍ ... وإخفَاقُ آمالٍ ، وهِجْرَةُ أوطان
فما أوْهَنَتْ مرُّ الليالي جَلَادتي ... ولا عاصفاتُ الدَّهْرِ فَلَّلْنَ صَوَّاني[4]

تَذَكُّر

١٩٤٥

تَذَكَّرَ حتى ليس بالمتذَكِّر ... وفكَّرَ حتى ملَّ طول التفكر
أَقَامَ مُقاماً ، وَيْبَ غيرِكَ ، مُوحِشَا ... فأبغض منه كُلَّ مَبْدىً ومَحْضَرِ[5]

---

(١) أي بآمال مشبوب فؤاده جسام . والجسام صفة للآمال .
(٢) قال امرؤ القيس : وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب .
(٣) الوصيع ، صوت صغار الطير .
(٤) تأنيث الفعل منظور فيه إلى تأنيث الليالي قال الآخر : مر الليالي أسرعت في نقضي . هذا ولك أن تجعل القافية « دمثن حزاني » مكان « فللن صواني » وما أثبتنا أجود .
(٥) ويب غيرك : دعاء بالويل على غيرك . وكلمة ويب مستعملة في عاميتنا ، نقول : ووب .

بعيدًا من الخُلَّان صِفْرًا نهارهُ ... من الأُنس إلَّا أُنْسَ طِرْسٍ وأسْطُر
إذ مرَّت الساعاتُ يحسِبُ أنَّها ... لِمَا كَرِهَتْها النفسُ كَرَّاتُ أشْهُر
إذا اشتدَّ حَرُّ الصيف هَبَّتْ لوافِحٌ ... من الْهَيْف تُزْجِي عِثْيَرًا بعد عِثْيَرِ[1]
وما أنْتَ والدنيا تروم نِضَالها ... وغُودِرْتَ بعد الأَهْلِ وَحْدَكَ فاصْبِر

الربيع

لقد مَلأَ الْكَوْنَ الرَّبيعُ ولم يَزَلْ ... شتاءُ فُؤَادِي لَيْلُهُ مُتَرَاكِمُ
وَقَدْ لَبِسَ الأَرْبَاءُ بالرَّوْضِ سُنْدُسًا ... وشائعَ ثَغْرُ الزَّهْرِ منهن باسم
وغَنَّتْ على الدَّوْحِ البلابلُ سُحْرَةً ... فجاوَبَهُنَّ بالْغَدَاةِ الحمائم
حَمَائِمُ وادِي النِّيلِ يَسْجَعْنَ صُدَّحًا ... بقلبك مُنْذُ الْيَوْمِ أَمْ أنت حالم
وَزَيَّنَ أَفْوَافَ الْحَرِيرِ أوانسٌ ... كَوَاعِبُ أَمْثَالُ الْحَرِيرِ نَوَاعِم
وكم يَبْهَرُ الأَلْبَابَ أَزْهَارُ رَوْضَةٍ ... ثُغُورُ الْحِسَانِ بَيْنَهُنَّ بواسم
فَلَيْتَ أمْرَأَ الْقَيْسِ بْنَ حُجْرٍ مُنَازِعِي ... عَلَى الْحُسْنِ رَاحًا عَتَّقَتْها الأعاجم
ولكنني ناءٍ غَرِيبٌ وشُقَّتي ... بَعِيدٌ ودون النِّيل بَحْرٌ خُضَارِم[2]
وآمُلُ ذُخْرًا صالحًا يَوْمَ مَنْزِلي ... بِزَوْرَاءَ تُسْتَسْقَى إليها الغمائم
وأن سَيَرَانِي كُلُّ دَهْرٍ مُخَيِّلًا ... عَلَى أَلَقِ الدُّرِّ الذي أنا ناظم

---

(١) اللوافح التي تلفح الوجه . الهيف : السموم . العثير : الغبار .
(٢) أي بحر عظيم .

تَمَلَّ قَلِيلاً زَهْرَةَ العَيْشِ قَبْلَ أَنْ … تَهُبَّ عليها من نواك السمائم
وَيأْبَى لِئَامُ النَّاسِ إلا مَكِيدَتِى … كَأَنِّى عَلَيهِمْ أَنْ تَكَرَّمْتُ جارم

كاشِرة

تَوَهَّجُ مِثْلَ الجَمْرِ وَرْدَةُ حُسْنِها … وممَّا أراها قد تزيدُ على الجمر[١]
بودِّىَ منها ما لِزامٌ ولثمةٌ … مِزَاجَ أَحاديثَ أَلَذَّ من الخمر[٢]
وتَعْلَمُ أَنِّى هائم القلب عندها … فتكْشِرُ لى كالرِّفْدِمن جانب الثَّغْرِ
ولَوْلاَ عُيُونُ الناس حَوْلى أَبَحْتُها … كَنَائِنَ لا يُبْدَيْنَ للنَّاسِ من سِرِّى
ويَمْنَعُنِى رَوْعُ الحياءِ وأَنَّنِى … يدَ اللهِ ما دَهْرُ الغوايةِ من دهرِى[٣]

الشتاء

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْلاَ حَ قَرْنُها … خِلالَ السَّحَابِ السُّحْمِ ثُمَّ تَغِيبُ
تَرَاهاعَلَى الأُفْقِ الرَّمَادِىِّ وَرْدَةً[٤] … تُطِلُّ وَرَاءَ الدَّوْحِ وَهْوَ سَلِيبُ
وَقَدْ مَلَأَ الثَّلْجُ الفِجَاجَ كَأَنَّهُ … بدارِكَ آلٌ ساطِعٌ وكثيب[٥]
ومن لك بالشمس المُضِيئَةِ بَعْدَمَا … تلقَّاك من لَيْلِ الشتاءِ رَهِيب

---

(١) مما أراها — أى من رؤيتى لها أنها على هذه الحال . ومما مقوية ومؤكدة وفيها نفس التكثير .

(٢) لك أن تنشد : « ضمة ثم لثمة » على المرة وما أثبتنا أجود ، وما زائدة على مذهب العرب . ومزاج منصوبة على المصدرية .

(٣) تقول ليس هذا من دهرى أى ليس من دأبى وديدنى .

(٤) وردة أى حمراء .

(٥) أى الثلج المتراكم أشبه شىء بالسراب الساطع والكثبان ذوات الذر فى السودان .

وَمَنْ لَكَ بالنِّيلِ الرَّخِيمِ نَسِيمُهُ ... ولِلْجِلْدِ من لَذْعِ الشَّمَالِ شُحُوب

فَسَلِّ الْفُؤَادَ بالْقَرِيضِ فَإِنَّهُ ... مُعِينٌ على الْأَحْدَاثِ حين تنوب

أَنِسْتُ لِقُرْبِ النَّارِ فى بَرْدِ لَنْدَن ... ولِلْقَطْرِ وَقْعٌ لا يَكُفُّ رَتِيب

لها بَيْنَ وَهَّاجٍ من الجَمْرِ أَلْسُنٌ ... طَرَائِقَ تَسْمُو وَشْيُهُنَّ عَجِيب

أُدِيمُ إليها الطَّرْفَ أَنْسَى بِحُسْنِها ... من الْهَمِّ آلاماً لَهُنَّ وَجِيبُ

قط بدلير

١٩٤٩

من كان يَبْغِي الشِّعْرَ غَضًّا كما تَرَى[1] ... فإن يزيدَ شاعِرٌ حقٌّ شاعِرِ[1]

له كَلِمٌ لو أَنَّ بُدْلِيرَ رَاءَها ... لأَعرض عَنْ سَوْدَائه كالدَّياجِرِ[2]

يُشَبِّهها السِّنَّوْرَ تَبْرُقُ عَيْنُهُ ... بَرِيقَ حديدٍ باتلِكِ الحدِّ باتِرِ[3]

وينعَتُها مِسْكِيَّةً عنبرِيَّةً ... لها أَرَجٌ مِثْلُ اصطفاقِ المزاهِرِ

أَنِيسَانِ قِطٌّ أَسْوَدِيٌّ وجَوْنَةٌ ... قِدَى القطِّ لولا قَلْمُها للأَظافِرِ[4]

أَعانا على رَيْبِ الزمانِ فؤادَهُ ... فغرَّد بالأَلحانِ تَغْرِيدَ طائِرِ

---

(١) هو يزيد بن الطثرية وإنما دعا إلى نظم هذه الأبيات أنى أنشدت قوله :

ويوم كظل الرمح قصر طوله ... دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

(٢) أى التى كالدياجر أى الظلمات — ولك أن تنشد « شامها » مكان « راءها » .

(٣) باتك : قاطع .

(٤) أسودى أى شديد السواد أو منسوب إلى السواد . جونة : أى سوداء . قدى القط : مثل القط

الحسود

يُعالِجُ نارًا فى الفؤادِ تُذيبه ... وَيَنْكأُ حِقْدًا فى الْجَوانح كالْقَرْح

ويَفْرى بِعَذْلٍ كالْهجاءِ جُلُودَنا ... ويَحْلِفُ أنَّ الْعَذْلَ ضَرْبٌ من النصح

أَلا إِنَّما مَنَّيْتَ نَفْسَكَ بَاطِلاً ... فَلَيْسَ الذى تَأْتِيهِ بالْخُلُق السَّمْح

وإِنَّ حَسُودًا مَنْ تَكُونُ بِقَلْبِهِ ... حَنَادِسُ رَيْبٍ لا تَئُوبُ إلى صبح

وأَذْكُرُه بالْخَيْرِ إنْ كان نائيا ... فإنْ غِبْتُ عَنْهُ نَالَ ذِكْرِىَ بالْقَدْح

بَلَوْتُكَ جَارِى فى الْمُقَامِ ونائياً ... فكُنْتَ عَلَى الشَّحْنَاءِ مُنْطَوِىَ الْكَشْح

إذا مَجْلِسُ الْخُلَّانِ أَصْبَحَ آنِساً ... مُضِىءَ الرِّحَابِ بِالْبَشَاشَةِ والمَزْح

جَلَسْتَ بَعِيدًا عَنْهُمُ مُتَقَبِّضًا ... عَبُوساً كَمَنْ أَضْحَى يُسَاقُ إلى الذبح

فإنْ ضِقْتَ ذَرْعاً بالسُّرور مَطَرْتَهُمْ ... بِنَضْحٍ من السُّمِّ الثَّمِيلِ عَلَى نَضْح

صَفَحْتُ طَوِيلاً عَنْكَ أَحْسَبُ أَنَّنِى ... أُدَمِّثُ (١) حَزْنًا من سبيلك بالصفح

وإِنَّ لسانى ما علمتَ سُلافَةٌ ... تَسُرُّ وأَحْيَاناً أَمَرُّ من الْمِلْح

المُنَى

يروم من الدنيا مكاناً ويصطلى ... بنيرانها إن النِّضالَ عنيف

ويعطو إلى ما فى الغيوب فؤادُهُ ... وللموت من خلف الغيوب صفوف

---

(١) أدمث أى أجعله دمثا .

رُوَيْدَ المُنَى ليست تقود إلى سناً سوى ظلمات هولهن يَطوف
وَصَبْرًا على ريب الزمان وقُوَّةً عليه فإن السَّيْرَ فيه وجيف

صاحب السوء

ولى صَاحِبٌ أَمَّا تَسَرُّعُ جَهْلِهِ فَيَدْنُو وَأَمَّا حِلْمُهُ فعزيب[1]
يَضِيقُ به الْأَدْنَوْنَ ذَرْعاً ورُبَّما تَثُورُ على النائين منه خُطُوب
أَخُو نَفَثَات ما يَزَالُ يَبُثُّها وفِيهِنَّ غَيْظٌ كالسِّمام قَشِيب
يَظُنُّ ظُنُونَ السَّوْءِ فى خَلَوَاتِهِ وَيَنْهَضُ لِلْعَوْرَاءِ مِنْهُ خَطِيب
عَبُوسُ الْمُحَيَّا كَيْفَ تَلْقَاهُ كَالِحٌ عَلَيْهِ من الْحِقْدِ الدَّفِينِ شُحُوب
تَحَمَّل أَعْبَاءَ الْحَيَاةِ ثَقِيلَةً وأَثْقَلُها نَفْسٌ عَلَيْهِ غَضُوب
تَجلَّلَهَا عَشْوَاءَ لَيْلٍ وَحَوْلَها مَهَامِهُ فِيها لِلْوحُوش دَبِيب
وَلَمْ أُلْفِهِ إِلاَّ يَذُمُّ خَلِيلَهُ وَيَشْمَتُ للأَحْدَاث حِينَ تَنُوبُ
وإِنَّ امْرَأً أَمْسىَ يُبَرِّئُ نَفْسَهُ وَقَدْ ضَجَّ مِنْه نَازِحٌ وقَرِيب
لَمُسْتَبْطِنٌ للْبَغْيِ والسُّوءِ ماله سوى نَفْسِهِ فِيمَا يُوَدُّ حَبِيبُ
إِلَيْكَ فإِنى لو أَراكَ على السُّها وعندك بَدْرٌ يُجْتَلَى ويغيب
لما غَيَّرَتْ نفسى عَلَيْكَ مَكَانَةٌ حَظِيتَ بها إِنَّ الحسُودَ مَعِيب
ستشقى لعمرى ما حَيِيتَ فلا تَزَلْ بِقَلْبِكَ مِنِّى جَمْرَةٌ ولهيب

---

(١) العزيب بالعين والزاى هو البعيد .

وإنَّا لأَحْرَارٌ يَهُونُ عَلَيْهِم ... ثَرَاءُ لَيَالٍ بَعْدَهن شَعُوب

وإنا لنُصْفِى الأَصدقاءَ وِدَادَنا ... إذا لم تَذُقْ طَعْمَ الوداد قلوب

ونَصْفَحُ عن عَيبِ الصَّديقِ لعلمنا ... بأَنَّا لنا مِثْلَ الأَنام عُيُوب

ذكرى النيل

بلندن مالى من أَنيسٍ ولا مال ... وبالنِّيل أَمْسَى عاذرِىَّ وعُذَّالى

ذكرتُ التقاءَ الأَزْرَقَيْنِ[1] كمادنا ... أخو غَزَلٍ من خدرِ عَذْرَاءَ مكسال

يُنَازِعُها كيما تَجُودَ وَيَنْثَنِى ... وقَدْ كَادَ مَحْبُوراً مُؤَانِسَ آمال

إذا الأَبيضُ الزَّخَّارُ هاج عُبَابه ... له زَجَلٌ من بين جالٍ إلى جال[2]

ترافقه من فوقه قَزَعُ الطَّخا ... فتَحْسبُهُنَّ الطَّيرَ تهفو لأوشال[3]

ويا حبذا تلك السواقى وقد غدت ... بأَلْحَانِ عَبْرى ثَرَّةِ العين مثكال

ونَخْلٌ إذا ما البدْرُ أَشرق خلفه ... أَطلَّ عَلَى الرائين كالعُنُقِ الحالى

وشَوْكُ السِّيالِ يَلْمَعُ النور فوقه ... طَرَائقَ مِثلَ الذَّرِّ يَلْمَعُ فى الآل

أَلا ليت شعرى هل أَبيتَنَّ لَيْلَةً ... بكُثْبان دارى والأَحبَّةُ أَحْوالى

وهل أَسْمَعَنَّ الدهر تَغْرِيدَ طائرٍ ... وبالفجرِ ترجيعَ المُؤَذِّنِ والتالى

---

(١) هما النيلان الأبيض والأزرق .

(٢) الزجل بالتحريك الصوت الشديد . والجال هو الجانب .

(٣) الطخا هو السحاب الخفيف والقزع جمع قزعة وهى قطع السحاب .

ماء النيل

ياليت أَنَّ النيل عندىَ ماؤه   فأَجْعَلَهُ وهنْاً مزاج مدامى
هناك تَحَسَّيْتُ الصِّبا وعقيبَهُ   وإن كان شاب الْحَسْوَجَرْعُ سِمَامِ
وآمُل سُوْرَ الْعَيْشِ ثَمَّ وأَنَّهُ   يُخَمّ بِهِ إِمَّا هلكْتُ حمامى

زنجية جنوبية *

وجارية ما ثَوْبُها غَيْرُ يارِقٍ   وحَقْوٍ من الأَغْصانِ والورقِ الخُضْرِ[1]
لها لَوْنُ كُحْلِيِّ الحريرِ وقدْ طَفَتْ   من الآبَنُوسِ موجتَانِ على الصَّدْرِ
فَغُضَّ سَوَامَ الطَّرْفِ واعْلَمْ بأَنَّها   عليها ثيابٌ من طبيعتها البِكْرِ
هى ابنةُ غابِ النيل كَوْثرِكَ الذى   سَقَى الحِقَبَ الماضِينَ تجرِبَةَ الدَّهرِ

كلمة غرام

بَكتْ ولها دمع طروبٌ ولاحها[2]   من الْحُزْنِ حَرٌّ راعِدٌ وصَرِيف
أَرودُ إليها النَّفْسَ ثم أَرُدُّها   ويَعْطِفُها حُبٌّ عَلَيَّ عطوف
تَمَلَّتْ حَيَاةً سَهْلَةً مُطْمَئِنَّةً   يَحِفُّ بها صدر أَغَنُّ رؤوف

---

* نظمت سنة ١٩٥٣ .

(١) اليارق : عقد من الخرز . الحقو حزام يشد فوق العجز ودون البطن . ولك أن تنشد « والورق النضر » وفى النضر تنبيه على الورق لم نرد إليه وما أثبتنا أجود .

(٢) لاحها — أى غير لون وجهها شيئاً .

وَلم تَدْرِ عَيْشِي أن فيه جَهَامَةً   وأن دِيَارِي قَفْرُهُنَّ مخوف
وأَحْبَبْتُها حُبًّا وأَمْرَعَ حُبُّها   وآواهُ نِيلٌ فى الفؤاد وريف

أعاليل

أُم درمان – ١٩٤٤ – أبريل

تَصَرَّم عَامٌ بَعْدَ عامٍ ولم تَزَلْ   تَشِطُّ النَّوَى بى عن مرامى وأنزَح
وأَصطبِحُ الآمالَ بيضاً رَوِيَّةً   وأُغْبَقُ منها وهى آلٌ وصَحْصَح
وكائنْ منى عَهْدٌ حَمِدْتُ مُضِيَّه   فيا ليت أثْنَاءَ الغُيُوبِ تُصَرِّح
فأَعلم ما تُخْفِي السُّنُونَ وطالما   فَرَتْنِيَ منها بارِحَاتٌ وسُنَّح
نُعَلَّلُ بالدنيا وزُورٌ نَعِيمُها   وتَخْدَعُنا الآمالُ بَحْرًا فَنَسْبَح
فَقُلْ لِحَبِيبِ النفسِ هَلْ أنتَ سَلْوَةٌ   إذا لفَحَ الأَحْشَاءَ هَمٌّ مُلَوِّح
رَأَيْتُكَ نَضْرَ الْوَجهِ رَيَّانَ بالصِّبا   وزَهْرُ حَيَاتِي ذَابِلٌ مُتَصَوِّح
ومثلكَ من يَغْدُو وَجَنَّاتُ حُسْنِهِ   عَلَيْهِنَّ أَطْيَارٌ من الشعر صُدَّح

الوظيفة

نظمت عام ١٩٤٤

بكيتُ على رَوْق الشباب وماوَلَّى   ولكنَّه ذاق الحياةَ فقد مَلاَّ
لعمرُكَ إنِّي يَوْمَ أَرْضَى بحَسْوَةٍ   من العيْشِ مثل السُّم تقتلُنى قتلا

أَبِيعُ لها نَفْسِى ووقتِى ولذَّتى ... وَحُرَّ شبابِى والأَمانىَّ والعقلا

لشارٍ هناك الفقْرَ والْهَمَّ والضنى ... وغَبْنَ الليالى والمهانةَ والخَبْلا

فَلو كنتَ تدعو سامعين لأَقبلَتْ ... رجالٌ يَخُوضون الْعَمَايَةَ أو تُجلى

ولكنما تدعو طَغَاماً وأَعْبُدًا ... نِيَاماً وجَرْحَى بالْمَذَلَّةِ أَوْ قتلى

وَقُعَّادَ لَيْلٍ بالنَّدِىِّ تَتُلُّهُمْ ... ضَلاَلَتُهمْ تَلاًّ وَتَرْكُلُهُمْ رَكلا

حِراصاً عَلَى كَسْبِ الدَّنَايَا أَشِحَّةً ... عن الْخَيْرِ كُثْراً حين تَحْسَبُهُمْ قُلاّ

بُغَاثاً وأَوْشَاباً ونَوْكَى وأَكْلُباً ... ونَذْلاً يُبَارِى فى خَسَاسَتِهِ نَذْلا

فَمُتْ كَمَدًا أَوْعِشْ غَبِينًا فإِنَّها ... بلادٌ تَرُبُّ الْجُبْنَ واللُّؤْمَ والْجَهْلا

كتاب
١٩٥٩

أَتانِى كِتابٌ من أَناةٍ حَبِيبَةٍ ... إلىَّ وَصَلَّ الْقَلْبُ بَيْنَ الحبائِبِ

ورُمَّانَتَا فَهْدَيْنِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِها ... وأَبْعَدُ وَصْلاً من مَنَاطِ الكواكب[1]

وأَنْتَ غَرِيبٌ فى ديارٍ غريبةٍ ... أَلَسْتَ إلى مَغْنَاكَ يوْماً بآئب

---

(١) هذا إشارة إلى حديث أم زرع (اللؤلؤ والمرجان للعلامة محمد فؤاد عبد الباقى ٣/١٩٧) — قال: « فلقى امرأة معها ولدان كالفهدين يلعبان تحت خصرها برمانتين » والرمانتان عندى نهداها والباء كما فى قول زهير « عرك الرحى بثفالها » من المعلقة. والعرب تكثر تشبيه المرأة بالظبية معها ولدها. وقالوا هذا كناية عن عظم عجيزتها حتى أن الولدين ليلعبان برمانتين تحت خصرها.

وحشة وتذكر

(فى القطار بين أسوان والقاهرة)

تَذَكَّرْتُها إِذْ أَزَّ للبَيْنِ هادرٌ ... له زَفَرَاتٌ ماتَنِي تَتَصَعَّد

أَرى الصَّخْرَ يَبْدو عن شمالى كأَنَّهُ ... قَضَاءُ الإِلهِ الرابِضُ الْمُتَرصِّدُ

ومن عن يَمِينِي رَفْرف النِّيلُ خِلْتَهُ ... لَمَاها أُنَادِيهِ مُلِحًّا ويَبْعُد

تُذَكِّرُنى الْكُثْبَانُ بَهْجَةَ وُدِّها ... إِذا ما تَغَشَّاها[1] من الْبَدْرِ عَسْجَد

وَيَلْذَعُ ثَغْرى صَادِياً طَيْفُ ثَغْرِها ... كَأَنَّ عَلَيْهِ جَمْرَةٌ تَتَوَقَّد

تَذَكَّرْتُها واللَّيْلُ تَهْزِمُ رِيحه ... وَيُرْزِم سِرًّا غُصْنُهُ الْمُتَأَوِّد

وَقَدْ مَلأَتْ صَحْرَاءَ كَأْسِكَ خَمْرَةٌ ... لَهَا نَفَس بَيْنَ الْحَشَى يَتَصَعَّد

وماتَنْقَعُ الْكَأْسُ الْغَلِيلَ وَلَمْ يَكُنْ ... لِوَرْدَتِها مِنْ وَرْدَةِ الْحُبِّ مُسْعِدُ

ألا حبذا نهر

أَلا حبَّذا نَهْرٌ تكاد غِياضُه ... لِمَا أَشْرَفَتْ من جانبيْهِ تَلاحَمَ

تَوَثَّبُ فيه كُلُّ ذاتِ مسافَةٍ ... من الحسن فيها أَنْجُدٌ وتهائم

تراهُنَّ فيه سابحاتٍ وقد حَنَا ... عليهِنَّ صَدْرٌ منه ريَّانُ رائم[2]

---

(١) الضمير فى تغشاها يعود على الكثبان .

(٢) رائم – من رئم يرأم إذا عطف ورحم ومنه أم رءوم .

وهيهات منك النيلُ فالنيل طامحٌ   يجيش ،به التمساحُ أسْحَمُ ساهمُ[١]
وسمراءُ عند النيل جاذبَ خَطْوَها   تكسُّرُها فى مَشْيِها والنسائمُ[٢]

عزاءك

عَزَاءَكَ من هذا الزمان فإنَّهُ   عَدُوُّ الكرامِ خِلُّ كُلِّ لئيم
وكم لى خَلِيلٌ كنتُ أَرْقُب وُدَّهُ   لدهرٍ فَرَى بالنائبات أَدِيمى[٣]
فلم أُلْفِ إلا خائنًا أو مُبَهْرَجاً   من الْمَيْنِ ذو مُسْتَطْرَفٍ وقديم[٤]
غَرِضْتُ من الدُّنْيَا فَحَسْبِى زُجَاجَةٌ   من الْخَمْرِ رَيًّا والْقَرِيضُ نَدِيمى[٥]
وقَلْبٌ أَبِى إلا عُزُوفاً عن الخنى   ونَفْسٌ عَلَى ما شَانَ غَيْرُ رَؤُومِ[٦]
أُدَارِى لِئَامَ النَّاسِ حَوْلى وأَتَّقِى   أَذَاتَهُمُ مِنْ مُبْعَدٍ وَحَمِيمِ
وَأَعْلَمُ أَنِّى مِنْهُمُ وَسَرِيرَتِى   سواهُمْ وأَدْنَاهم إلَىَّ غَرِيمى
بُلِيتُ بِهِم بالرَّغْم مِنِى وحَاطَنِى   عَقَارِبُ مِنْهُمْ نافثاتُ سُمُوم
ولَوْ أَنَّنِى أُوتِيتُ أَمْرًا عليهم   أَبَرْتُهُمُ من ظَاعِنٍ ومقيم[٧]
وَكَانَ بهم نُوحٌ وأُوتِىَ رَحْمَةً   وَهَدْياً من الرَّحْمٰنِ حَقَّ عليم

---

(١) أسحم ساهم ، أى أسود عابس ، وهذا نعت مقطوع ، للتمساح . ورفعه من أجل هذا ! كما فى قول النابغة :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة   من الرقش فى أنيابها السم ناقع

(٢) ولك أن تنشد « جاذب ثوبها » وما أثبتنا أجود .

(٣) خليل بالرفع كما قال الفرزدق كم عمة لك يا جرير . . . البيت .

(٤) إن شئت نصبت « ذا » والرفع أجود للتأكيد الذم بجعل النعت مقطوعاً .

(٥) غير رءوم : غير عاطفة .

(٦) أبرتهم : أهلكتهم .

أَفِقْ

أَفِقْ فهِىَ الأَقدار لَيْسَ بدافعٍ   شباها تَوَقٍّ سابق أَو تَحَسُّر
وإِنك لا تدرى أَحيًّا مُنَعَّمًا   تكون غدًا أَم أَنْتَ خَزْيانَ تُقْبَرُ
أَما تَتسلى أَو تَصبرُ رُبَّما   يُفَرِّجُ لَيْلَ الغُمَّةِ المُتَصَبِّر

خب وهود

أم درمان ١٩٤٥

أَجِدَّكَ مَا آسى على فَوْتِ فائتٍ   ولا أَحْسُدُ الأَدْنَيْنَ أَن غَنِمُوا غُنْما
فَأَفْرَحُ فى فَوْزِ الصَّدِيقِ ولا أُرَى   أَمُوتُ لما فَاتَ الْعَدُوُّ بِهِ غمّا
إِذا ماذَنَا خِلِّ فَإِنِّىَ فارِحٌ   بِهِ ومُلَقِّيهِ الْبَشَاشَةَ والْحِلْما
وإِن غَابَ عَنِّى كُنْتُ حَافِظَ سِرِّهِ   وأَدْفَعُ عَنْهُ مَنْ يُحَاوِلُهُ ظُلْما
فَإِنْ تَكُ مِنْ بَعْدِ الْوِدَادِ حَسَدتَنى   فذلك خُلْقٌ قَدْ عُرِفْتَ بِهِ قِدْما
جزى اللهُ خَيْرًا صاحِبَىَّ فَقَدْ غدا   شَرَابُهما مِمَّا تُقَطِّرُهُ سُمّا
هُمَا صبرًا صَبْرًا عَلَى ماغَدَوْتَ أَو   تَرُوحُ بِهِ لا تَتَّقِى اللهَ والإِثْما
فَخُبَّ وهَوِّدْ وارْمِيَنِّىَ جَاهِدًا   أَلا إِنَّما تَرْمِى السِّمَاكَيْنِ والنَّجْما[1]

---

(١) النجم تطلقه العرب على الثريا . خب وهود : أسرع وأبطىء ما شئت .

ليسداس *

لقد مات ليسيدَاسُ فى عنفوانه ... ولَيْسَ له فيمن نَرَى من مماثل

فمنذا الذى لا يَبْعَثُ الشعر رَنَّةً ... تنوح على من كان صِنوَ البلابل

يعزُّ على المحزون أن صار قبرُهُ ... لدى ثَبَجٍ رهن الرياح الجوافل[1]

غريباً ولا تجزيه عَيْنٌ ثوابه ... من العبراتِ والدموع الهوامل

أَحُورَ الأَواذِى أين كنتُنَّ إذ طَوَى ... زمانُ النَّوى ربُّ الهوى فى المجاهل

وغُودِرَ من تُصْفِينَهُ الودَّ كلَّهُ ... لِسيداسُ فى أَعماق يَمٍّ مخاتل[2]

لذات الشباب

أم درمان ١٩٤٥

يقولون لى ماذا تريدُ من الْعُمْر ... سوى المال والْغِيدِ النَّواعِمِ والخَمْر

أَجَلْ تلك لَذَّاتُ الشَّبَاب ورُبَّما ... وَصَلْتُ إِلَيْهابَعْدَسَيْرٍ عَلَى الجمر

وَكَيْفَ أَلَذُّ الْعَيْشَ رِفْهًا شُرُوعُه ... وخِلِّى مَطْوِىُّ الضُّلُوعِ عَلَى غِمْر[3]

أَأَسْقِيهِ مَحْضَ الْوُدِّ شُهْدًا مُشَعْشَعًا ... وَيُطْعِمُنى كَأْساً أَمَرَّ من الصَّبْر

---

* اسم قصيدة لجون ملتون رثى بها صديقاً له مات غريقاً وقد ترجمتها وهذا اختيار من الترجمة . وسائر الترجمات هنا اختيار من كتاب وضعته وآمل أن أصدره .

(١) الثبج : لج البحر .

(٢) يم مخاتل : بحر غادر .

(٣) الغمر بكسر الغين هو الحقد .

أَنا المرءُ لا آسى على فَوْتِ فائتٍ ولا أَرْقُبُ الأَحَدَاث إلَّا عَلَى حِذْر
وأَعْدَدتُ للأَيَّام صَبْرًا عَلَى الأَذى وأَجْزِىَ مَحْمُودَ الصَّنَائع بالشُّكر[١]
وإنى لأَسْتَحْيِى من الْهُجْرِ والْخَنَى إذا ما رَمَانى ذو الْعَدَاوَةِ بالهُجْر
خُلِقْتُ كَرِيمَ النَّفْسِ مَحْضاً ضَرِيبَتِى إذا خَلَطَ الْقَوْمُ الرِّيَاءَ مع المَكْرِ

تشاخبر

نَشَا خَبَرٍ سارٍ مع الليل مُنْجِدٌ وعند هُوِىِّ النَّجْمِ مِنْهُ مُغَوِّرُ
تَشَاخَبَرٍ يُسْدَى وَيُلْحَمُ فَهولا يزالُ على التكرار يَرْبُو ويكثُر
ينالُ به لحْمَ البرىءِ معاشِرٌ سباعٌ على لحم البرىء وأَنْسُر
وزارك مِنْهُ زائرٌ فَحَجَبْتَهُ وأَنْتَ عن النكراءِ والمَيْنِ أَزْوَر

رنا قلبي

١٩٤٦

رَنَا قَلْبِى إلى رَوْضٍ عَزِيبِ وغاباتٍ كأَسْتَارِ الغيوبِ[٢]
وَيَوْمٍ باسِمٍ طَلْقٍ دَفِىءٍ كَمَضْجَعِ مُوسِرٍ غَضٍّ رَحِيب

---

(١) أجزى منصوبة بأن مضمرة لمكان العطف على المصدر ومثل هذا قول الآخر — إنى وقتلى سليكاً ثم أعقله .
وراجع باب أن فى كتب النحو .
(٢) عزيب : بعيد .

فَنَسْتَلْقِى عَلَى الْأَعْشَابِ نَحْسُو بِهَمْسِ الْحُبِّ تَلْهِيَةَ الْحَبِيبِ
وَيُشْجِينَا من الْمِجْدَافِ لَحْنٌ يَئِنُّ كَأَنَّهُ شَكْوَى النسيب[1]
رَنَا قَلْبِى إِلى لَيْلَى وَتَاقَتْ إِلَيْهَا النَّفْسُ مِنْ بَوْنٍ عَزِيب
وَلَيْلَى كالصَّبَاحِ سَرَتْ إِلَيْهِ ظِلَالُ اللَّيْلِ فى الشَّفَقِ الْخَضِيب
وَلَيْلَى كالأَصِيلِ دَنَا فَوَشَّى طِوالَ النَّخْلِ بالنِّيلِ الخصيبِ
تُطِيلُ الصَّمْتَ يَغْمُرها حَيَاءٌ كدُونِ الْخَمْرِ فى الْكَأْسِ الطروب
وَلَيْلَى لا يَكُونُ لها حَدِيثٌ سوى النَّغَمِ الْحَبِيبِ إلى القلوب
لها عِقْدٌ من الذهبِ الْمُصَفَّى مُحَلًّى بالْمَسِيحِ وبالصَّليب
يَشِعُّ بِنُورِهِ نُورًا عَلَيْها وَيَكْسُو الْحُسْنَ بالدِّينِ الرَّهِيبِ
وَهَلْ أَنسَى حَيَاتِىَ إِذْ تَهَادَتْ بِقُرْبِ (المال)كالأَملِ القريب[2]
تَلَقَّاها بَهَاءُ النُّورِ يُضْفِى عَلَيْها كُلَّ سِحْرٍ مستجيب
تَصِيرُ بَنَفْسَجًا وتَصِيرُ وَرْدًا وتَغفُو والْجَمَالُ يَقُولُ تُوبِى

ياليل

١٩٤٩ (لندن)

يَالَيْلُ ما تَنْجَلِى عَنِّى عَمَايَتُه هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إلى فَجْرٍ وإِسْفار
هَلْ مِنْ نَجَاةٍ وما زَالَتْ تُقَيِّدُنى إلى الرَّزايا صُرُوفٌ ذاتُ أَقْدار

(١) أعنى النسيب الذى فى الشعر لا النسيب بمعنى القريب فى النسب .
(٢) المال — موضع .

فَقَدْ صَبَرْتَ وَمَا يُجْدِيكَ مُصْطَبَرٌ   كَأَنَّ دَهْرَكَ طَلَّابٌ بِأَوْتَارِ[1]
بَاتَ الْخَلِيُّونَ نُوَّاماً وَبِتَّ أَخَا   حُزْنٍ وَهَمٍّ عَتِيدٍ زَنْدُهُ وَارِي

دعهم

لندن ــ ١٩٥١

دَعْهُمْ جَمِيعاً فما فى وُدِّهِمْ أَرَبُ   وَإِنَّما وُدُّهُمْ مَكْنُونُهُ كَذِب
لَقَدْ صَحِبْتَهُمُ دَهْرًا فَمَا حَدِبَتْ   مِنْهم عَلَيْكَ أَوانَ الْحَاجَةِ الحُدُب
فَلَسْتَ مِنْهُمْ وَلَا هُمْ مِنْكَ فِى خُلُقٍ   هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لاقُرْبَى ولانَسَبُ
وما طِبَاكَ عَلَى بَرَّاقِ رَوْنَقِهِ   من الخَبَائِثِ ما أَمُّوا وما كَسَبوا
لَسَوف أَبْكِى عَلى أَيَّامِ لَنْدرَةَ   كمَا دموعِى عَلى ما قبْلها سُكُب
يَالَيْتَ شِعْرِى إِذا وَلَّى الشَّبَابُ فَهَلْ   يَكُونُ لِى بَعْدَهُ فِى عِيشَةٍ أَرَبُ
فَإِنَّهُ إِنْ مَضَتْ عَنَّا بَشَاشَتُه   مات الهوى كلُّه واللَّهْوُ واللَّعِب

لا تـأس

الخرطوم ــ ١٩٥٤

لاتَأْسَ فالنَّاسُ أَعْدَاءُ اللَّبِيبِ وَكَمْ   قَدْ أَنْذَرَتْكَ فَلَمْ تَحفِلْ بها النُّذُر
وَكَمْ صَبَرْتَ عَلَى مُرِّ الْحَوَادِثِ وَالْ   حُرُّ الْكَرِيمُ عَلَى البأساء يصطبر

---

(١) المصطبر مصدر والأوتار هى الثارات .

وَكَمْ وَمِقْتَ صَدِيقاً بَيْنَ أَضْلُعِهِ ... جَمْرُ الْعَدَاوَةِ لا يَنْفَكُّ يَسْتَعِرُ
وَكَمْ حَلُمْتَ فَظَنَّ الْقَوْمُ حِلْمَكَ مِنْ ... عَجْزٍ وَمَا قَدَرُوا أَنْ سَوْفَ تَقْتَدِر
وناصِحٍ لك وارى القلبِ من حَسَدٍ ... يَبْغِي أَذاك فما يُبْقِى ولا يَذَرُ
أَوْلَيْتَهُ منك سَمْعَ الْمُطْمَئِنِّ له ... وقد تَطَايرَ من مكروهِهِ الشَّرَر
هُمُ العَدُوُّ لَهُمْ كَيْدٌ وأَلْسِنَةٌ ... يَنْفُذْنَ بالْوَخْزِ مَا لاَ تَنْفُذُ الإِبَر
يَاأَيُّهَا الْوَطَنُ السَّاعى تُدَفِّعُهُ ... كَفُّ الْخِيَانَةِ والأَعْدَاءُ والقَدَرُ
قَدْ نَامَ أَبْنَاؤُهُ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ... أَمَّا الْخَنَى فَعَلَى كُثْبَانِهِ سَهِرُوا
إِنِّى كَمِثْلِكَ أَبْغِى النَّصْرَ مجتهدا ... وكَيْفَ بالنِّصْرِ لا عَوْنٌ ولا وَزَرُ

ساقط

رُبَّتَ ساقِطٍ من رهطِ سوءٍ ... كَنُودٍ لا يُشَاكِلُه الجميلُ
يُتَاحُ لمجلس النُّدَماءِ وَغْلاً ... فَيُقْسِمُ لا يكون له زَويل[1]
وقد دَرِب الوشاية ذا فُنُونٍ ... له فيها وسيج أَو ذميل[2]
ويحسب أَنَّهُ مالٌ ومَجْدٌ ... وَقِدْمًا سُرَّ بالذُّلِّ الذليل

(١) الوغل هو الداخل على أهل الشراب من غير أن يدعى أو يشارك والزويل كالزوال .
(٢) الوسيج والذميل ضربان من السير .

الجزالة

لندن ــ ١٩٥٠

مَالَكَ والْجَزَالَةَ فِى زَمَانٍ ... يُحَبُّ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ الْهَجِينُ[١]

تُبِينُ بِهِ وَلَيْسَ له سَمِيعٌ ... وَينْظِمُه سِوَاكَ فلا يُبِين

فَإِنَّ ذَوِى الْجَزَالَةِ قَدْ طَوَاهُمْ ... لَدَى غَبْرَائِهِ الزَّمَنُ الْخَئُون

فَلَيْتَكَ لَمْ تَكُنْ إِذ أَنَّ غَبْنًا ... مَكَانُك بَعْدَما دَرَجَ الْقُرُون

وَلَيْتَكَ حِينَ كُنْتَ خُلِقْتَ مِنْهُمْ ... تَمِينُ مَعَ الزَّمَانِ كَما يَمِينُ

انجيل الشعر

١٩٤٩ ــ لندن

تَخِذْتُ الشِّعْرَ إِنْجِيلاً فَأُلْفَى ... أُرَتِّلُه عَلَى الْكَأْسِ الرَّذُومِ

عَزَاءُ النَّفْسِ إِنْ دَجَتِ اللَّيَالِى ... وإِنْ ثَقُلَتْ مُمَارَسَةُ الْخُصُوم

وَدَمْعِى حِينَ جَفَّ الدَّمْعُ عَجْزًا ... عَنِ الإِسْعادِ لِلْقَلْبِ الْكَلِيمِ

فَأَقْرَأُهُ وأُنْشِدُهُ وأُمْلِي ... غَرَائِبَهُ عَلَى الطِّرْسِ الْكَتُوم

فَرَائِدُ بَلْ خَرَائِدُ مُحْصَنَاتٌ ... فَمَا يُبْرَزْنَ إِلاَّ لِلْكَرِيم

وَمَا إِنْ مَهْرُهُنَّ سِوى وِدَادٍ ... يَجُودُ بِهِ الْحَمِيمُ إِلى الحميم

---

(١) البيت الأول فيه الخرم وهو حذف المتحرك الأول وإن أردت إقامة الوزن جئت بواو هكذا (ومالك) ولا معنى لنحو هذا . والخرم سبيل سابلة فى الشعر .

رَأَيْتُ النِّيلَ يَلْمَعُ فى خَيَالى تَرِفُّ عَلَيْهِ أَزْهَارُ النُّجُوم
بِلَنْدَنَ إِذ نَدِيفُ الثَّلْجِ حَوْلى وللنَّكْبَاءِ لَذْعٌ فِى أَدِيمِى

تذكرت البداوة

لقد طال المطال علىَّ أَرجو لقاءَكِ يا أُمَيْم ويا أُماما
تذكرتُ البداوة فى ديارى وأَياماً سعدتُّ بها غلاما
وهَافِيةَ الفؤادِ إلىَّ بكرًا على إشراقها شَجْوُ اليتامى
وأَىٌّ الزائرَيْنِ أَلَمَّ داوٍ بخَمْر جمالِهِ هذا الهياما

مأساة سرتسى خاما

لندن ١٩٤٩

لعَمْرُكَ إِنَّ مالَقِى ابْنُ خاما عَشِيَّةَ قَوْلِهِمْ أَلاَّ يَعُودا
لَمَوْعِظَةٌ لِكُلِّ فَتىً رَشِيدٍ وَمَنْ لَكَ أَنْ تُحِسَّ فَتىً رَشيدا
أَرَى أَتْلِىَّ والعُمَّالَ ضَلُّوا ضَلالاً لاَ مَنَارَ بِهِ بَعِيدا
فَيَا تَبًّا لَهُمْ تَبًّا وَلاقَوْا .كَمَا لاَقَى الأَوَائِلُ مِنْ ثمودا



هى الأيام

لندن ــ ١٩٥١

هِيَ الْأَيَّامُ تُسْعِدُ كُلَّ غِرٍّ وَلاَ يَشْقَى بِهَا الْفَدْمُ الْغَبِيُّ
ولكنَّ الشقيَّ بِها كَرِيمٌ يَكُونُ سَبِيلَهُ الْحَقُّ السَّوِيُّ
سأَبكى لَنْدَناً إِنْ سِرْتُ عَنْها وَيَبْكِينِى بِها الْخِلُّ الْوَفِىُّ

الإسلام

١٩٤٤

تَبَصَّرْ هل ترى الإسلامَ إلاَّ مَهِيضاً أَوْ كما يُذْرى الهشيم
تَلَغَّمته ما الديارُ له ديارًا[1] فقد ذهب الموالى والصميم
لقد تركَتْهُ أَحداث الليالى ضعيفاً مِثْلما تُرِكَ اليتيم
تَذَكَّرَ خالدًا وأَبا تُرَابٍ وعِزًّا كان لو عزٌّ يدوم
فأَسْبَلَتِ المدامعُ واكفاتٍ كأَنَّ قَضِيضَها خَرَزٌ فصيم[2]

---

(١) ما حجازية .

(٢) فصيم : مفصوم وإذا انفصم الخرز تناثر .

الثورة المصرية

١٩٥٢

أَوَمَا تَرَى رَوْضَ الكنانةِ جادَهُ ... جَوْدٌ غوارِبُهُ مِلاءٌ حُفَّل[١]
غَيْثٌ من الله الكريم نِطَافُهُ ... خفْضُ الرعيَّةِ والفلاحُ الْمُقْبِل
من بعد ما جار الأَميرُ وأُسْعِط الذُّ ... لَّ الفقيرُ وأَعْوَزَ الْمُتَحَوَّل[٢]
من بعدما أَمِرَ الطُّغاة وأَيقنوا ... أَن نام عنهم طَرْفُ من لا يغْفُل[٣]
قد أَسفر الإِسلامُ بعد تَحَجُّبٍ ... ورأى سناهُ المسلمون فهَلَّلوا
وتبادروا آيَ الكتاب فأَقبلوا ... من بَعْدِ نسيانٍ لهن فرتّلوا
وكأَنَّما رُفِعَتْ فجاءَ بِوَحْيِها ... جبريلُ من عليائه يتنزَّل

خَمْرُ البيان

أَلْقَتْ إِلىَّ شيوخَ يَعْرُبَ سِرَّها ... فأَنا المُجَلِّى فى البيان الأَول
أُوتِيتُ كُلَّ كريمةٍ مكنونةٍ ... غَرَّاءَ فيها الجوهر الْمُتَنَخَّل
حُسَّانَة ما راءَ مثل جمالها ... غُمْدانُ قصر التُّبَّعِينَ وَمَوْكَلُ
خمرٌ من الشِّعْرِ الرصين خَبَأْتُها ... ما مِثْلُها الْبَرَدانُ أَو قطربُّل

---

(١) الجود هو السحاب الغزير . غواربه : أعاليه . حفل : ممتلئة وأصله من الضرع الحافل .

(٢) المتحول : المكان الذى يتحول المرء إليه .

(٣) أمر : بطر .

أُغْلِي بها إغلاءَ من هُوَ عارِفٌ   بخَبِيئها إن رامها من يجهل
وأصونها حتَّى يعزَّ منالها   وأُبيحُها يوم الفخار فأُجْزِل

برئت

١٩٤٤ – (أم درمان)

بَرِئْتُ مِن الْمَذَلَّةِ والنِّفَاقِ   وَمِنْ رِجْسِ الْعَدَاوَةِ والشِّقَاق
ومن بَيْعِ العقائدِ غالياتٍ   وَلَمَّا تُرْوَ بالْعَلَق الْمُرَاق
ومن وَطَن يَظَلُّ الحرُّ فيه   من الْكَمَدِ الْمُبَرِّحِ في وثاق
صَدَدتُّ النَّفْسَ عَنْ مَرْعىً وَبِيلٍ   وَخِيمِ الْغِبِّ مَعْسُولَ الْمَذَاقِ[1]
وآثَرْتُ الخُمُولَ عَلَى ظُهُورٍ   تكونُ به الْمَهَانَةُ من خَلاَقِ
وما شَرَفُ التَّصَدُّرِ فى قَطِيعٍ   من الْأَنْعَام والنَّقَدِ الدِّقَاق[2]
فَقُلْ لِلْمُدْلِجِينَ عَلَى سَبِيلٍ   أَعَدَّتْ نَهْجَها أيْدِي حَلاق[3]
بَكَيْنَاكُمْ وأَقْبَرْنَا لَدَيْكُمْ   ذَخَائِرَنا من الْأَمَل الْبَوَاقِي
ولَوْلاَ أَنْ يَذِلَّ بنا اغْتِرَابٌ   فَنَخْزَى باكْتِسَاب وارْتِزاق
لَهَاجَرْنَا الْبِلاَدَ وإنَّ فِينا   هَوىً بَرْحاً ونيرانَ اشْتياق
رَضِينَا أَن نُقِيمَ بها وَنَشْقَى   ونُسْقَى من مَصَائِبِها الدِّهاق

---

(١) أى حال كونه معسول المذاق .

(٢) النقد بالتحريك ضرب من شرار المعزى وصغارها .

(٣) حلاق ، هي المنية والهلاك ، قال المهلهل :

ما أرجى فى العيش بعد نداماى جميعاً سقوا بكأس حلاق

وَنَشْرَكَ عَيْشَها وبنى أَبينا وَنَلْقَى من أَذاها ما نلاقى
فيا عَجَبًا لِمَخْدُوعَين أَمْسَوْا تباروْا للدَّنَايَا فى سباق

شراهة مارى

إنى تُحَيِّرُنِى شراهَةُ مارى تَسْتَنُّ فى الرُّغْمانِ كالْمِنْشار
وتشيد مضروب البطاطس قُبَّةً وتهدُّها كالمارد الجبّار
وإذا اشْتَوَتْ لحماً فقُلْ فى لَبْوَةٍ فَرَّاسةٍ مخضوبة الأَظفار
مَقْذُوفَةٌ بالنَّحْضِ أَتْرَز نَيُّها بَيْنَ المعامل كَدْحُ كلِّ نهار[1]
ولقد يُشَوِّقُهُ إلى مكتومها شَعْرٌ لها قد شَعَّ مِثْلَ النَّار

ذكرى

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ والأَصِيلُ مُرَنَّقٌ والشَّمْسُ مِثْلُ الْحَائِرِ الْمِجْفَالِ
والنِّيلُ سَاجٍ كَالْحَزِينِ وَكَلَّلَتْ شَطَّيْهِ كُلُّ حَزِينَةٍ مِثْكَالِ
فَوَدِدتُّ لَوْ أَنَّ الزَّمَانَ مُسَاعِفِى بِكِ سَعْيُهُ يَا غَايَةَ الآمَالِ

رسم الحادثات

وَلَقَدْ رَأَيْتُ النِّيلَ يَهْدِرُ مَوْجُهُ وَشِرَاعُ زَوْرَقِهِ يَغُورُ وَيَعْتَلِى

---

(١) مقذوفة بالنحض : كثيرة اللحم كأنما قذفت به ، والنى : الشحم وإترازه تقويته . وكلا مقذوفة بالنحض ومترزة كان يذكرهما القدماء فى نعت الإبل .

وَالْبَدْرُ فِى الْخَضْرَاءِ أَبْلَجُ بَاهِرٌ ... وَالضَّوْءُ رَفَّ عَلَى غُضُونِ الْجَدْوَلِ
فَوَدِدْتُ أَنْ لَوْ كَانَ شَاهَدَ بَعْضَ مَا ... أَعْطَى وِصَالُكِ فِى الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
وَإِذَنْ لَكَانَ نَجِىَّ سِرِّى كُلَّمَا ... خَفَقَ الْهَوَى مِنْ وَلْيِكَ الْمُتَخَيَّلِ
وَالْمَرْءُ رَسْمُ الحادثاتِ تَرُوحُهُ ... من أَيْمُنٍ وَتَرُوحُه من أَشْمُلِ[1]

الخيال الطارق

طَرَقَتْ كما زار الْخَيَالُ الطارِقُ ... ولها مُحيًّا فى الدُّجُنَّةِ بارق
من غير ما وَعْدٍ سوى أَنِّى لها ... والْحُبُّ لا يَخْفَى - مُحِبٌّ وامق
ولقد ترى مابِى وأَكْتُمُ سِرَّهُ ... فَيَنِمُّ طَرْفِى والْفُؤَادُ الخافق
وإذا ذَكَرْتُ وِدَادَها مُرِيَتْ له ... مِنِّى الشُّئُون فكُلُّهنَّ دوافق[2]

الاتفاقية *

(سنة ١٩٥٢)

أَلا فاسْلَمْ أَبا الصِّدِّيقِ شَهْمًا ... غَيُورًا وابْنَ مِقْدامٍ جَسُورِ
أَرَى أَمْرًا دجا فاسْتَلَّ مِنْهُ ... كَمِينَ النَّصْرِ كالْفَلَقِ الْمُنيرِ
فَيَفْدِيهِ قِصَارُ اللَّيْلِ ناموا ... وما لَيْلُ الْمُعَنَّى بالْقَصِيرِ

---

(١) تروحه : تصيبه بريحها . من أيمن وأشمل : من اليمين والشمال .
(٢) مرى الضرع ودمع العين : استدرهما . وشئون الدمع : منابعه وأصوله فى الرأس .
* قد كانت للسيد عبد الرحمن رحمه الله يد كبرى فى إبرام الاتفاقية التى أقيمت بعدها انتخابات الحكم الذاتى .

رثاء زعيم

(٢٥ مارس ١٩٥٩)

أَلا لله مَن واري اللُّحُود ... وكان له من الناس الفُقُود[1]

مضى الميمون فرّاج البلايا ... عميدُ الناس ذو الفضل الحميد

وربيعَ الناسُ ساعةَ قِيلَ ولّى ... وَسِيئَت أَوْجُهٌ بِيضٌ وسود

فلا تبعد أبا الصديق واسلم ... وفى الجنّات حُقَّ لك الخلود

شعرى

بخت الرضا – ١٩٥١

شعرى عَدُوٌّ الجاهلين ومِقْوَلى ... صَلْتٌ وفى جَنْبَىَّ نشوةُ شاعر

وإذا أشاءُ أضأْتُ لَيْلاً دامِساً ... بالنُّورِ من أَلَقِ القريضِ الباهر

ما للسنين الضاريات تكالبت ... يَفْرِينَنى بمَخَالِبٍ وأَظافر

إنَّ الذكاءَ لنعمةٌ محسودة ... وأَخوالحِجَا غَرَضُ الغوىِّ السادر

والعلمُ مُعْتَرِضُ السبيل نزيلُه ... ضَيْفٌ عَلَى عِرِّيسٍ[2] لَيْث خادر

ما إن يُحَاوِله سوى مُسْتَبْسِل ... للنفس عن شَرَكِ[3] الدَّنيَّةِ قاهر

---

(١) يجوز أن تنشد «ما وارى» للتهويل. ولكنى استضعفها.

(٢) عريس ليث: عرين الأسد.

(٣) الشرك: بنيات الطريق أى الطرق الصغيرة المتفرعة عن الطريق الرئيسى.

يا ليت

١٩٤٩ – لندن

يالَيْتَ أَنِّى طائرٌ آمن يَصْدَحُ ، فى غَنَّاءَ مِمْرَاع
أَو لَيْتَ أَنِّى وَعِلٌ فى ذُرَا أَرْعَنَ لا يَسْعَى به ساع[1]
أَولَيْتَنِى لَسْتُ بِشَىْءٍ إِذَنْ كُفِيتُ تَهْمَامِى وأَوجاعى
لم أَلْقَ من دَهْرِىَ غَيْرَ الأَسى جَلْدًا عَلَيْهِ غَيْرَ مِجْزاع[2]

كيف ينام الليل

لندن ١٩٤٦ – أَبريل

كَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ من قَلْبُه بات رَهِيناً لكِ لا يُرسَلُ
يَطْرقُ أَبْوَابَ الْكَرىَ مُلْحِفًا إِذْ كُلُّ بَابٍ دُونَهُ مقفل
يُخَالِطُ النَّاسَ فما يَذْهَلُ ويَشْرَبُ الْخَمْرَ فَمَا يَثْمَلُ
يَبُوحُ بالأَسْرَارِ عَجْزًا عَن الصَّـ ـبْرِ وكِتْمانٌ لها أَجْمَل
صَدىً إلى حُبِّكِ لا يَشْتَفِى حَتَّى ولا منك فهل ينهَلُ
مَنْهَلَ وُدٍّ لَكِ إِنْ لَمْ يَرِدْ منه فؤادِى عَيْشِهِ مُمْحِلُ

---

(١) الأرعن هو الجبل . والوعول تأوى إلى ذرا الجبال .

(٢) جلداً عليه : صابراً عليه .

إنِّىَ أُصْفيكِ الْهَوىَ كُلَّهُ لا أَصْبنُ الْكَأْسَ ولا أبخل
عَاطَيْتِنِى أَنْتِ ، فأَثْمَلْتِنِى ، سُلافَةَ الْحُبِّ التى تقتل
أَقْسَمْتُ باللهِ وآلائه وما حوى مُحْكَمهُ الْمُنْزَلُ
لَنَظْرَةٌ مِنْكِ وإقْبَالَةٌ من الْحَيَاةِ كُلِّها أَفْضَلُ

حَبَّذَا النيل (١٩٤٩)

حبذا النيل مَنْزلاً ونخيلُ النِّيلِ والليلُ مُقْمِرًا والنُّجوم
ورِمالٌ كأنّهنّ إضِىٌّ دارجٌ موهناً بِهنّ النّسيم
ورباعٌ يُشَادُ فيهن بالذكـ ـر وتتلى يسٓ أو حمٓ
وقبورٌ ثَوِيْنَ فى ذلك القَفْـ ـر سقتهنّ بالذِّهاب الغيوم[1]
فَرَّق الدَّهر بينهُنّ وعزَّى نَفْسَه بعد عهدهنّ اليتيم

نـدم الشباب

لَوْلا اضْطِحَابِى عُصْبةً باطِلِيَّةً لقد قاد نفسى للصلاح أميرها[2]
ولم تُلْفِنى رِيحَ العشى لحانَةٍ أُعَاقِرُ كَأْساً كم يَخِرُّ عقيرها[3]
ولم أتَّخِذ من تَبْغَةِ السَّوءِ خُلَّةً يُمَزِّقنِى جُنْحَ الظلام سعيرها

---

(١) الذهاب بكسر الذال جمع ذهبة بكسرها وهى الدفعة من المطر .
(٢) فى أول البيت الخرم وهو كثير ومنه قول أبى الطيب « لا يحزن الله الأمير فإننى » .
(٣) ريح العشى — وقته .

هُمُ صَرَفُونِى بَعْدَ أَن كنتُ مالِكًا مَهَايِعَ قد يَهْدِى إلى الرُّشْدِ نورها

فأَصبحتُ فى وادى خَبَالٍ وشُقَّة من الْغَىِّ مَزْجُورٍ بنحس طيورها

فَظَلْتُ أَرُوضُ النَّفْسَ بعد نِفَارِها وأُكْرِهُهَا حَتَّى اسْتَمَرَّ مريرها

عَلَى حِينَ قَارَبْتُ الثلاثِينَ وانْتَحَتْ إلى الْمَرءِ أَحْدَاثٌ كثير شُقُورها[١]

وضُيِّعَ رُبَّانُ الشَّبابِ وسُحْسِحَتْ عليه دُمُوع ما يَكُفُّ غزيرها

ولَمَّا تَقُم لى فى ذُرَا المجد قُبَّة ولا نارُ صِدْقٍ كل عافٍ يزورها

تَمَنَّيت أَنِّى فى مرابع إخْوَتى ودَوْمَةُ ذاتُ السيل دَوَّى خريرها

وتَهْزِجُ أنواحُ السواقى وتَسْتَقِى لدى النِّيلِ غراءُ الثنايا بَدُورها

أَلا لُعِنَتْ هذِى الأَعادى وفُرِّقَتْ عَبَادِيدَ فى الدنيا وقَلَّ نصيرها

فَقَدْ أَلْزَمُونا خُطَّةَ الْخَسْفِ وانْبَرى يُعِينهم فى كل دارٍ حقيرها

غنى الشباب

١٩٤٥

غنى الشَّبَابِ الْحَيَاءُ والكَرَمُ إن الغنى ما عداهما عَدَمُ

كم من صديقٍ غَفَرْتُ زَلَّتَهُ فَرَدَّهُ عن ضَلالِهِ النَّدَم

وشامِسٍ رُضْتُه عَلَى مَضَضٍ أُطْفِئُ من نَارِهِ وَيَحْتَدِم

أَسْقِى رِياضَ الْوِدَادِ مِنْ سَبَلِ الـ إحْسَانِ حَتَّى نَبَاتُها عَمَمُ

(١) الشقور – الأمور .

إنى إذا ما الصديقُ أظْهَر لى   شَرًّا وكادَ الوصالُ يَنْفصِمُ
عَفَفْتُ عن باطِلِ المقال فأَمْ   سَكْتُ وما إنْ عَلَيَّ مَا يَصِمُ
ولو أشَاءُ الْمَقَالَ أسْعَدَنِى   لِسَانُ صِدْقٍ مُجَرَّبٌ خَذِم
يَكِيدُ لى جُهْدَهُ وأنْصُره   شَتَّانَ لُؤْمُ اللئيم والكَرَمُ
أبى لى الذَّمَّ مَحْتِدٌ شَرَفٌ   وناصِحٌ بين أضْلُعِى أمَمُ
وصامِتٌ نَاطِقٌ يُؤَانسنى   فأنْتَقِى دُرَّهُ وأغتنم[1]

هِى البلوى

هِىَ الْبَلْوَى ومن عَجَبٍ تَسُودُ   وكَيْفَ يَسُود ذو الضِّغْن الْحَسُودُ
أرى الهُجَنَاءَ قَدْ كَثُروا وأثُّوا   وقد سَمَقَ الأُشابَةُ والعبيدُ
وأعْجَبُ كَيْفَ ذَمَّ النَّاسَ قِدْماً   وما قاسى كما نَلْقَى ، لبيدُ[2]

اللهف الممنّى

ما آسَى على الحسناءِ إلاَّ   لأَنَّ المَوْتَ قاهِرُ كُلِّ قِرْن[3]
صَدَدتُّ من الحياءِ وما أُبالى   رياءَ النَّاس إنْ هِىَ سامَحَتْنى
وإنِّى لا أزالُ أصُونُ منها   وديعة ذلك اللَّهَفِ المُمَنِّى

(١) أعنى الكتاب . وهذه الميمية تنظر إلى كلمة للمتوكل الليثى فى ديوان الحماسة .
(٢) إشارة إلى قول لبيد : ذهب الذين يعاش فى أكنافهم .
(٣) فى البيت الخرم وهو سقوط أول متحرك فى البيت ويصلحه أن تقول : وما آسى إلخ .

البدر فى منشستر

سَمُجَ الْبَدْرُ فِى مَدَائِن تكسى ... من دُخانٍ تخَالُهُ إِعْصَارا
فَابْكِ مَا شِئْتَ إِنَّ دَمْعَكَ لاَ يَدْ ... بَثُّ بَيْنَ الْهُمُومِ أَنْ يَتَوارى
سَمُجَ الْبَدْرُ لَا يَكُونُ عَلَى النَّ ... دِلِ تُنَاجِيهِ جَهْرَةً وَسِرَارا
فَامْضِ لِلْحَانِ وَاسْقِ قَلْبَكَ كَأْسَيْـ ... نِ عَسى أَنْ تَرُدَّهُ أَطْوارا
لَا أَرَاكَ الْحَيَاةَ تَشْمَلُ مِنْ عَيْـ ... شِكَ وَالنَّاسُ بِالْحَيَاةِ سُكارى
أَبَدًا أَنْتَ بِالْهُمُومِ مُعَنًّى ... فَلْتُكَفْكِفْ هَذِى الدُّمُوعَ الْغِزَارا
هَلْ تَرَى مَنْ تُحِبُّ بِالشَّفَقِ السَّا ... حِرِ بِالنِّيلِ زَاحَمَتْهُ الصَّحَارَى
إِذْ يُعَانِى أَهْلُوكَ مِنْ شَظَفِ الْعَيْـ ... شِ الَّذِى عَدَّهُ الْأَجَانِبُ عارا

قد جفانى

١٩٤٩

قد جفانى صحابى ... بعد طول اغترابى
بَدَّلوا عهد وُدِّى ... ثم راموا عتابى
فاسقنى كأْس خَمْرٍ ... كوميضِ الشهاب
أَو كما تَصْبغُ الشَّـ ... مسُ بالأَصيل الروابى

ديار صدق

ديار صِدْقٍ غَيْرَ أن لَيْسَ لى   فى سوحها غير مُقام قليلْ
فيهنَّ قد نازعت كأْس الهوى   مترعةً أَمزجها بالشَّمُول
غُرًّا كما يَبْرُقُ زَهْرُ الرُّبا   شفاهها تُبْرِد حَرَّ الغليل
أَحْرِ بدمعى فى غَدٍ عندما   أَرحل منها كارهاً أَن يسيل

فى مِرْآة سيارتى

رَأَيْتُ فى مرآة سيَّارتى   إذ هِىَ فى بالِىَ لا تخطُر
قنطرةَ الأَزْرَقِ من خَلْفِها الـ   أُفْقُ عَلَيْهِ الشَّفَق الأَحمر
أَعجبنى المنظر من حُسْنه   فَقُلْتُ ليلى ذَلك المنظر

الباب الثانى

مقطوعات متنوعة

الهزجيات *

عديني

عديني أَنت يادنيا فما وَعْدُكِ مَصْدُوق
وعن قُرْبٍ لشمل الإِلا ف من كيدك تفريق
وقد تُحْدَى إِلى الأَطلالِ من آفاقِكِ النوق
وبَرْقٌ لَكِ مرموقٌ وَوَجْهٌ منك معشوق
وحظ الهائم الحائم من بحرك ترنيق[1]
أَلا ضقنا فهل يُفْرَجُ من كُرْبَتِنا الضيق

العارض البارق

لذاك العارضِ البارقِ فى أَضلاعنا رَعْدُ
يُثير الشَّجَنَ الكامِنَ فى الأَنفس إِذ يبدو
وأَغْضَيْنا وفى أَجفا ننا من نارِه وقد

* راعينا فى كتابة الأشطار مواقف الترنم لا المواقف العروضية .

(١) الحائم : العطشان — الترنيق : التكدير والمراد الشرب المرنق النزر هنا ، وفى بيت البحترى : وسقيتنا ترنيقاً — المراد سقيا الطرف .

ويفترُّ عَلَى الآفاقِ لمَّاحا ويربَدّ
وتعطو النفسُ بالشوق إليه ثم ترتَدّ[1]
وقد يُشْمِلُنا بالرىِّ من أكنافِهِ الوعد
ولكن دونه الصحراءُ والظلماءُ والبعد
وقد يُسْلِيكَ بعد اليأْس من آمالك الزهدُ

يحيينا

يحيينا مُحَيَّاها ونرْضَى حينَ نلقاها
ولم يَرْغَبْ بنا هَمْسُ الْ أمانى فى حُمَيَّاها
ولكنَّا نرى فى وَجْ هها الواضح مَعْناها
فَنُوليهِ انبساطَ النَّفْسِ والْبِشْرَ لمَرْآها
ويَجْلُو فَرْحَةَ البَسْمَةِ خَدَّاها وعيناها
فلا فَارَقَها الْخَفْضُ وعَيْنُ الله تَرْعاها
فلو كانت من النُّوَّار ما كُنَّا قطفناها

أيا حسناءُ

أيا حسناءُ حَبْلُ الصَّبْرِ من حُبِّكِ قد عيلا
وسَيْفُ الْهَجْرِ من لَحْظِكِ قد جُرِّد مسلولا

---

(١) عطا يعطو — تطاول ليتناول .

وأَقْسَمْتُ لَقَدْ جَمَّ لَكِ الرحمنُ تجميلا
يَمِينَ الله لم يَتْرُكْ لنا حُبُّكِ مَعْقُولا[١]
ولكّنا نُدَارِى النَّا س من خَشْيَةِ ما قيلا
فيا لَيْتَ لنا مِنْكِ عَلَى بُخْلِكِ تَنْويلا
ويالَيْتَ لنا من ثَغْ رِكِ الواضِحِ تقبيلا

هى الأيام

هى الأَيام لا تنفكُّ تأْتى بالأَعاجيب
ولا يبقى على الأَيَّا مِ مَدْحٌ بَعْدَ تشبيب
ولا أَبْلَجُ من تقوى ولا أَدلَمُ من حُوب[٢]
وَقَدْ شَوَّقَكَ الْبَرْقُ إِلى دامِرِ مَجْذوب
وأَهلٍ سادة مَعْدِنِ عِرْفانٍ وتهذيب
ويتلون كتاب الله غَضًّا كالشَّآبيب[٣]
وقد غودِرْت بَيْنَ الـ إِحَنِ السُّودِ الغرابيب[٤]

---

(١) أى عقلا وهذا من المصادر التى جاءت على و زن مفعول ومنه فى القرآن : بأيكم المفتون . أى الفتنة .

(٢) أى أبلج بسبب التقوى وأدلم أى أسود بسبب الحوب والحوب الإثم .

(٣) هنا إشارة إلى حديث ابن مسعود « غضا كما أنزل » وقد كانت الدامر أيام صباى فيها حفاظ كثيرون . وقد ختم فى مأتم والدى نحو من مائة ختمة . أما الآن فقد درس كل ذلك ولم يبق من الحفاظ إلا رجل أو رجلان . فالشوق ههنا كما ترى إلى الصبا وزمان مضى .

(٤) الشديد السواد : « وغرابيب سود » فى القرآن .

تمثال مادنجو *

أيا تِمْثَالَ مادنْجُو الذى ندعوه مَرْجانا
أرَى فى طينك الأَحمر من شَجْوِىَ أَلوانا
وفى وَجْهِكَ ذاك الجا مِدِ الخامِدِ شيطانا
وأَشباهُك قَدْ ثاروا على قومِىَ بُرْكانا
فَهَلْ تبكى مع الباكين من مَصْرَع قتلانا
تذكّرنا النذير الفَيْضَ لو تنفع ذكرانا[1]
وقد شُقّتْ دُروع الصبر من طعْنَةِ مَوْلانا[2]
وحَرْقُ الفاضِلِ الباسل وَسْطَ الزَّنْج أَشجانا[3]
وقد كان أَخا الإِخوا ن ما أَكْرَمَ ما كانا

واو *

١

أَلا حَىِّ فتى الدامِرِ لَيْثَ الغابةِ الشَّهْما[4]

---

* مادنجو مثال زنجى من ياى كان يرعاه المستر ديوك مفتش ياى البريطانى . وقد اقتنينا أحد تماثيله وهو لرجل من المندو يجلس القرفصاء .

(١) و (٢) الأستاذ النذير والأستاذ مولانا قتلهما أهل الاستوائية فى طريق رمبيك — جوبا قتله منكرة وكانا زميلين لى فى التدريس.

(٣) السيد الفاضل الشفيع مفتش مركز ياى بعد المستر ديوك، قتله أهلها حرقاً غدراً وكان بهم رفيقاً.

* كانت واو فى حالة عصبية لا يدرى أهى متمردة أم لا حتى احتلتها قوة الدفاع السودانية .

(٤) هو القائد اللواء أحمد عبد الوهاب ، وقد تولى استرداد مدينة واو وإعادة الأمن فيها .

وفتيانَ الدفاعِ الغا سلينَ العارَ والضَّيْما
أَلا قُلْ لنساءِ الحيِّ زَغْرِدْنَ ولا إثما[1]
تَبَرَّجْنَ كما شِئْتُنَّ إنَّ النَّصْرَ قد تَمَّا

٢

تَبَرَّجْنَ كما شِئْتُنَّ إن النَّصْرَ قد لاحا
وحاكِينَ حَمَامَ الطَّلْحِ إذْ رَجَّعَ نَوَّاحا[2]
فكم تَبْكِينَ من أَبْلَجَ طَلْقاً كان وَضَّاحا
وقد ساءَكَ مَوْلانا قتيل الزَّنْج إذ طاحا[3]
وقد لاقى النذيرَ السَّمْحَ دَهْرُ السوءِ فاجتاحا[4]

السدود

ديارٌ تَرْهَبُ الخابِلُ أَن تَسْلُكَ مَسْرَاها[5]
ولا تَعْرِفُ إلا الطَّيْرُ مَغْدَاها ومُمْساها

---

(١) من تقاليد السودان ألا يبكى القتيل حتى يؤخذ بثأره . والزغاريد تكون فى الأفراح والأتراح ويصحب زغاريد الأتراح نوع من الرقص يسمى الردح وفيه تبرج .

(٢) الطلح من العضاه (أى أشجار الشوك) يكثر فى السودان .

(٣) و (٤) مولانا والنذير أستاذان قتلا فى الجنوب ، ولك أن تنشد « قتيل الغاب » وما أثبتنا أجود .

(٥) الخابل: الجن . وفى أساطير العرب أن الجن ينتشرون ليلا فى الأماكن المهجورة . والسد أخضر داكن حتى كأن نهاره ليل . ومن أجل هذا قلنا مسراها .

تَلَوَّتْ حَيَّةُ النِّيلِ بِها تَقْصِدُ مَثْواها[1]
وحَفَّ الْمَوْتُ فى البَرْدِىِّ يُمْناها ويُسْراها

قلب ما بِهِ حب

أَلا عَرِّض باللذة قلـ ـبٌ ما به حُبُّ
ولصُّ النَّفْسِ قد يُقْـ ـدِمُ إِن عَنَّ له النَّهْبُ
ونارُ الزَّنْجِ فى أَعما قنا حمراء لا تخبو

النمل

قطارُ النَّمْلِ يَشْتَنُّ وقالوا إِنَّها جِنُّ
وقد تَلْسَعُكَ اللَّسْعَةَ لِلْجِلْدِ بها أَنُّ
وَتُرْدِى العقربَ القاتِلَ من إِبْرتِها الطعن
ولم ترهبْ سليمانَ إِذ الجِنُّ له تَعْنُو[2]
وقِدْماً أَتْلَفَ السُّكَّرَ من غاراتها شَمْن

(١) النيل أشبه شىء بالحية فى إقليم السدود لتلويه .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده . وإشارة إلى دابة الأرض التى أكلت منساة سليمان وهى الأرضة والأرضة ضرب من النمل . قال تعالى : «فما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منساته» وفى قراءة حفص منسأته .

تراها أَبدًا تستنُّ لا أَيْنُ ولا أَوْنُ[1]
سواءٌ عِنْدَها السَّهْلُ الذى دُمِّثَ والْحَزْنُ

القمر

أَلاَ يأَيُّهذا الْقَمَرُ الطالعُ حُيِّيتا
شَمِلْتَ الكونَ بالنورِ وأَشرقْتَ كما شيتا[2]
وَوَشَّيْتَ بِلَمْعِ الذَّرْ رِ تَيْهاءَ أَماريتا[3]
وقد أَهْطَعَتِ الْجُدْرَانُ يَقْظَانَ ومَسْبُوتا[4]
وحَتَّى كَلْبُكَ النَّابِحُ قد بَاتَ صُمَيْميتا

ذات الطفل

لقد أَوقدتِ النارَ بَأَعْوَادِ وأَجْذَالِ[5]
وقد وَسَّدَتِ الطفلَ بواقى هِدْمِها البالى
وبرَّادٌ وأَكوابٌ كشَيْخٍ بَيْنَ أَطفال

---

(١) الأون هو الفتور . والواو إذا كانت ردفاً مزدوجاً ساكناً جاز مجيئها فى القوافى مع الكلمات ذوات الأحرف الصحائح . وقد يرى المتشددون نحو هذا سناداً.

(٢) أى كما شئت — خففنا الهمزة .

(٣) التيهاء الصحراء — أماريت جمع امرات وهى جمع مرت وهو القفر .

(٤) مسبوت : أى نائم . شبهنا القائم من الجدران باليقظان والمتداعى بالنائم .

(٥) الجذل : أصل العود .

وَلَيْسَ الْعَيْشُ إلا أَ مَلاً من بَعْدِ آمال
وهذا الحظُّ لا يَنْفَـ ـكُّ من حالٍ إلى حال

السدرة

ألا تُعْجِبُكَ السِّدْرَةُ ذاتُ النَّبَقِ الدَّانى[١]
ولما يَبْلُغِ النُّضْجَ فَتَجْنيه يَدُ الجانى[٢]
وَقَدْ حُفَّ بِأَشْوَاكٍ وَقَدْ لُفَّ بأَغصانِ
وهَذَا ظِلُّها الوارِ فُ لو أَسْمَعَ نادانى[٣]
ولولا الشَّمْأَلُ القرَّ ةُ لَبَيَّتُّ وآوانى

حلة الشباب

خَلَعْتَ الْحُلَّةَ الْخَضْرا ءَ فالْبَسْ حُلَّةً أُخْرى
وردَّ الفائت الغائـ بَ من عُمْرِك بالذكرى
أَلا تَذْكُرُ إذْ كُنَّا جميعاً نَعْبُرُ النَّهْرا
ولا نَرْهَبُ مِنْهُ إذْ طمى أَمْوَاجَهُ الْحُمْرا

---

(٢) السدر ضرب من شجر العضاه يكثر بالسودان وثمره النبق .

(٢) فتجنيه : الفاء هنا عاطفة و يجوز رفع الفعل بعدها وروى سيبويه عن أبي عمرو : لاتزرنا فنشتمك بالرفع . وكذلك قرأ أبو عمرو : منذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له بالرفع وقد سبق الفاء استفهام كما ترى .

ذو الريبة

أَلا تُبْصِرُ ذا الريبَ ةِ يبغى خطَط المكر
وقد دَبَّ إلى الخِسَّ ةِ فى ظلمائها يسرى
فلما أَشْرَقَ الصُّبْحُ غدا يبحث عن ستر
وأَين الستر لا ستر له فى وَضَح الفجر
أَلا إنا مَسُوقون ولا نشعر بالجبر[1]
وهذا عيشنا غايتُهُ طُرًّا إلى القبر

جرح الدهر

صحا يلتمس الموسى ورَغْوًا من كُلِينُوسا[2]
وفى الكأْس ثمالاتٌ كساها اللَّيْلُ ناموسا
أَلا أَين السرورُ الزُّورُ قد أَصبح مرموسا
وجُرْح الدهر فى أَغوارِ أَعماقك لا يُوسَى

---

(١) أى لا نشعر بالجبر الواقع علينا والجار والمجرور ليس متعلقاً بمسوقين ولكن بالفعل قبله .
(٢) معجون الأسنان المعروف .

النيل

(عيش الريف)*

شَوَيْنَا السُّنْبُلَ النَّضْر عَلَى الجَمْرِ عَلَى الجَمْرِ
عليه حُلَّةٌ خضرا ءُ فيها خَمَلٌ تِبْرى[1]
تذيبُ النارُ أَعلاهُ وفى أَطرافه تسرى
وتلك الْحَبَّةُ السمرا ءُ تَنْشَقُّ من الذعر
ويَغْشَى جانبيها عَ رَقٌ ليس بذى قَطْر
وَيُلْفَى جانِبٌ يُكْشَ فُ والآخَرُ فى ستر
إذا نَحْنُ سلبناه أَرانا خَجَلَ البكر
وراحَتْ بَيْنَهُ أَسْنَا نُنَا تلقُطُ أَو تَفْرِى
وغادَرْنا رُفَاتاً مِنْ هُ لايَصْلُحُ للنَّشْر
أَلا يا حَبَّذا النيلُ الخصِيبُ العيش من نهر
وذاك السُّنْبُلُ الراعِشُ فيه نَفَسُ الفجر
وَنَطْوِى شُقَّةَ العيشِ مَسُوقين ولا ندرى

---

* يسمى أهل السودان الذرة الشامية : عيش الريف . ويعنون بالريف مصر .
(١) تبرى : أى مثل التبر .

إوز النيل

أَلا قُلْ لإِوَزِّ النيلِ هَلْ تَدْنو من السِّيفِ[1]
أَلا تُفْعِمُ أَحْلامَكَ شوْقاً خُضْرَةُ الريفِ
أَلا طِرْ قد دنا الصائِدُ هل تسمع تخويفى
وما الدمع إذا أقصد لدَكَ الْحتفُ بمذروف
بَلَى دَمْعِى ولكنِّى خَفِىٌّ غَيْرُ مَعْروف
وما بِشْرِى إذا دَفَّ جناحاك بموصوف
وهَلْ يُوصَفُ هَيْجُ الْقَلْـ ـبِ والى خَفْقَ ملهوف
ولا يُدْرِك نَعْتَ الحسـ ـنِ إلاَّ كُلُّ مشغوف

القطن

سلاماً شَجَرَ القُطْنِ وحُيِّيتَ من المُزْن
وفى نُوَّارِكَ الأَصْفَرِ أَلوَانٌ من الحسن
ومن خُضْرَتِكَ اللَّدْنَةِ فَوْقَ الغُصُنِ اللَّدْن
يَرِفُّ النيل عَمَّ الكوْ نَ بالنعمةِ والأَمْن
ورَاعَ الْعَيْنَ بالتيا ر فى أَمْواجِهِ الدُّكن

---

(١) السيف : الشاطىء .

وَنُبِّئْتُ يَقِيسُونكَ بالْمَسِّ وبالْوَزْن
فَهَلاَّ عَرَفوا الْفِتْنَةَ فى رَوْضاتِكَ الْغُنِّ[1]
وقد حَثَّ القطارَ السَّيْرُ والناظِرُ مستأْنى
وخِفْتُ الدَّمْعَ من حُبٍّ لكَ أَن يُبْصَرَ فى جَفْنِى

المركب النهرى

ذكرتُ المَرْكَبَ المطروحَ عِنْدَ الدِّندِنِ البالى[2]
وجاءَ الرَّيِّسُ البائسُ يسعى بَيْنَ أَسمالِ
وقد لاحَتْ عَلَى الأُفْقِ حميرٌ رَثَّةُ الحال
وماءُ النيل ذو الكُدْرَةِ من طينٍ وأَوحال[3]
عليهِ الْبَرَمُ الأَصْفَرُ والشَّوْكُ لدى الجال
وما تَبْغِى من الْعَيْشِ سوى هَمٍّ وأَوجال
وقد أَبْكَاكَ بالدمْعِ العصىِّ الغائرِ الغالى

إلى النيل

أُحِبُّ النِّيلَ فى الصَّيْفِ وقَدْ زَمْجَرَ واهتاجا
ومَشْتَى لَنْدنَ البارِدَ والمَوْقِدَ وهَّاجا

---

(١) الغن : جمع غناء .
(٢) الدندن : أصل الشجرة .
(٣) البرم زهر الطلح وهو أصفر والجال جانب النهر هنا .

ولَيْلَ السَّمَرِ الآنِـ	سِ إذ نَاجَاكَ من ناجى
ومَسِّ الأَنْمُلِ الْغَضَّـ	ةِ لاتَرْهَبُ إحراجا
ورَوْضاً أَلْبَسَتْهُ الغيـ	دُ من إشراقها تاجا
وبَشِّ الزهْرُ يحكيهنَّ	إذْ أَقْبَلْنَ أَفواجا
همى دَمْعُ امرئ القيس	على الأَطلال إذ عاجا

إلى لندن

أَيا خِلِّيَ هَلْ دَمْعُكَ	مِن لندن هَطَّال
فَفِي لَنْدَنَ من نَفْسِكَ	يابْنَ النِّيلِ أَطلال
وكم شاقك من لَنْدَنَ	أَبكارٌ وآصال
وإذ يَشْتَنُّ نحو الْبَصِّ	أَفرادٌ وأَرسال
وإذ يَسْمُرُ فى الحانَةِ	يَوْمَ السبتِ عُمَّال
ومقهى بالشباب المرحِ	الأَعطافِ مشهال [١]
وذاكَ المسرح العامِرُ	فيه الفنُّ يختال
فدمْعُ العين فى الخرطوم	من جَفْنِكَ هَمَّال
غريبٌ أَنتَ فى الخرطومِ	لادارٌ ولا مال
عسى تسعدك الأَيا	مُ إن العيشَ آمال

(١) أى آمل .

صحبنا هذه الأيام

صَحِبْنَا هذه الأَيَّامَ سَيْرًا غَيْرَ تَهْويد
وَجَرَّبْنا صُنُوفَ الْعَيْشِ مِنْ ثُكْلٍ ومِنْ عيد
وَمَسَّ الأَكْبُدَ الصَّبَّةَ مِنَّا أَنْمُلُ الغيد
وقد جِيدَ علينا وَعَرَفْنا لَذَّةَ الجود
ولا نَبْذُلُ إثْرَ النَّصْرِ جُهْدًا غَيْرَ محمود

قطتنا

أرى قِطَّتَنا السمراء صيدُ الفار أَغناها
وكانت تألَفُ البيت ونرتاح لرؤياها
ونعطيها عطاء الودِّ لا نجهل قرباها
ونَرَّتْ ثم مَدَّت مِخْلباً لما ضربناها[1]
وما قَوَّست الظَّهْرَ لنا حين لمسناها
ولكن نُفِشَ الذيل ورام الجرى جنباها
أراها أَضمرت حقدًا وظَنَّتنا أَهَنَّاها

(١) نرت : حكاية لصوت الهرة عند الغضب .

النيم

رأيتُ النيمَ يبدو من   خِـلالِ الآلِ كالغيم [١]
يُمَنِّى الراكبَ المنهــو   كَ بالظِـلِّ وبالنوم
ولاحَتْ جُـدُر الْحِلَّةِ   كالمُضْنَى من الصَّوْم
وذاك النيل مَـدَّ الطَّرْ   فِ قَدْ يُغْريكَ بالعوم [٢]
وأنكرت اخضرار النيم   بل تُقْتَ إلى الدَّوْم
وأنحيت إلى السائق   بَعْضَ العتبِ واللوم
تراه أبطأَ السير   وناصى طـرف اليوم
ومن لى أن أُرى الانصا   فَ إذ أخلصتُ فى قومى

رثاء جعفر [٣]

أياخـلى وياخـلَّ   أخـلائى ياجعفـرْ
أحقـاً بردت نارُك   ذات اللهب الأحمـر
وأمسى جثَّـةً لا رُو   حَ فيها ذلك المنظر

---

(١) الغيم هو السحاب الرقيق والآل : السراب . النيم شجر شديد الخضرة كثير فى السودان وأصله من الهند .

(٢) الدوم ضرب من الشجر شبيه بالنخل يكثر نماؤه عند نهر أتبره وعلى ضفاف النيل بديارنا وليس بشديد الخضرة كشجر النيم .

(٣) الأستاذ جعفر الثورى رحمه الله ، قتل فى حادث سيارة . وكان محرر جريدة الجزيرة .

تَصَـــــبرْنَا ولا نقــدِرُ   من   ذكراك أَن نصبر
حسدنا بعدك الأَوغــا   دَ إذا عاشوا وإذ تُقْبَر
ذَخَرْنَاكَ ليوم المجــد   قد ضــاع الذى نذخر
لقد كنت نبيلا طــا   هِرَ الباطن والمظهــر
رفيع الرأس لا تَخْضَ   عُ ذُلاًّ لمن استكبر
فهل نبكيك يَا للْعَجزِ   عِنْدَ الحــادث الأَكبر

عَزِيزَ الفقد يا جعفر
أَبا البــاكية الحرىّ   أَبا الأَيتــام ياجعفر

سَمِعْنَا الخَبَرَ المُنْكَرْ
سَمِعْنَــا وَجَزِعْنــا وَ   فَطَرْتَ الْقَلْبَ ياجعفر

لقد سر فؤادى

لقد سَرَّ فؤادى أَنها قد ذَكَرتْ عهدى
ولو قد نَسِيَتْهُ لَسَلَوْتُ ومعى وجدى
ومن سابغ عَطفِ الله أَنىِّ سابغٌ ودِّى
وأَجْزِى ذاك بالشكر الذى يَبْلُغُه جهدى

ألا أحبب

ألا أَحْبِبْ بِدِفْءِ النَّار حين الثلج مُنْسَكِبُ[1]
وكأْسٍ كضياءِ النَّارِ يَحْبُو فَوْقَها الحَبَبُ
وحِبٌّ كبهاءِ النَّار في إسفارِهِ العجَبُ
وريمٌ رِيمُ غَيْلانَ الذى أَفضى به لبب[2]
وسِفْرٌ فيه ما غَنَّت به فى بيدها العَرَب
وهذا الجِدُّ إذ نامت عُيون النَّاس والدَّأَب
وتُغْنِيكَ عن الْخُلَّانِ إن خاللتها الكُتُب

الضحية

لقد فَرَّ خروفُ العيدِ لما استنشق الذبحا
وقد أَوثقه الجزَّا رُ يبغى عنده الربحا
مأْى حتى إذا ماصَوْ تُهُ من باحِهِ بُحَّا[3]

(١) يكثر فى إنجلترا ضرب من المطر الكثير البرد يوشك أن يصير صقيعاً ولا يفعل . ولذلك قلنا « حين الثلج منسكب» إذ عادة الثلج الصرف أن يتساقط .

(٢) هنا إشارة إلى قول غيلان :

كأنها ظبية أفضى بها لبب

واللبب ما طال واستدق من حبل الرمل .

(٣) مأى : هذا فعل ماض أردنا به حكاية صوت الخروف . وباح أيضاً صوت الخروف .

وَنَقَّ الضفدع الغرِّيـ ـدُ والكلبُ انبرى نبحا
وصاح الديكُ وهْن الليـ ـل لما عَرَفَ الصُّبْحا
ولاحت مُدْيةٌ فى العشـ ـب حدَّاها دَمٌ سَحَّا
تَمطَّى يَجْذِبُ القيد الذى يكبَحُهُ كَبْحا
فبَتَّ الْحَبْلَ وانصاع ولامنجى ولامنحى[1]
فقد لاحَقَهُ من كل صَوْبٍ شبح الأَضحى

أَلق الشهب

أَلا إِنَّ سُلَيْمَى كالْـ فَتَى فى جُرْأَةِ القلب
ولا أَحْسِبُ منها الودَّ مبلوغًا بلا حَـرْب
وقد تبتسم الْبَسْمَةَ فيها أَلَـقُ الشُّهْبِ

الحمل المذبوح

أَلا تُبْصِرُ أُمَّ الحـ ـمَلِ المذبوحِ لا ترعى
صباحاً أَبْصَرَتهُ جـ ـذِلاً يَرْضِعُها رضعـا
وجاءَ الرجـلُ الماكر بالحَتْفِ له يَسْعى
وجرَّ الرِّجْـلَ منه هل ترى يَبْغى له نفعـا

(١) فبت الحبل : أى قطع الحبل .

وخَافَتْ نَفْسُها من مُدْ يَةٍ قَــدْ لَمعتْ لمْعا
وقَدْ أَضْجَعَــهُ واتَّـــ خَذَ الرَّمْلَ له نِطْعا
وما إن يشعُرُ المسكينُ أَن قد فَارقَ الضَّرْعا
ومَدَّ الطرف للشفْرَةِ إذ تَلْــذَعُهُ لَذْعــا
وصَاحَ الصَّيْحَةَ النَّكْرا ءَ لا يُرْثى ولا يُنْعى

خضل الزهر

أَلا إِن سُلَيْمى تُشبِهُ الْكأْس من الخمر
وقد تُقْبِلُ كالرِّيم الذى ولَّ من الذُّعر
ويبدو من مَحَيَّاهَا فؤاد خَضِلُ الزهر

الرجزيات

مكتبي*

لَيْسَ جمــيلاً مكتبي وليس يرضى أَربى
أَثــاثُـــهُ والله من شرِّ صنوفِ الخَشَب
ترى كراسى الخيــزرانِ كالوجــــوه الشُّحَّبِ

* نشرت فى مجلة الكلية – ١٩٥٦ .

وقُلَّةٌ غبشـــاءُ لاحت   مثل هِدْمِ «العربى»[1]
وفوقها كوز حــديدٍ   فأعافُ مَـشْرَبى
ولا ترانى أبــدًا   أحمد رفَّ الكتب
فغـيره عندى أولى   بلسـان العرب
وسَبَبَتى أودِعُــهُ   قصـائدى وخطبى
وقــد ودِدْت لو رَجَعْتُ   لزمــان الطلـب
أســألُ من يَدُلُّنى   عــلى سبيــل الهرب
من مَكْ مكا من مَكْ تَتَا   من مَكْ تَبَبْ من مكتبى[2]

تجديد المكتب

قــد جُدِّدَتْ لى قُلَّةٌ   يُعْجِبُنِى رواوهــا
سمــراءُ مـطمئنَّـةٌ   يَرْشَحُ منها ماؤهـا
وكوزُهـا الحـديد لا   يشــبهُه بهـاؤها
وحجرةُ المـكتبِ لا   تروقُنى أنحـاؤها
فبخُــيوطِ العنكبو   تِ نُسِجَتْ سماؤها

---

(١) العربى باللهجة السودانية أى الأعرابى . والهدم الثوب القديم والكلمة دائرة فى الاستعمال فى عاميتنا وأحسبها معروفة فى مصر ولك أن تنشد :

وقلة فيها «غباش» مثل هدم العربى

وغباش من عامية السودان . والقلة جرة الماء .

(٢) حكاية تعليم الأطفال ولك أن تجعله ترنماً محضاً .

وقد خَلَتْ من بُسُطٍ تَبْسُطُنِي غـــبراؤها
وكم يسوءُ النَّفْسَ من منضـــدتى كساؤها
قطيفـــةٌ قديمـــةٌ تنـــاثرت أشلاؤهـــا

أَبٌ وعانِسٌ

فى فَمِهِ غليـونُهُ شَيْخٌ كبيرٌ يَهْدِجُ[1]
ســار يُمَاشِى ابنتَهُ بادِنَـــةٌ تَرَجْـرَجُ
قال لها لا تَيْأَسِى مثلك قَـــدْ يُزَوَّج
وأَنْتِ بِنْتُ أَرْبعِينَ وعَلَيْك بَلَجُ
فقطَّبت ثُمَّتَ قَـــا لت دادُ أَنْتَ مُزْعِج
وخَفِيَتْ من الضَّبـ ـاب للعيون السُّرُج

أَنشودة صائد الحوت

هـــاتِ بُنَيَّ الشَّبَكا لـــكى نصيدَ السمكا
والناس لا تَحفِلُ ما شكوى أَبيك إن شكا
عزاؤه السَّفَّةُ[2] فى الطـــينِ الذى تلبَّكا

---

(١) يهدج ، يمشى مشياً ضعيفاً .

(٢) السفة نوع من التبغ يسحق ويخلط بالنطرون وغيره . ويسفه متعاطيه بأن يجعله بين لثته السفلى وأسنانه.

يَبُلُّ ثوبى الماءُ والـ ـبَرُّ يرينى الحسكا[1]
وقـارنى ألواحُـهُ صِرْنَ رِكاكاً فبكى
وأُمُّـكَ العوان بالـ وَهْمِ ترانى مَلِكا
ولا أرى طعامنا الفطيرَ والمُشَبَّكا
والتاجِرُ الظالم كالتمـ ـساح بى قد فتكا
هات بنى الشبكا لكى نصيد السمكا
والناس لا تحفل ما شكوى أبيك إن شكا

ميمونة الجارية الشيخة

فى صدر ميمونة أسرارٌ وما تبيحُها
فى وجهها تنطِقُ من غُضُونها جروحها
وأَحْضَرت زجاجة تَسُرُّ الأُنوفَ ريحها
وسرَّها السادة تحبوها وتستميحها
والحية الرقشاءُ فى ثيابها فحيحها

(١) الحسك ضرب من النبات له شوك كأنه النجوم فى الهيئة . والعرب كانت تعرفه وقد جاء ذكر الحسك فى الحديث .

بخت الرضا

أَذْكَرَكَ الشتاءُ أيَّامَكَ في بَخْتِ الرِّضا
حَيْثُ عَرَفْتَ الأصدقاءَ ونسيت الْبُغَضا
وكِدتَّ تحسبُ الهمومَ حَبْلُهُنَّ انقرضا
وطائر الزمان من جناحه قد خفضا
والبحرُ جاش بالعبابِ والشراع نهضا
والجبلُ المنيفُ لاح مقبلا ومُعْرِضا
وتُبْصِرُ اللوريَّ في يَوْمِ الخميس ركضا[1]
وملتقى النيلين عندى لايُبَاهِي الأَبْيَضا[2]
أَحْبِبْ به من مَنْزِلٍ سَعِدْتُ فيه بالرضا

النخلة

يا نخلةً تميس قد شاقَ العيونَ بُسْرُها
تلوح كالغادةِ زانَ اليارقَيْنَ نَحْرُها[3]

(١) يذهب المدرسون ظهر يوم الخميس من بخت الرضا إلى الدويم ليشتروا أزوادهم الأسبوعية ويحملهم من بخت الرضا لورى من لوارى المعهد . ويسمونه الكنتاكت وهى كلمة إنجليزية معناها الإلمام .

(٢) الأبيض هو النيل الأبيض وبخت الرضا بناحيته .

(٣) اليارق عقد من الخرز تلبسه الجارية .

وَشَعَّ فوق النيلِ من خَلْفِ الفروع بَدْرُها
عَلَّ قريباً أن يُرَى فى راحَتَيْـــك تَمْرُها

البرد

قد حَضَرَ الْبَرْدُ فــلا تحــــاولِ السباحَهْ
والشيخُ فى يَوْمِ الجلاءِ عِنْــدَهُ مناحـــة
وبيتـكم أصبح للد مُسَـــافِر اســـتراحه
وحَمِــدَ البائسُ بَعْــدَ بُؤْســـهِ نجــاحه[١]
وَنَشَرَتْ صُــــورَتَهُ الأَيَّام والصراحــه
وانْجَحَرَ الْكَلْبُ وخَافَ الـ مُجْـــرِمُ افْتِضَاحَـهْ
وانْبَطَحَ التمساح عند الشاطِئِ انْبطــاحَهْ
وخَافتِ الخِرْفَانُ مِنْ وَثْبَتِهِ المُجْتَــاحَـهْ
هَذَا كلامٌ فــارغٌ ونُؤْثِرُ اطِّـــراحــه
فاسأَل عن الخَرْطَةِ يو مَ السبت فى المساحه
وأَنْتَ مُتْعَبٌ فَخُــذْ يَوْمَكَ هــذا راحــه

---

(١) الأيام والصراحة جريدتان سودانيتان سيارتان .

بائعة الفول

أما ترى بائعة الفول الرداح تبسمُ

ووَدَّ غير عاملٍ لو عندها يستطعم

وضاءَ من سوادها ساعدها والمعصم

ووجهها الناضر من جُرْحِ الزمان بلسم

حانة السود

وحانَةٍ يُسَرُّ فيها بالأَسى ويُعْلَنُ

قد خَزِنَ الشرابُ والنا سُ بها قد خَزِنوا[1]

من قبعاتٍ فوق غِيد لانِ شِفَاهٍ تَرْطُنُ[2]

وَحَمأٍ فيه ترى ماءَ الحياةِ يأْسَنُ

وبالزجاج لا صِقاً أَحْمَرُ دَفْرٌ دَرِنُ[3]

صَبْغُ البغايا قد كَشَرْنَ مَسُّهنَّ خَشِنُ

ومُدْجِنُ الْوَجْهِ وسِرُّ الصدر مِنْهُ مُدْجِنُ[4]

---

(١) خزن الطعام : فسد من طول ما خزن وفى السودان تقول : خزّن بتشديد الزاى لهذا المعنى نفسه .

(٢) أى لا ترى إلا القبعات والشفاه الغلاظ التى ترطن .

(٣) الدرن : القذر . والدفر السيء الرائحة .

(٤) المدجن : المظلم .

تسرى الصِّلالُ فى حشاهُ ... كُلُّهُنَّ إحَـــــنُ[1]

يا بُؤْسَ للمُـــلَوَّنِينَ ... عَـــذَّبَتْهُمْ لَنْـــدَنُ

تَفْتِنُهُمْ كما ... سِـــواهم بِســـناها فُتِنُـــوا

حَتَّى إذا ما ضَـــلَّةٌ ... إلى هـــواهـــا رَكِنُوا

لا قَتْهم شراسَـــــةٌ ... من وَجْهِها وشَزَنُ[2]

فانْصَرَفوا قـــلوبُهُمْ ... غَيْظٌ بهـــا وحَزَنُ

وزفراتٌ ليس يمحـــو ... حَـــزَّهُنَّ الزَّمَنُ

بنات إنديز*

بناتُ إنديزَ الحسا ... نُ السُّمْرُ فى الغلائِل

تلطِمُ أَمْوَاجُ صُـــدُو ... رِهِنَّ صَخْرَ ســـاحِل

شِفـــاهُهُنَّ المُفْعَماتُ ... حُفَّـــلُ المنـــاهل[3]

أَحْيَيْنَ ليل الغاب با ... أَيْمَانِ والشَّمائِـــل[4]

يَهْمِسْنَ بالفِتْنَةِ فى الـ ... أَذْرُعِ والأَنامِـــل

---

(١) الصلال : الحيات – والاحن جمع احنه أى الاحقاد .

(٢) الشزن : الصلابة .

* إنديز أى جزر الهند الغربية .

(٤) حفل أى ممتلئة من احتفال الضرع إذا امتلأ فهو حافل والجمع حفل بتشديد الفاء .

(٥) الإيمان والشمائل جمع يمين وشمال – وليل الغاب إشارة إلى نوع الرقص الذى يرقصنه وهو من أصل زنجى .

وسُوقهنَّ يَلْتَمِعْنَ كالسرابِ الجائل
خَمْرٌ عليها خَمَلُ الخزِّ وسِحْرُ بابل
شُعُورُهُنَّ هَدَبُ النَّخْل عَلَى الْجَداوِل
يَبْسِمْنَ بالشَّوْقِ المُلِحِّ فى البريق الجاذِلِ[1]
يَلْصِفْنَ رقراقُ اللَّمَى كالطَّلِّ فى الخمائل[2]
من كل ذاتِ يارِقٍ وذاتِ جيد عاطِل
لحاظُهُنَّ قد نَفَذْنَ مِنْكَ فى المَقاتِلِ
حَتَّى تَوَهَّمْتَ طُيُوفَ النيل ذى الأَصائل
تُبْصِرُ فِيهِنَّ جَمَالَ عِينِهِ الخواذِل[3]

الشباب

لهفى عَلَى الشباب إِذْ وَلَّى وما تَمَهَّلا
وما قَضَيْنا من لُبَانَاتِ الحياةِ عِلَلا
نُمْسِى نشِيدُ صَرْحَها كَيْما يصِيرَ طَلَلاَ
ونُصْبِحُ الماضِىَ حِينَ نُبْصِرُ المستقبلا
فابك على الحياة بالدمع الغزير سَبَلا

(١) الجاذل أى الجذلان الفرح وفيها رائحة الفحل .
(٢) يلصفن أى يلمعن والكلمة دائرة فى استعمالنا العامى .
(٣) الخواذل جمع الظبية الخاذلة والخذول وهى التى تتخلف مع ولدها فلا تتبع السرب — قال طرفة : خذول تراعى ربربا بخميلة .

ورُوِّهَا من الحبيبِ عَلَلاً ونَهَلا
وَيْلكَ تَزَوَّدْ إنها تَمُرُّ مرًّا عجلا

عقوق

قد خَذَلَ الشيخَ بنوهُ فغدا حزينا
وقد يرى أَن بَنيهِ غيرُ مخلصينا
وأَمْسِ كانوا كُلُّهُمْ إليه راغبينا
ماذا دهاهم فَغَوَوْا وأَحدثوا شئونا
وكلهم كانَ إلى حكمته مدينا
حكمته التى بها قد رَبَّهُمْ سنينا[1]
قدْ خَذَلَ الشيخ بنوهُ فبكى حزينا
ولا يرى أَن بَنِيهِ غير مُخْطئينا

خواطر مبعثرة

١

قَدْ سُرِقَتْ جَاكِتَّى فاعْجَبْ وجَاعَتْ قِطَّتى
وعَرْبَدَ التَّمْسَاحُ كالـ خليع عند البركة

(١) ربهم أى سادهم وجعل نفسه ربا عليهم وأصل التربية من هذا .

وظَفِـــرَ السائلُ مـــن بَخِيلِنـــــا بفَكَّـــــة
وسار حَيْزُومُ إلى الـ سُّوقِ بغَيْرِ السكة

٢

أَما ترى البرميلَ فى الدُّ كان قـــد تدفقـــا
وبرك الصُّعْلوك عنـ ـد بابه ولَعِقـــا
وأَضْرَبَ الخادِمُ والـ قِرْدُ القمىُّ انطـــلقا
وصَنَـــع العُـــزَّاب من بيرَةِ أَمْسِ الْمَـــرَقا

٣

وصفَّر الوابور والـــ بَريدُ لَمْ يُـــوَزَّع
والْبَقَرُ الْكَثِيرُ عِنْد الـــ نَّهْـــرِ رَاحَ يَرْتَعِى
وقِيلَ مَاتَ فَابْكِهِ شَيْخُ الْغُـــوَاةِ بُرَعى
أَصَابَهُ الـــتَّرَامُ فِى بَعْضِ الطَّرِيق فنُعِى

٤

تَدَفَّقَ الْحِـــبْرُ عَلَى مَكْتَبِك الْمُنْتَظِم
وانْكسَرَتْ من حَسْرَةٍ سِنَّةُ ذاك القـــــلم
وجَرَحَتْ إِصبعَك الـ مُوسى فَبَضَّ بالدم
ولَسْتَ تَخْلُو بَعْـــدَهُ من أَلمٍ أَو وَرَم

٥

فاذْهَبْ إلى الطبيب وَسْـ طَ الازْدِحام الهائل
حَيْثُ النِّساءُ قَاعِدا تٌ فى طَرِيقِ السابل
سِشِمْنَ خَلْطَ اللَّحْم بالْـ بُهَارِ والتَّوَابـل
واضطرب الْخَفِيرُ بَيْـ ن مـارِقٍ وداخـل

٦

تَرَمْ ترم ترم ترم كَشَمْ كشم كشم كشم
شيخ كسيح كالفسـ يخ وعبيـد وخـدم
وابتلع المظلوم غُصَّـ ة الزمـان وكظم
وغـرقت حمـامة الـ سلام فى بحر الدسم

٧

وتَمْتَمَ الرَّاكِبُ هَـدْ دِىءْ وا وَوَا وأَشِّر
وَذَهَبَ الْمَبْعُوثُ لِلْـ مِرِّيخِ أَو للمشـترى
والْمَرْءُ فى الْحَيَـاةِ لَيْـ س قَطُّ بالمُخَيَّـر
واللاَّمُ جاءَتْ لاضطرا رٍ فى بَنَاتِ الأَوْبَرِ [1]

---

(١) هذا من أمثال النحويين . قال ابن مالك :

* أو لاضطرار كبنات الأوبر *

٨

واعْتَرَض المــرور فَــــلاَّحٌ عَلَى حمــاره
وأَكل المــورِسُ خُــزْ متين من خضــاره[1]
وأَقْبَـــل الشرطى يَدْ عو الْوَيْل من صُفَّاره
وهكذا تُوقِعنُا الـــ أَيَّام فى الْمَـــكَارِهِ

صُوَر فى معرض

وصُوَرٍ لــو عُرِضَتْ تَمْسَخُ حُسْنَ الصُّوَر
لَيْسَتْ من الدِّقَّةِ فى شىءٍ ولا التخَـــيُّر
وليس فى أَلوانهـــا من بَهْجَةٍ أَو خطر
وليس فى تركيبها غَيْرُ قَــذًى وقــذر
ضَرْبٌ من التشويه والتخليــط والتهــوُّر
منــاظرٌ مــن نفسه تكاد تُعْشِى نظرى

---

(١) المورس : صنف من السيارات الإنجليزية .

ياسدرة بالتلّ[1]

يا سِـــدْرَةً بالتل

ليس بهـــا من ظلٍّ

من تحتها كنت دفنتُ خِـــلِّ

يا سـدرة بالوادى

وعنـدها ميـرادى

نيرانهـا قـد حـرقت فؤادى

أبكى على الأحباب

والنـاس للتراب

فقـدهمُ أفقـدنى آرابى

يا نيلُ كم تنسابُ

ويَزْخَرُ العبابُ

المـاءُ أَنْتَ إننـا سَرَابُ

---

(١) هذه القطعة تقليد لوزن الجابودى وهو من أوزان الشعر الدارج ، يدور على تفعيلات الرجز . وفى الجاهلية أصناف منه . وقد فصلنا عنه الحديث فى كتاب المرشد . ومن أمثلته السودانية :

يا صندل الشقيقه

تهموفى بيك رفيقه

والناس عجم ما بيدروا بالحقيقه

مزدوجة فى نعت لندن

لندن ١٩٤٥ – (سبتمبر)*

أَمَا تَرَى لَنْدَنَ والتُّيُوبا   يَجْعَلُ كُلَّ نازحٍ قَرِيبا
خُيُوطُهُ كَأَنَّها العُرُوق   فيها الْحَيَاةُ والدَّمُ الدَّفُوق
إنْ ذَكَرُوا الصَّرْحَ وسُور بابِلِ   وافْتَخَرُوا بُبْرجِ بيزا المائل
والْهَرَم الأكبر عند الجيزة   شيده العزيزُ والعزيزة
وَقَصْرِ جَيْهان وحِصْنِ الصين   أَرْعَنَ رَدَّ صَوْلَةَ القرون
فَإنَّه عَجِيبَةُ الْعَجائبِ   يَعْجِزُ عَنْهُ وَصْفُ كُلِّ كاتب
يَؤُزُّ فى الْجُبِّ الْعَمِيقِ أَزّا   لما دنا منه الفؤادُ اهْتَزّا
ما أَنْسَ لا أَنْسَ وَقَدْ بُهِرْتُ   إذْ قَذَفَتْ وَاتِرْلُ بِى فسرت
فى هَوْلِ أَرضٍ صَيْفُها شتاؤُها   مُلَبَّد بسُحْبِها سماؤُها
فسرت لا أَعقِلُ فى الطريق   صِفْرًا من العدو والصديق
ناءٍ عن الأهل بعيدُ الدار   مُسْتَشْعِرَ الْحَيْرَة ذا أَفْكار
أَفْرَقُ من شَىْءٍ ومن لاشَىِّ   لا أَنا بالجانى ولا البرِىِّ
أَخَافُ أَن تَصْدِمَنى سَيَّاره   فالْمَشْىُ يَحْتَاج إلى مهاره
أَعْطَشُ لا أُهْدَى إلى شراب   بَيْنَ الوُجُوهِ الْبيضِ كالغراب

* ضاع أكثر هذه المزدوجة . فهذا ما علق بالذاكرة و بعضه أبيات ضاع ترتيبها .

أَسْأَلُ مُرْتَابا أَتِلْكَ حَانَهْ ... فِى بَلَدٍ فَصِيحُهُ الرُّطَانَهْ
أَخْتَلِسُ الْمَدْخَلَ فِى الْمَطَاعِمِ ... خَشْيَةَ طَرْفِ عَاذِرٍ أَوْ لَائِم
وَقَدْ أَظُنُّ نَظَرَ النَّواظِـر ... أَشَدَّ وَقْعًا من شبا البواتر
أَخَالُ كلَّ موضـعٍ مشغـولا ... وكلَّ أَمْـرٍ هَيِّن مهولا
وحَادِجٍ بِطَرْفٍ من طَرْفِهِ ... وَبَاسِـمٍ يُشْعِرُنِى بِعَطْفه
وذَاتِ طِفْلٍ أَسْكَتَتْ صَغِيرَها ... لَمَّا رَأَتْ مِنْ سَحْنَتِى دَيْجُورَها
لازلت ما بين اضطراب وقَلَقْ ... وأَرقٍ من سأَمِى بعد أَرق
ثم اسْتَقَرَّ بعد لَأْى قَلَقِى ... واعْتَدَلَتْ من الضَّلال طُرُقِى
وسِرْتُ للتَّاجِ وغَيْرِ التَّاجِ[1] ... وَمَسَّ كَفِّى كَفَّ ذاتِ العاج
لَنْدَنُ قد أَبْدَع فِيكِ لَامُ ... فَحَظُّ مِثْلى الْعِىُّ والْإِفْحَام[2]
يا فُرْضَةَ الْبَحْرِ وعِزَّ الْأَرْض ... ويا مدينةَ الجمـالِ المحض
سَوَادُكِ الشـائخُ والصَّبَابُ ... من تحته الصَّبْوَةُ والشباب
فَهَلْ رَأَيْتَ الطَّرَفَ الأَغرَّا ... وقائمًا أَبْلَخَ مُشْمَخِرًّا[3]
أَطَـلَّ من مَشَارِفِ السَّمَاءِ ... مِنْ حَوْلِهِ الأَنامُ كالهباء
الْحَرْبُ والأَمْـواجُ والصِّدام ... أَشْبَاحُهـا مِنْ حَوْلِهِ حمام
ما شئت من إبداع شاكسبيرا ... فى مثل همليت ومثل ليرا[4]

---

(١) التاج : اسم فندق .

(٢) لام : هو شارلس لام ، الأديب الكاتب المشهور .

(٣) تمثال نلسون .

(٤) هملت والملك لير قصتان لشكسبير . وعلق هذا البيت وحده بالذاكرة من بين سائر الأبيات التى تذكر المسرح وما إليه .

يَامَنْ رأى يعَقُوبَ والملاكا رأى عِراكاً ورأى اشتباكا[١]
وحـائرًا أسْوَانَ آدمِيًّا أمْسَى يُقَاسِى طَائفاً خَفِيًّا
صُنْعُ إبِشْتِينَ وصُنْعُ الله أنْتَ بِهِ عَنِ الْحَيَاةِ لاهى
هـذا هُوَ الْفَنُّ وهَذَا الشِّعْرُ فَيَا لَقَوْمِى جَهلُوا لَمْ يَدْرُوا

ياويحها

يا ويحها قد جاءت مخمـورةً وقـاءتْ
لو حرةٌ تفعل هذا بالشنار باءتْ
وحبذا الفتاة لمّا لمحةً تراءت
إخالها لما أريناها العزوف استاءت
قد صرّفتنا هذه الأقدر كيف شاءت
وهذه الآمال ندعوها فقد تناءت
طـال النهار طـولا والليل كان غـولا
ولا يـزال فكرنا مشغولا
يا صاحبت «البنابر»[٢] إنى غريبٌ زائـر
لا تطمعَنْ فإنَّ قِرْشى حاضِرْ

(١) تمثال صنعه إبستين وسماه يعقوب والملاك .

(٢) البنابر مفردها بنبر محرفة عن منبر ومعناها بلهجته العامية الكرسى الصغير .

هـذا القطـار قاما وأمـرنا استقامـا

عما قليل نركب التّرَامـا

ليس يرفُّ النّالُ[1] وأهطـع السّيـال

وملءُ نفسى هـذه الرمال

صاح الغلامُ الشّايا وغسّـل «الكُبّايا»

ثم التفتُّ لا أرى أخـايا

يا حبـذا المليحـه صورتهـا صبيحـه

نرنـو لها ونكرهُ الفضيحـة

صريفُ تَمْرٍ هندى ملءُ العيـون عنـدى

يا ليت شعرى هل يدوم بعدى

نعم سِجَارٌ حَـامدْ فى تلكمو الفـدافـد

ونحضر الصلاة فى المساجـد

وقيل منذ اليوم «سوق العربات كاسِدْ»

والشعر لا يقيمه هذا العروض الفاسد

وسُوِّدَ النكسُ الحقير وأُذِلَّ الماجد

ونحن نحيا والحيـاة كلها مكايد

وأنت ما أنت وجَدُّ الأرذلين صاعد

طـال النهـار طـولا ولا يزال فكرنا مشغولا

---

(١) النال ، ضرب من النبات له رائحة طيبة يكثر نماؤه عندنا .

الباب الثالث

المسمطات *

لندن

ديسمبر - ١٩٤٥

هَذِهِ لَنْدَنُ إِذْ نَحْنُ صِرْنا
مِنْ بَنِي لَندَنَ فَلْتَرْوِ عَنَّا
يوشِكُ اللُّبُّ بها أن يُجَنَّا
هِيَ كالْبَحْرِ وأَمْواجُه من
أَنْفُسٍ فارِحةٍ أو تُعَنَّى
دَعْ زِحامَ الطُّرُقَاتِ العنيفا
وأُلُوفاً رافِداتٍ أُلوفا
والمبانِي نَطَقَتْ بالمعانى
من عُصُورٍ عَتُقَتْ أو دَوَانى
وهى من تَحْت شحوبِ الدخان
تَعْرِضُ التَّارِيخَ صَحْوًا ودَجْنا

* القصائد المتنوعة القوافى .

آنِسَاتٌ دَلَفــــتْ نَاعِسـاتٌ
واثقبــــاتُ الخطو لاهَائِبــــاتٌ
لجهـــادِ الْعَيْشِ يَسْعَيْنَ خَطْفا
لايُبَالين هــــل الطــرفُ عَفَّــا
إذ رَنَا النَّـــاظِرُ أم لم يَعِفَّا
وشيُوخٌ أَفْنَوُا الْعُمْرَ كَـــدًّا
يَتَخَطَّوْنَ عَــلَى الجُهْــدِ مردا
مِنْ وُجُوهٍ أَبَدًا قَاطِبـــاتٍ
وثِيَـــاب دُهُمٍ شاحبـات
مُزْعَجـــاتٍ وتُرَى جامــدات
ورَذَاذُ الطَّــلِّ يَهْمِى ويُؤْوِى
كُلُّ بابٍ مِعْطَفــــاً مِنْ فَتَاةٍ
أَو فتىً أَو حَيْزَبُون عــوان
يَطْلُبُونَ الْعَيْشَ سَعْياً وجهــدا
فى وجــوهٍ أَبَدًا حــائرات
وثِيَـــابٍ أبدًا داكنـــات
وغيُـــومٍ أبـــدًا هاميـــات
وهى من تحت شحوب الدخــان
تتلقَّى الدهْرَ يَوْمــاً فيومـــا

وتَعُبُّ العَيْشَ دَنًّا فدنا
تَتَمَلَّى من حَيَــاةٍ وتَضْنى
أَتَرَى الصفَّ رَهِــينَ العَرَاءِ
لا يُبَــالى نَزَوات السماءِ
يَتَمَلَّى الْعَيْشَ هَوْناً وخَطْفا
خَشْيَةَ أَنْ يُنْسَفَ الْكَوْنُ نسفا
أَو تُرَى الدُّنْيَا جَمِيعًا تُعَفَّى

إنَّما لَنْدَنُ يَوْمٌ ولَيْــلٌ ماغَدٌ خَابَ جَهُولٌ تَأَنَّى
ماغَدٌ إنَّ غَدًا غَيْرُ آت ما غَدٌ إنَّ غَدًا لَيْسَ مِنَّا
وشُيُوخٌ كُلُّ هِمٍّ بِهَمٍّ[1]
هَــلْ تَأَسَّى إذْ تحَسَّى فَمَا لِلْعُونِ والْعُنَّسِ يَنْبِسْن نَبْسا
هَلْ تَرَى الْأَرْواح تلكَ الْغَريقه
زاريات بلحــاظِ الأَنــام
أَيَّ شيءٍ ما يُرِيدُ الرقيب
إنْ يَشَأْ فَلْيَتَمَتَّــعْ وإلاَّ
(هكذا الحبُّ وما شاءَ منَّا)
فَلْيَسِرْ غَـــيْرَ حَسُود مُـعَنًى

---

(١) الهم : بكسر الهاء هو الرجل الهرم الذي بلغ من السن مبلغاً بعيداً .

أَنْتِ يا لَنْدَن عُمْـرٌ وسحرُ
أَنْتِ شِعْرٌ أَنْتِ جَمْرٌ وخمر
أَنْتِ بَرْدٌ وضَبَابٌ وعطـرُ
أَنْتَ قصْرُ الْمَالِ قَصْرُ الْفَقِير
جَنَّةُ الْخُـلْدِ ورَوْضُ السَّعِير
عِنْدَكِ الأَنْفُسُ تَحْيا وتُبْنى
ولَدَيْكِ الحبُّ نَشْوانَ يُجْنَى
فَكِلاَ وَجْهَيْكِ يَسْبِي ويشجي
حَبَّـذا لَنْدَن سِحْرًا وفنـا
يُوشِكُ اللُّبُّ بِهِ أَنْ يُجَنا
هِىَ كالْبَحْرِ وأَمْواجُه مِنْ أَنْفُس فارحَـة أَوْ تُعَنَّى

الكأس التى تحطمت

أبريل – ١٩٤٦

أَتُرَى تَذْكُرلما أنْ دَخَلْنَا الْفُنْدُقَ الشَّامِخ
ذَاكَ الفندقَ الشامِخ فى لِيدِزَ
ذاك الرحْبَ ذاك الصاخِبَ الصامِتَ
ذاك الْهَائل الْمُرْعِبَ إِذْ كُنَّا معا

أنت واليانُوسُ والأُخرى التي تصحب اليانوسَ

والأَبصار ترمينا بمثل الرشقات

وسِهاماً خانِقات [1]

فَجَلَسْنا فى قَصِيٍّ ثُمَّ قُمْنا وجلسنا فى قريبٍ

زَاخِرٍ بالنور ضاح

نتساقى رَوْح إيناس وراح

وجدالٍ جِدُّه كان مِجَنَّا المُزَاح

والمِراح

فودِدْنا لو مَكَثْنا هكذا حتىَّ الصباح

لا نرى ألحاظ لاح

قد خَلَعْنا حَذَرَ الْغُرْبَة إلا هجسات

واضطراباً لابساً ثوب ثبات

كحياءِ الخَفِرات الحذراتِ الفطنات

لمَح الشرَّ وأَغْضَى النظرات

وَمَضَى مضطربا مُرْتَقِبا مُتَّخِذاً زِيَّ ثبات

يَتَوَقَّى الوثباتِ

ثمَّ لا أنسى إذ الكأْس رَذُوم [2]

---

(١) تنصب على إضمار فعل وإن شئت خفضت السهام .

(٢) رذوم — ملأى تسيل من جوانبها .

وإذ الجوُّ حَدِيثٌ ورنـــين

وإذ التَّبْغ عَلَى النور دُجُون

وإذ النَّاسُ جَلِيسٌ وأنيسٌ ونديم

كَيْفَ خَرَّ الكوبُ ذاك المترعُ الملآنُ للأَرْض وسالا

وهـــوى منكسِرًا مُنْفَطِـــرا

واكْتَسى وجهُك بالدهشة لوناً واسْتَحالا[1]

وإذا الـــدنيـــا سُـــكُون

وإذا الصَّمْتُ اللعـــين

يَتَمَطَّى وَيَرِين

وإذا الأَبوابُ والأَنوارُ والسَّقْفُ عُيُون

وحَسيسٌ هامِسٌ تَسْمَعُه الجدْرَان والشَّـــارِعُ والشُّرْطِيّ

هَمْسٌ واســـتياءُ

تَفْضَحُ الْخِسَّةُ مِنْهُ ويُواريهِ الرِّياءُ

فتجلَّدت على الكرسيِّ حينًا ونسيت الشعر موزوناً رصينا

وتلمَّتَّ إلى الأَعذار منها ما يؤاتى

تنسُبُ الشرَّ إلى الأقدار فى هذى الحياة

نَبَعَتْ فلسفة منك عن الدهر الخئون

---

(١) استحال – تغير .

وقضاءِ الله إذ يَسْبِقُ أَوْهَامَ الظنون
تَتَلاقى الْكُوبَ بالأَلفاظِ والكُوبُ تَحَطَّم
وتَهَشَّمْ
وَهَوَى يَسْمَعُهُ سَقْفٌ وباب
أَتَزُفُّ الْعِلْمَ للسامع فالسامِعُ أَعْلَمْ
أَتَسُبُّ الساخط الزارِيَ لا يُغْنِى السباب
ذَهَبَتْ كأْسُك كالوهم وسالت
وهَوتْ فى الفندقِ العامر ذاك الفندق الشامخ
ذاك المرعبِ الهائل ذاك الصامت الصاخبِ
دَوَّتْ فيه صـــالت

جلجلت

لا تشتم الأقدارَ لا يُغْنِى السباب
ذَهَبَتْ كأْسُك كالوهم وعَزَّاك الصحاب
لحظةٌ غَيَّبَهـــا ماضى الزمان
أنا لا أَذْكُرُهـــا إلا اعترانى
ضَحِكٌ يمـــلأُ حِسِّى وكِيَانى
أَفَـــلاَ تَذْكُرُهـــا ؟ ؟ ؟

سفر الصداقة

١٩٤٥*

قَد سَلَكُوا الْعَشْوَةَ فى لَيْلِهِمْ   وطَلَبُوا الرُّشْدَ فَقَــدْ أخطأُوا
بَعْدَ وِدَادٍ شامِلٍ أَصْبَحُوا   قُلُوبُهُمْ بالْحِقْدِ لا تهدأُ
سَاقَ ابْنَ عَفّانَ إلى حَتْفِهِ   قضاءُ رَبٍّ قَلَّما يُنْسَأُ [1]
ظَلَّتْ به الأمةُ فى فِتْنَــةٍ   يُوقِدُها الْبَغْىُ فما تطْفَأُ
ثُمَّ مضوا لم يَجْتَنُوا شُهْدَها   واتَّسَع القرح بما يُنْكَأُ [2]
فسائِلِ الْحَرَّةَ عن فِتْيَةٍ   ظَلَّت بها أعناقُهمْ تُوجَأُ [3]
ذلك حكمُ الله فى خلقه   ما أَسْرَع الحكمُ ولا أَبْطَأُوا

٢

مُرَوَّحٌ حلمُك أم عازِبُ   من دَهْرِ سَوْءٍ هَمُّهُ نَاصِبُ
قَدْ هَوَّنَ الأَرْزَاءَ أَنَّا إلى   مَنْهَلِ مَوْتٍ سَيْرُنا واصِبُ [4]
فَلْتَغْتَنِمْ لَذَّاتِ عَيْشٍ إذا   وَلَّتْ فَمَا يُدْرِكُها الطَّالب

---

* حذف من هذه الكلمة كثير واضيف إليها كثير بعد هذا التاريخ .

(١) قلما ينسأ : أى لا يؤخر .

(٢) نكأ القرح : فتحه قبل برئه فزاده سوءاً على سوء .

(٣) الحرة إشارة إلى وقعة الحرة وفظائع مسلم بن عقبة المرى .

(٤) أى شديد .

أَحْبِبْ بِهَا كَأْسًا سُلافِيَّةً ... مِن آلِ يُونانَ لها جَالِبُ

نُعِدُّها إِذْ شُعْشِعَتْ جُنَّةً ... مِنْ قَدَرٍ لَيْسَ له غالب

قَدْ سُلِّطَ الذَّرُّ عَلَى جُرْهُمٍ ... فَابْنُ مُضَاضٍ دَمْعُهُ سَاكِبُ [1]

مَتَاعُ أَيَّامٍ فَلاَ تَبْتَئِسْ ... عَيْشُكَ هَذَا كُلُّهُ ذَاهِب

فاشْرَبْ عَلَى نَفْسِكَ قَبْلَ الرَّدَى ... ذَاتَ حَبَابٍ لَذَّهَا الشَّارِبُ

إِذا تَحَسَّاها الفتى قال فى ... أَنْفِيَ مِنْهَا حَيَّةٌ سارب [2]

٣

هذا صديق لك أَكْرَمْتَهُ ... يَصُونُ بالإِحسان ما صُنْتَهُ

إِن غبت وافتك تحياتُه ... كالزَّنْبَقِ الْوَرْدِ تَنَسَّمْته [3]

قَرَّبْتَـــهُ تُمْعِنُ فى بِرِّهِ ... حَتَّى عَلَى سِرِّكَ أَطْلَعْتَه

تَضَنُّ بالشَّيْءِ نَفِيسًا فَإِنْ ... مَدَّ إِلَيْهِ الطَّرْفَ آثَرْتَهُ

أَبْرَمْتَ حَبْلَ الْوُدِّ حتَّى إِذا ... ما اشْتَدَّ واسْتَحْكَمَ قَطَّعْتَهُ

---

(١) هو الحرث بن مضاض الجرهمى القائل :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ويقال إن بنى جرهم أهلكهم الذر ، وهو صغار النمل . ويروى لإحدى الجرهميات أنها قالت ، وهى تطوف بالكعبة وترثى قومها :

أنت وهبت الفتيـة السلاهب ... ونعما يحسار فيها الحالب

وهجمة مثـل الجراد السارب ... متـاع أيـام وكل ذاهب

(٢) تكثر العرب فى شعرها من تشبيه الخمر بالحية تأخذ بالأنف .

(٣) إشارة إلى قول الأعشى :

والزنبق الورد من أردانها خضل .

ما غَيَّرَ الْمَنْهَلَ عَنْ حَالِهِ   كَدَّرَهُ الدَّهْرُ وكَدَّرْتَهُ
كم من خَسِيسٍ كان ذا بِغْضَةٍ   نَسِيتَ ما كان وقَرَّبْتَه
حَسِبْتَهُ يُغْنِي مكانَ الذى   بالأمس من قلبكَ وَدَّعْتَه
فَلْتَسْفَحِ الدَّمْعَ عَلَى عَهْدِهِ   ضَيَّعْتَهُ وَيْحَكَ ضَيَّعْتَه

٤

يا سائرًا أَدْلَجَ واللَّيْلُ دَاجْ[١]   إذ مَلأَ البدرُ المنير الفِجاجْ
أَلا تَرَى النِّيلَ وأَمْوَاجُهُ   تَلْبَسُ تَاجاً ذَهَبًا بَعْدَ تَاجْ[٢]
فانْعَمْ بِهذا الْحُسْنِ واعْلَمْ بِأَ   نَّ الْوُدَّ لَمْعٌ مِثْلُ لَمْعِ السراجْ
أَوْمَضَ حِينًا ثُمَّ يَفْنَى فَمَا   تُبصِرُ إلاَّ دَاجِياً وَسْطَ دَاجْ
وَيْحَكَ لا تَأْسَ عَلَى دَهْرِكَ الْ   مُعْوَجِّ بَلْ كُنْ مِثْلَهُ ذَا اعْوِجَاجْ[٣]
سَاقِ أَخَا الْوُدِّ عَلَى نَشْوَةٍ   صِرْفاً كَمَا سَاقَاكَ أَوْ ذَا مِزَاجْ[٤]
وإِنْ جَنَيْتَ السُّكْرَ مِنْ رَاحِهِ   فَاطْرَبْ ولا تَحْطِمْ كُئُوسَ الزُّجاج
أَبْقِ من الودِّ عَلَى سُؤْرِهِ   كَمْ بَسَمَ الرَّسْمُ لذى الشَّوْقِ عاج

---

(١) أدلج — سار ليلا .

(٢) يقال خاتم ذهب فيكون الاسم الجامد وصفاً وروى سيبويه مررت بواد عوفج كله بحر العرفج .

(٣) لا تأس أى لا تحزن .

(٤) أو شرابا ذا مزاج ولك أن تجعل ذا حالا من الفاعل .

(٥) السؤر — البقية تبقى فى الكوب . والرسم الطلل . وعاج أى عرج بتشديد الراء .

٥

كَنَّى عن المَحْبُوب أو لَمَّحا   يا وَيْحَهُ يَالَيْتَهُ صَرَّحا

أَمْسَى يُقَاسِي لاعجاتِ الأَسى   والحُبُّ إنْ يُكْتَمْ فَقَدْ بَرَّحا

يا ذا الثَّنَايا الْبِيضِ مَجْلُوَّةً   كَأَنَّها الْمُزْنُ إذا سَحْسَحا [1]

قَدْ خُلِقَ الْحُسْنُ نَعِيمَ الورى   وَجَنَّةَ العالَمِ إنْ صَوَّحا

هذا ودادى لك مَثَّلْتُه   نُورَ الضُّحَا يَنْتَظِمُ الصَّحْصَحا [2]

أو كَوْثَرَ النِّيلِ سَقَى ما سقى   وأَصلح الكون بما أَصلحا

فَخُذْ ودَادى سائغاً شُرْبُه   من قَبْلِ أَنْ يَكْدُرَ أَوْ يَمْلُحا

لَيْسَ شَفِيعُ الْحُسْنِ حَتْماً إلى الْ   قَلْبِ يُلاقى عِنْدَهُ مُسْمِحا

كم صَدَّنا الكِبْرُ وسِرُّ الحَشَى   مِنْ حُبِّ أَظْفارِكُمُ جُرِّحا [3]

لَوْ قَدْ قَدَرْنا لَمَحَوْنا الذى   فى النَّفْسِ من أَطْلالِكُمْ ما امَّحَى

٦

ما زَالَ فِيمَا بَيْنَنَا سائرٌ   يَغُورُ بالرِّيبَةِ أَو يُنْجِد

لَمْ يرجع الأَمرُ إلى عَهْدِهِ   إلا كما يَكْتَحِلُ الأَرْمَدُ

---

(١) الثنايا الأسنان وسحسح أى صب .

(٢) الصحصح المنبسط من الأرض .

(٣) إن شئت كان المعنى : « من حب الأظفار التى هى أنتم » وإن شئت حملته على القلب : أى من أظفار حبكم .

لولا التَّلاقِى أصبحت بيننا صَحْراءُ بَيْنٍ دُونَها فَدْفَدُ[1]
سَوْفَ يُرِيكَ الدَّهْرُ أَمْثَالَهُ ثُمَّتَ تَبْكى عَهْدَ مَنْ تَعْهَدُ
فَلْتَصُنِ الدَّمْعَ إلى مَوْقِفٍ تَمْرِى به الدَّمْعَ فما يَرْقُد
ما أَحْسَنَ الوُدَّ سوى أَنَّه يَفْنَى ولكن جُرْحُه يَخْلُد
هَوِّن عَلَى نَفْسِك آلامَها من الذى خُبِّرْتَهُ يَسْعَدُ

٧

يَبْتسم البرقُ عَلَى ثَغْره وتَخْطِرُ البهجةُ اذ يَخْطِر
وتلعبُ الخمرُ بـألبابنـــا ساعةَ يَرْنو طرفُهُ الأَحْوَر
لو ذهب الحسن على وجهه وَكَانَ مِنْهُ خُلُقٌ أَطهر[2]
لم يُلْفَ قَلْبٌ بعده خافقا أَو يُلْفَ دَمْعٌ بعده يَقْطِرُ
لا تقدِرِ الناسَ بأَخلاقهم فكلُّهمْ يظلم أَو يَفْجُر
والنـــاسُ خِبٌّ وطماعِيَةٌ والحبُّ نَبْعٌ أَبدًا يَخْسر
والنَّقْصُ فينا أَبدًا كامِنٌ نَأْشَرُ أَو نَقْلَقُ أَو نَغْدِرُ
يا طَلَلَ الحىِّ بذات الصَّفا لَقَدْ عَفَتْ بَهْجَتَك الأَعصرُ
عُجْنَا بذكراك لكأْسِ الطِّلاَ فَفَاحَ منها الْمِسْكُ والْعَنْبَرُ

---

(١) إشارة إلى قول المتنبى : يهماء تكذب فيها العين والأذن .

(٢) أى كان بدلا منه ومن هنا بمعنى البدل كما فى قول الفرزدق :

مشاعر من خز العراق المفوف

٨

كَمْ غَدْرَةٍ قَدْ نَسَجَتْ ثَوْبهـــا عَقِيلَةٌ فى الخِدْرِ لا تَبْرزُ
من ظَنَّ أَنَّ الجوهر الفردَ لا يُحْرِزُه من لُجِّهِ الْمُحْرِزُ
بَاعَتْ أَبَاها ضَيْزَناً ضَلَّةً والحَضْرَ إذ حاصره هُرْمُز[١]
غَـــرِيرَةٌ لاح لها بارِقٌ من الهوى ما وَعْدُه يُنْجَزُ
فَلَيْتَ أَنَّ القابرى حُسْنِها بما جَزَوْها من جُحُودٍ جُزُوا

٩

كَم غَادةٍ نَشَّأَهَـــا رَبُّها نَاعِمَـــةً بَيْنَ أَثَاثٍ وَرِيشْ
زُفَّتْ إلى بَعْلٍ لها سَيِّدٍ بِسَيْفِهِ الماضِى تُثَلُّ العُروشْ
مِثْلِ أَغامنـــونَ فى عِزِّه أَقْبَلَ من إِلْيُومَ يُزْجِى الْجُيُوشْ
يَنْتَهِبُ الْمَالَ وَيَسْبِى الْمَها فى جَحْفَلٍ تُجفِلُ عَنْهُ الوحوشْ
دَسَّتْ لَهُ فى صَدْرِهِ خَنْجَرًا فَخَرَّ كالذِّبْحِ أَمَامَ الْعَرِيشْ[٢]

---

(٢) الضيزن بن معاوية صاحب الحضر ، وكان قد امتنع على الملوك بحصنه هذا ، وكانت له بنت غاية فى الجمال فعشقت سابور ملك الفرس وأرته الطريقة السحرية التى يفتح بها الحصن فلما استولى على الحضر استشار ذوى مشورته فيها فأشاروا عليه بقتلها لأنها غدرت أباها ولا يؤمن أن تغدره . راجع مقدمة معجم ما استعجم .

(١) أغامنون ملك الإغريق ، ورئيسهم فى حرب طروادة وقتلته زوجه لما آب من طروادة منتصراً ومعه كساندرا بنة بريام الملك سبية وكانت فيما زعموا تنقم عليه أنه ضحى ابنتها افيجنايا لآلهة الإغريق قبل عبوره إلى طروادة وقد نسج شعراء الإغريق حول مصرع اجامنون هذا مأساة الكترا الرائعة وإليوم اسم آخر لطروادة . والذبح فى البيت أى الحيوان المذبوح بكسر الذال قد جاءت فى القرآن . والعريش البيت يبنى من القصب والخطب ويسمى فى اللهجة السودانية بهذا الاسم وأشهر من ذلك «راكوبه».

١٠

يَادُرَّةً لَوْ رَآءَهَا الغائِصُ ... فى ذى عُبَابٍ بَرْدُهُ قَارِص [١]

لاقْتَحَمَ اللُّجَّةَ ما رَاعَهُ ... مِخْلَبُ حَتْفٍ أَبَدًا قانِصُ

عَزَّتْ وكم أُرْخِصَ فى نَيْلها ... دَثْرُ اللُّهى والذَّهَبُ الخالص [٢]

وكل طَرْف زاهد قَلْبُه ... تِلْقَاءَهـا مُلْتَفِتٌ شاخص

لُجَّتُها الْقَلْبُ وأَصْدَافُهـا ... من الْهَوى ما يَمْحَصُ الماحص

من جَنَّة الفردوسِ مُسْتَخْلَصٌ ... فِرِنْدُها المُصْطَفِقُ الراقص

تَمْحُو الأَسى اللمْحةُ من طَيْفها ... والعيشُ لولا ذكرُها ناقص

١١

يَامَنْ لِقَلبٍ ضَغِنٍ أَو دوى ... بِنَارِ غَيْظٍ أَبَدًا مُكْتَوِى

أَنبتـغى لـؤلؤةً فَذَّةً ... أَلْوَى بِهَا مَطْلُ غَرِيم لوِى

أَنَطْلُبُ الْوُدَّ الذى قَدْ هوى ... من قُلَّةِ النيقِ بِهِ مُنْهَوِى [٣]

قَدْ خُلِقَ المرءُ حَلِيفَ الصَّدَى ... فَهْوَ من النعمةِ لا يرتوى

---

(١) أى قارس وراء — رأى .

(٢) الدثر هو المال الكثير واللهى المال هنا وتطلق على العطايا ومفردها لهوة والكلمة معروفة فى عاميتنا يقولون لهوة بكسر اللام يريدون ملء اليد من العجين .

(٣) النيق أعلى الجبل وهنا إشارة إلى قول يزيد بن الحكم : كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوى .

١٢

هَلْ مِنْ صديق غَيْرُ قَوْمٍ أَرَى بَرْقَهم مُبْتَعِـدًا يَمْلَعُ [١]
لَمْ أَدْرِ هَلْ يَكْذِبُنى لَمْعُه إذْ لاَحَ فى الظُّلْمَةِ أَمْ يَهْمَعُ
لَوْ دام فى بَيْدائه لامعـــا لا يُرْسِلُ الْغَيْثَ ولا يُقْلِعُ [٢]
إذَنْ كفانى منه تَلْمَاعُــه يُضِىءُ لى الآفاقَ إذْ يَسْطع
إن يَبْعُد الخِلُّ يَدُمْ وُدُّهُ بالشَّوْقِ أو تسلو فما تَفْجَعُ
بَايِنْ إذا ما اسْطَعْتَ لا قَالِياً ذلك فى حُكْمِ الهوى أَنْفَع [٣]
إن زُهَيْرًا قال من أَكْثَرَ التَّسْ آلَ مِلْحاحاً فَقَدْ يُمْنَعُ [٤]

١٣

أَجْلَسْتَها عَنْكَ بَعِيدًا كَأَنْ نَّ النفسَ عنها عَزَفَتْ جانِحَه [٥]
أَجْلَسْتَها عنك بَعِيدًا وفى الْ قَلْبِ إلَيْها رَغْبَةٌ جامحة
دَنَوْتَ منها حَذِرًا هائبا وأَغْمَضْتْ أَجْفَانَهــا السابحة

---

(١) ترفع غير على المحل نعتاً وعلى اللفظ ولك أن تنصب بأن تجعل الكلام قبلها تاماً وتكون هى استثناء.

(٢) يقلع – يكف.

(٣) باين أى ابتعد – قالياً أى كارهاً ومعادياً.

(٤) هذا فيه إشارة إلى بيت المعلقة المشهور.

(٥) أى حال كونها جانحة إليها ولك أن تتأول خلاف هذا بأن تجعل الجنوح عزوفاً.

لَمسْتَ لَمْسًا رَاعِشاً ثَغْرَهــا فَلَذَعَتْكَ الْجَمْرَةُ اللافحه
يَا لَيْلَةً لَسْتُ بناسٍ لها مِنْ ذِكْرَياتِ الْعُمُرِ الصالحه

١٤

أَبْكِي عَلَى نَفْسِيَ مِنْ حَسْرَةٍ ولا أَرَى فى الْعَيْشِ من مذهب
وهل ترَانى أَنَّنِى نَافِعِى عَقْلِيَ ذُو الْوَقْدَةِ كالكوكب
يا لَيْتَنِى لم أَدْرِ حَرْفاً ولم أَجُبْ مدى الْمَشْرِق والمغرب

١٥

قَدْ أَعْذَرَ الْكَهْلُ عَلَى بُخْلِهِ فَلَيْتَ شعرى كَيْفَ عُذْرُ الفتى
كَمْ فى بنى عَمِّك من مُعْرِضٍ عنك اذا عارض خطْبٍ أَتى
فاسْتَشْعِرِ الْعِزَّةَ من لُؤْمِهِمْ خَشْيَةَ من يَوشِكُ أَن يَشْمَتا

١٦

يا رَحْمَـــةَ اللهِ على والـــدِ لى كان يتلو السُّبْعَ قَبْلَ الْغَلَسْ*
ورَحْمَةُ اللهِ على رَبْـعٍ آ بائى عَفَتْ آثاره واندرس
صَبْرًا على الْأَيَّام حَتى ترى النَّـ فْسُ منها أو يَزُولَ النَّفَسْ

* توفى والدى رحمه الله فى ١٨ من مارس ١٩٢٤ وختم عليه نحو من مائة ختمة .

١٧

ياحبَّذا الدامَرُ والمسجد العامِرُ والبئْر بها مَرْيم [١]

« وبلِّغ اللهم » قراؤها الفصيحُ والمُتَمِلُ الأَعجم [٢]

ما أنا والعيش وقاسيتُهُ كأَنَّهُ الصَّابُ أَو العلقَمُ

وخِلْتُنِى لى سَلَفٌ صالحٌ أغرُّ من سِنْخِىَ أَو أَكرم

يَقْرأُ من جَيِّدِ ما أَنشأَ الـ ماضونَ والشِّعْرِ الذى أَحْكموا

ويَجْتلى فى هَدَآت الدُّجى عرائِس النظم التى أَنظم

١٨

يا ليلةً لو ذاقهـا النَّابغه مُرْسلةٌ آلامهـا بالِغَهْ

كأَنَّما تَنْفِثُ أَحشاؤها السُّـ ود سُمُومَ الحيَّةِ اللادِغَه

لبِسْتُها أَذكُرُ خِلاًّ نأَى كانت أَيادى فَضْلِهِ سَابِغَه

فأَشْرَبُ الراح على ذِكْرِهِ وأُتْبِعُ الْمُتْـأَقَةَ الفارغَه

لَذَّتْ وما شعْشَعَها شادِنٌ وهى على سَوْرتِها سائِغه [٣]

---

(١) مريم جارية شيخة كانت تخدم المسجد .

(٢) « بلغ اللهم » هذه صلاة مولد النفحات الليلية للشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين ، وتمامها « بلغ اللهم روحه الشريفة ، صلوات طيبة منيفة ، اللهم صل وسلم وبارك عليه » . وكان المولد يقرأ مرتين كل أسبوع . وكان فى المسجد قوم أعاجم يجتهدون فى حفظ القرآن والعربية فهذا اهتمامهم .

(١) هنا إشارة إلى ما كان يزعمه العرب من سعى الساقى عليهم بالكأس . وسورة الخمر — شدتها .

تِلْكَ ليالٍ إنْ تَعُدْ مَرَّةً بل الليالى خَبَّةٌ رائغه

١٩

كم ينصر الحقَّ أخو ضَلَّةٍ يُرِيدُ بَيْنَ الناس أَنْ يَشْرُفا
كم زاهدٍ فى العيش من قبلنـا يَطْلُبُه فى سِرِّهِ مُلْحِفا
عِفَّ عن الناس وعَنْ شُكْرِهم تُمْسِ أخا المكْرُمَةِ الأَشرفا
الودُّ كالمَطْعَم تَهْنا به وَرُبَّما أَتْخَمَ أو أَدْنَفـا [١]
فلا تُذِلَّ الْقَلْبَ إلا لدى غَانِيَةٍ تَرْقُبُ أَنْ تُسْعِفا

٢٠

كَمْ صاحب وَادَدْتُه مُخْلِصًا بَتَّ حِبَالَ الوُدِّ ثُمَّ انْطَلَقْ
رَفَوْتُ لاَ أَيْأَس أَسْمَالَهُ وَكَيْفَ تُرْفَى بَالِيَاتُ الْخِرَق
ثُمَّ لَبِسْتُ الدَّمْعَ ذَا عَبْرَةٍ لَوْ لَبِسَتْ قَفْرًا جَدِيبًا بَرَقْ
لا تَطْرُدِ الْهَمَّ بكأْسِ الطِّلا صَفَّقَها ذُو طُرَّةٍ مُنْتَطِق [٢]
لكن بكأْسِ الشِّعْرِ يَصْفُو بها إذا صَفَا مَنْهَلُ عَيْشٍ رَنِق [٣]
مَا قُضُبُ الريحانِ فَوَّاحَـةً يشمُّها الْمُتَّكِئُ الْمُرْتَفِقْ [٤]

---

(١) تهنا — تهنأ . أدنف أى سبب الدنف وهو المرض .

(٢) تذكر العرب فى أشعارها الساقى وتصفه بالطرة وهى اللمة تصفف بشكل خاص بشكل خاص وتصفه بالانتطاق وهو أن يشد حزاماً فى وسطه .

(٣) إذا صفا : الضمير يعود على الشعر وإن شئت قلت : صفت ، فأعدته على الكأس . الرنق : بفتح النون وكسرها : أى الكدر .

(٤) هذا فيه إشارة إلى قول الأعشى : نازعتهم قضب الريحان متكئاً — يروى مرتفقاً .

يَوْماً بأَزْكَى من وداد الْحِجَا بالْعَقْل رَيًّا مِسْكِهِ تُنْتَشَقْ
لا تَقْرَبُ الفحشاءُ منه ولا يَنْطِق بالهُجْرِ إذا ما نَطَقْ [١]
ذاك ودادٌ راسِخٌ عهده قَلْبُ أخى الفضل به مُعْتَلِقْ

٢١

يَأَيُّها الصَّادِحُ فَوْقَ السَّيَالْ لا زِلْتَ فى خَفْضٍ ونَعْماءِ بَالْ
كَمْ مِنْ خَلِيلٍ كُنْتُ أَكْرَمْتُهُ قَطَّعَ ما أَبْرَمْتُهُ من حبال [٢]
من لم يُكَرِّمْكَ ولو مَازِحًا فَهوَ عَدُوٌّ جُهْدَهُ غَيْرُ آل [٣]
فاسْتُرْ عَلَى خِلِّكَ زَلَّاتِهِ واعْلَمْ بأَنَّ الوُدَّ دانى الزوال
لا تَتَّخِذْ من عِرْضِهِ مَرْتَعًا فذلك الْمَرْتَعُ غَيْرُ الحلال
أَرْقَعُ بالى الوُدِّ خَوْفاً من الْ عُرْىِ فَهَلْ مِنْ مُطْرَفٍ بَعْدَ بال [٤]

٢٢

غَدَوْا على حرْدٍ وكُلٌّ أَثِيمْ فَأَصْبَحَتْ جَنَّتُهمْ كالصَّرِيمْ [٥]
ثُمَّ تَسَاقَوْا نَدَماً طعمه كالشَّرْى أو شِيبٍ بمثل الحميم [٦]

---

(١) الهجر : بضم الهاء هو النابى من القول .

(٢) أبرمته : أحكمت فتله والعامة تقول برمته .

(٣) آل أى آلى من ألا يألو إذا قصر ولم يجتهد .

(٤) المطرف هو الجديد . والمطرف هو الثوب .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : «وغدوا على حرد قادرين» وفسر الحرد بالقصد وبالغضب والفصل الأول من الأمالى يبحث فى هذا . والشطر الثانى يشير إلى قوله : «فأصبحت كالصريم» وفسر الصريم بالليل .

(٦) الشرى هو الحنظل والحميم شراب أهل النار .

لا يَذْهَبَنْ من بَعْدِهِمْ حَسْرَةً قَلْبُكَ فالصَّبْرُ عزاءٌ عَظِيمْ
رأيتُ نَجْمَ الكأْسِ فى حَيْرَةٍ طَالَ بها مَسْرَاىَ بَيْنَ الهُمُوم
رَمَقْتُهُ ثُمَّ أَتَى دُونَهُ غَيْمٌ من النَّوْمِ يُدَاوِى السَّقِيمْ
يأَيُّها النازِحُ كَمْ ذِكْرَةٍ هَيَّجَها مِنْكَ هُبُوبُ النسيم
ولامِعٌ فى الرَّمْلِ عند الضحا وَبَارِقٌ بَيْنَ سَحَابٍ سَجُوم
ما جَبَلا نَعْمَانَ إِذْ أَخْلَصَا نَفْحَةَ مَوْدُودٍ حبيب حميم [١]
كَجَبَلَىْ تَاكَةَ إِذْ أَشْرَفا حُبُّهما فى أَضْلُعى ما يَرِيم [٢]
دَعْنى أُرِقْ دَمْعِىَ إِنَّ الْبُكا يُعِينُ ذا القلبِ الجريح الكليم
فارَقْتُ أَحبابِىَ بَلْ فارَقُوا وبَدَّلُوا عَهْدَ وِدَادٍ قديم
فَسَوْفَ يَجْزِيهِمْ عَلَى غَدْرِهِمْ رَبٌّ عَزِيزٌ وَشَفِيعٌ حكيم [٣]

٢٣

دَجَتْ ظنون تَبِعَتْها ظنونْ وجهل الصائنُ ماذا يصونْ
ثم مضى الوُدُّ كأَن لم يكن إلا شُئُونًا تَمْتَرِيها شجون [٤]

---

(١) إشارة إلى قوله — أيا جبلى نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

(٢) يريم — يذهب والتاكة اسم آخر لبلدة كسلا وجبلاها هما مكرام وجبل الختمية وبها قضيت أكثر العقد الأول من عمرى .

(٣) الشفيع هو النبي صلى الله عليه وسلم وفى هذا البيت نظر إلى قول الآخر :
صلى على يحيى وأشياعه رب غفور وشفيع مطاع
ويحيى هذا كان أحد أصحاب المصعب بن الزبير رضى الله عنه .

(٤) أى إلا مدامع تستدرها الذكرى ونحوها من الأشجان .

وزفرة تشعل جمر الأَسى يطفئها اليأْس بدمع العيون
أَين رياضُ الود مفترة أَنوارُها يَرْمُقُها الناظرون
إذ تَسْكَرُ النفس من النفس لا يَلَذُّ راحاً مِثْلَها الشاربون
وَيخْلُص السر الى السرِّ لا يَخَافُ من ريب الزمان الخئون
وينطوى العمرُ إلى (الآنَ) لا (كانَ) ولا ما فى غد قد يكون
تَخْفِقُ فى الأَمْنِ طيُورُ الهوى هل علمت أَن سَتُهَاضُ الوكون[1]

٢٤

ذلك ذِكْرٌ فتعلَّل بهِ نلت به الودَّ كما تشتهى
كل امرئٍ يَوْماً يَنَالُ المنى لو أَنَّهُ فى غَايَةٍ يَنْتَهى
لكننا نَسْرى على مجهل وَنَنْظِمُ المَهْمَهَ بالمهمه[2]
قد اجتهدنا فى سبيل الهوى حَتَّى رجعنا بقُوىً نُقَّه[3]
لو أننا كنا اعْتَدَلْنَا إذن ظَلْنَا لدى أَفْيَائه نلتهى[4]

٢٥

إنْ شِئْتَ وُدًّا أَبدًا باقيا مُمْتَلِئًا مَوْرِدُهُ صافيا
فلا تعاتِبْ أَبدًا خِلَّكَ الـ أَقْرَبَ فى جَمْعٍ ولَوْ لاهيا

---

(١) الوكون كالوكور فى المعنى .
(٢) المهمه : الصحراء الخالية التى لا يهتدى فيها .
(٣) أى بقوى معييات .
(٤) الأفياء : الظلال .

وكُنْ رفيقًا أنت فى عَتْبِه تَجِدْهُ سَمْحاً قلبه راضيا
إنَّك لو فى ملأ عِبْتَهُ كُنْتَ عَلَيْه سَمِجًا باغيا
لا تَصْلُحُ الأَنْفُسُ إلاَّ بما يُلِينُ منها طَبْعَها الجافيا
أَخوك ذو النُّصْحِ ولكن إذا أسـ تَنْصَحْتَه منفردًا خاليا
أَنت تُدارِى حَنِقًا حاسدًا يَحْمِلُ قلبًا وَصِبًا واريا
فكيف بالخلِّ فذاك الذى تريده ذا مِقَةٍ دانيا
الساعدَ الأَيْمَنَ فى الأَزْلِ وال كابتَ أَعداءَك والكاويا [1]
والأُنْسَ والبهجةَ فى مجلس يَسْحَبُ ذَيْل المَرَح الضَّافيا
فإن يُصِبْك الدهرُ مكروههُ تُلْفِ لَدَيْهِ طِبَّك الشَّافيا [2]
أو حَزَّ أَحشاءَك جَمْرُ الأَسى تَجدْ عزاءً لُطْفَهُ الآسيا [3]

٢٦

جَلَوتُها من فِكْرِىَ الناقدِ خَرِيدَةً من خَفِرَاتَ الْجِنَان
إلى مضىءٍ عَقْلُهُ وَاقــدِ مُهَذَّبِ النَّفْسِ نَبِيل الجنَانْ

---

(١) الأزل : الشدة .
(٢) مكروهه : بدل اشتمال من الدهر .
(٣) الآسيا : المداويا .

٢٧

هَاكَ من الْحِكْمَةِ مَخْزُونَها عَتَّقْتُ هذا الدَّنَّ للسابئ[١]
فَخُـذْ من الآراءِ مَكْنُونَها سِفْرِىَ هذا نُزْهَةُ القارئ

قيس وليلى

١٩٤٦

الرواى — قَرَّب الحبُّ بين قَيْس وليلى
يَطَّبيه جمالُها أيها الذاهِلُ هَلاَّ وَرَدْتَ منى هَلاَّ
فهى فى قلبه من السَّهَرِ الْمُرْهِقِ حتى يرى الصباح تجلى
وَيودُّ الساعاتِ لو يختفينا
وشُخُوصَ الزمان لو ينطوينا
كُلَّما خال ساعة من وصال
أَبْصَر الْهَجْرَ وهو كالسَّيف سُلَّا
وَقَفَتْ فى سبيله فَلَوات
من حياة لا تبصر السهل سهلا
تبْصِرُ العار كُلَّ شىء ولا تَعرِفُ إلا دَفْع الرذيلةِ فضلا
المجنون — أين ليلى وأين أين التلاقى
أين ليلى قد رَوَّعت بالفراق

---

(١) السابئ : هو الذى يشترى الدن ..

الراوى — وسقاه الحِرْمانُ صابا من الآلام

والهوى والهُيَام ضرب من الأَسقام

فهو يدعو الآمالَ وهى بعيدٌ

يَنْظِمُ الشعر إن فى الشعر ما يُسعِدُ من صاحبَ الحياةَ فضلا

سلك البيدَ هائماً فى قفار

شاسعاتٍ نُسِجْنَ بالريح كالأمواج

يتهادى السرابُ فيهنَّ كالساحرِ دَبَّتْ به المَنِيَّةُ صِلاّ

تلمع الشَّمْسُ فوقهنَّ بنيران

وترى الضَّال والسيال تَنَاثَرْنَ يُمَنِّين راكب القيظ ظلاَّ

وَكَسَاها ثوبُ السوادِ نجوماً

خافقاتٍ تَؤُلُّ فى الرمل أَلاَّ[1]

وَتَجَلَّى فى القُبَّةِ القمرُ البا

هر يَكْسُو الكثبان نُورًا رِفَلَّا

فيُلاقى قَيْسٌ من الأُدْم والآرام[2] عِينًا أَوابدًا واجساتٍ

مُرْضِعاتٍ وغَيْرها مطفِلاتٍ

قد تَأَلَّفْنَه وأَلَّف منهن

صِحاباً ود المعرىُّ لو كُنَّ

(١) أى تلمع لمعاً .

(٢) الأدم والآرام : الظباء — والأوابد التى تسكن الخلاء .

صِحَاباً له ليأْمنَ شَرَّ الناس

المجنون ــ هَلَّا دَنوْتِ مِنِّىَ هَلاَّ

الراوى ــ وهى فى قَلْبِه وملءُ حَواشِيه تَهادَى فى لَيْتِهِ ولَعَلَّا

كل عيناءَ تَرْهَبُ الإِنس تَدْنو منه

العين ــ يَا قَيْسُ مَرْحَبًا حَيَّهَــلا

المجنون ــ أَيْنَ لَيْلَى وأَيْنَ أَيْنَ التلاقى

أَيْنَ ليلى قد رَوَّعت بالفراق

العين ــ قَيْسُ ياقيس مرحباً حيهلا

المجنون ــ أَيْنَ لَيْلَى فإِنَّكُنَّ صَدِيق

العين ــ قَيْسُ يَا قَيْسُ مَرْحَباً حَيَّهلا

المجنون ــ أَيْنَ ليلى وأَين أَين التلاقى

العين ــ نَحْنُ لَيْلى ياقيس نحن صديق

غنِّ ياقيس لا تَرُعْكَ البروق

لمعت من خيام ليلى البروق

المجنون ــ أَين ليلى

العين ــ يا قيس يا قيس

المجنون ــ ليلى

أَين ليلى وأَين أَين التلاقى

العين — قيس يا قيس مرحباً حيهلا

الراوى — كلُّ عيناءَ ترهب الإنس تدنو

يتلفتن للحسيس ويسمعن نشيد المجنون دقَّ وجلاَّ

صوتها صوته بُغَامٌ وتهماس رفيقٌ

أَقوى من الدهر حَوْلا

وتُدَوِّى أَصداوه الحمر فى البيد

وتحيا بعد الرمال وتبلى

من بنات الحرمانِ

تزفر كالبركانِ

قيسُ ليلى إلى الغَيْثِ ليلى

العين — قيسُ

قيس — ليلى

الراوى — وأَين ليلى وأَين الحبُّ لولا قيس تعلَّق ليلى .

ترنم

(لندن ــ ١٩٤٧)

تلك الفراشةُ ليتها تهفو إلى هذا الرمادِ ،

أبى الوجودُ له الخمودَ ، بل القيودُ ، له الوقودَ ،

هُوَ الرَّمادُ ويالهُ زَلَقًا هَوَى

سَقَرُ الهوى ، فيها التَّوى ، هلاَّ أوى ،

صِلٌّ إلى صدرى صريحٌ سُمُّه ويشوقنى بين الأَضْالع ضَمُّه

ويَلَذُّنى والنفسُ فى موتِ الكرى طَيْفٌ يرفرفُ بالحياةِ مُلِمُّه

ولقد أصابَ القلْبَ فى سودائِه زهرٌ إلى نفْسِى حبيبٌ شمُّه

أنروم فى الدنيا الخلودَ أم الجحودَ لما حَبَى الرحمنُ من

هذا الدم الفوَّار فى الأَعْراقِ ،

فى الأَرزاق ، فى هذا النفاقِ ،

الكارهِ الإِنفاقِ من كنز الهوى ،

يَخْشَى الرَّدى فى ثَوْرَةِ الجسم الجموحِ

وصيحة الخوفِ النصوحِ

يصيحُ قدمات الهوى وهنا ثوى ــ

صِلٌّ صريحٌ سُمُّه ويشوقنى بين الأَضالع ضَمُّه

---

(١) إشارة إلى قصة كليوبترة والثعابين .

أنيابهُ فرّاسةٌ براقةٌ خَفّاقَةْ
تُهْدى الحيا
تهدى الحَبَابَ ، هو العذابُ ، هو اللمى
والحية الرقطاء فى الفردوس أغْوَت آدما
يأبى الحجا —
والعلمُ صحراءٌ من الأَعلامِ :
أعلامِ القبائلِ والفهارِسِ والجدالِ —
حياتنا ضاعتْ سدى
أنحوطها بوساوس المُثُل العَليَّةِ ؟
والخيوطِ ؟ خيوط بيت العنكبوتِ ،
ذبابُها أنفاسنا ، ونفوسنا ، وزماننا ،
هذا الزمان المُمْحِلُ !

مالى صَبَوْتُ وشاقنى ذاك اللمى وطفِقْتُ يدعونى الوقارُ فأذْهَل
وأَقامَ فى الفردوس شيطانُ الهوى قَلِقًا ومأْواه الجحيمُ المُشْعَلُ
والشِّعْرُ سَيْفٌ لا تصولُ بحدِّه إلا وأَنْتَ لشَفْرَتَيْهِ مَقْتل
تربدُّ من عَصْفِ الزمان وُجُوهنا ونَجِدُّ فى سَفَر الحياةِ ونَهْزِل
والقَلْبُ ذوّاقٌ يَشُوقُ لَهَاتَهُ بُشْرُ الشبابِ وزَهْوُه المتهدِّل
للَّهو آونة تَمُرُّ وللردى سَيْفٌ يكر فما لنا نَتَمهَّل

خواطر مقيدة

١

لَقَدْ طَالَ اغْتِرَابُكَ يَا عُبَيْدُ وَمَا لِلْمَرْءِ بِالأَيَّامِ أَيْدُ
فَقَدْ أَرْدَتْ سَوَادَةَ وَهْوَ شَرْخٌ وَمَا أَمِنَ السِّقَاطَ بِهَا سُوَيْدُ[١]
وما لِلْمَرْءِ إِنْ جَارَتْ عَلَيْهِ خطوبُ الدهر والأَقدارِ كيد
وما يُجْدِى اذا طَغَت الليالى حثيثُ السَّيْرِ مِنْكَ ولا الرُّوَيْدُ
وَلَيْسَ الحُبُّ يَشْفِي مِنْ أَذَاها إذا جَادَتْ لَمِيسُ أَوْ هُنَيْد
لَقَدْ طَالَ اغْتِرَابُكَ لَيْسَ عَنْهُ وإِنْ نَازَعْتَ كالظَّمْآنِ حَيْدُ

٢

غَرِيبٌ فِى دِيارِكَ لَسْتَ منها فَمالَكَ كالْغَرِيبِ الدَّارِ عَوْدُ
وجَفَّ الدمعُ من يأْسٍ طويل وذو الآمالِ منه الدمعُ جَوْدُ[٢]
وَفَرْعُكَ مِثْلُ جُنْحِ اللَّيْلِ جَوْنٌ وَكَمْ قَدْ شَابَ بِالتَّهْمَامِ فَوْدُ
تَحِنُّ إِلى دِيارٍ نَائِيَاتٍ كَمَا قَدْ حَنَّ لِلْأَعْطانِ عَوْدُ[٣]

---

(١) سوادة هو ابن جرير الشاعر وقد مات شاباً ورثاه أبوه بكلمة مشهورة . وسويد هو ابن أبي كاهل من شعراء المفضليات وهو القائل :

كيف يرجون سقاطى بعد ما جلل الرأس بياض وصلع

وقد استشهد الحجاج بن يوسف بهذا البيت يوم رستقاباذ

(٢) الجود : بسكون الواو وفتح الجيم : السحاب الغزير .

(٣) العود بفتح العين وسكون الواو : المسن من الإبل . والأعطان : حظائر الإبل التى تألفها .

دِيَارُ الْوَهْمِ لا فِيهِنَّ غَـوْرٌ وَلاَ نَجدٌ ولا فِيهِنَّ طَوْدُ
ولا شِيبٌ ولا شُبَّانَ فيها ولا عُونٌ ولا عَذْرَاءُ خَوْد

٣

دِيَارُ الْوَهْم لا تَعْفُو وَلَكِنْ بِها الذِّكْرَى تَراءَى مِنْ بَعِيدِ
وساعات طَوَاها من حَيَاتِى زَمَانٌ جَائِرٌ طَىَّ البُرُودِ
عَلَىَّ غُبَارُهَا سَافٍ وَكَانَتْ تُحَيِّينِى كَمُفْتَرِّ الْوُرُودِ
وَقِدْماً كُنْتُ كالآمال طَلْقاً فَما لىَ يَابِساً يُبْسَ الحديد
وكُنْتُ إلى السَّمَاءِ أَمُدُّ طَرْفِى فَهأَنَذَا أُصَوِّبُ فى الصَّعِيدِ
وكُنْتُ أَوَدُّ خُلاَّنِى فأُلْفَى وَلَسْتُ لَهُمْ كَعَهْدِىَ بالوُدُود
وَهُمْ لَيْسُوا كَعَهْدِهِم قَدِيماً كَذَاكَ يَكُونُ تَبْديلُ الْعُهُود

٤

هِىَ الْأَيَّامُ تَلْقَاها بَهِيجـاً وَتَحْسِبُ أَنَّها تُزْجِى سُعُودا
وَقَدْ أَخْنَتْ عَلَى عَادٍ قَـدِيماً وَأَخْنَتْ قَبْلَ ذَاكَ على ثمودا
ومـا لَذَّاتُنَا إلاَّ خِـلاَسٌ كَحَسْوَةِ طَائِرٍ خَافَ الْوُرُودا
تُرِينَا من جَمَالِ الرَّوْضِ سِحْرًا وللإِغْـرَاءِ زَيَّنَتِ الْخُدُودا
وكم رَوْضٍ تُصَيِّرُهُ هَشِيمًا وَكَمْ خَدٍّ تُوَسِّدُه الصعيدا
وَقِيلَ الْمَوْتُ يَشْفِى مِنْ أَذَاهـا إِذَا بُدِّلْتَ من دَارٍ لحودا

كَمَا قِيلَ الْحِمامُ فَنَاءُ نَفْسٍ ... تُؤَمِّلُ مِنْ طَمَاعَتِها الْخُلُودا
ولولا جَذْوَةُ الإيمانِ فِينَـا ... لكَانَ الصَّبْرُ أَوْشَكَ أَن يبيدا

٥

وَلَيْسَ الْعَيْشُ الاَّ مِثْلَ بَرْقٍ ... يَشِعُّ على ظَلَامٍ حِنْدِسِيِّ
فَيَا عَجَبًا لَنَا نَبْنِى صُرُوحاً ... نُشَيِّدُها من الأَمَلِ الْفَتِيِّ
وَنَرْتَقِبُ الْخُلُودَ وَقَدْ حَوَتْنـا ... مَخَالِبُ من يَدِ الْمَوْتِ الْقَوِيِّ
فَقُلْ فِى لَوْعَةٍ تَفرِى ضُـلُوعاً ... وَغُلَّةِ حَائمٍ مِنْ غَيْرِ رِيِّ

٦

ويا لَلنَّاسِ أَعـداءً تَرَاءَوْا ... بأَصْنَـافِ الْمَحَبَّـةِ والْوِدَادِ
ولو كَشَّفْتَهُمْ لوَجَدْتَ مِنْهُمْ ... سَوَادَ الْحِقْدِ فى عَلَقِ الفؤاد
وما يَبْغُونَ من دُنْيَا رَمَتْهُمْ ... بِأَعْبَاءٍ تَهُـدُّهُمُ شـداد
وما إِنْ يُدْرِكُونَ سِوى حُطَامٍ ... وَشِيكاً مَا يَصِيرُ إِلى النَّفَادِ
تَـأَمَّلْ هَلْ تَرى إِلا نِفَاقاً ... وَحَوْلَكَ هَلْ ترى إِلاَّ الأَعادى
ونَفْسَكَ هل ترى إِلا مَشِيجاً ... من الإِسفافِ والهِمَمِ البعاد
وَكَيْفَ تَتُوقُ لِلعَلْيَاءِ نَفْسٌ ... إِلى الآثامِ مُسْلَمَةُ الْقِيَادِ

٧

وَكَيْفَ يُبَلَّغُ الإِنْسَانُ خَيْرًا ... وَنَهْجُ الْخَيْرِ أَشْرَسُ لا يُرَام
وَمَنْ طَلَبَ الْمَحَبَّةَ فَهْىَ أَمْرٌ ... تَقَطَّعُ دونه الْهِمَمُ العظام
وما يَبْغِى الشُّيُوعِيُّونَ إِلاَّ ... وَقُودَ الْحَرْبِ إِنْ قالوا : (السلامُ)
وما يَبْغِى الْهُدَى الإِخْوَانُ يَوْماً ... وان لَبِسُوا مُسُوحَهُمُ وآمُوا[1]
فلا تَخْدَعْكَ أَلْسِنَةٌ عِذَابٌ ... بَوَاطِنُهُنَّ فِيهِنَّ السِّمَامُ
وَدَعْ عَنْكَ السِّيَاسَةَ إِنَّ منها ... رَبِيعًا نَبْتُهُ الْقَوْمُ اللِّئَامُ

٨

تَغَنَّى بِالنِّسَاءِ أَخُو ضَلالٍ ... وَمَا قَلْبُ الْمُعَنَّى والنِّسَاءُ
وَكَيْفَ يَكونُ فى الأَحشاءِ عِشْقٌ ... ودُونَ الْعِشْقِ من هَمٍّ غِشَاءُ
وَكَيْفَ نَرَى الجمال وَحَلَّأَتْنَا ... مَوَارِدُه وأَكْبُدُنَا ظِمَاءُ[2]
وَضَاعَ الْعُمْرُ أَكْثَرُهُ هَبَاءً ... وَهَلْ يُغْنِيكَ ان جُمِعَ الهباءُ
وما طَعْمُ الْحَيَاةِ وَلَيْسَ فيها ... أَمَامٌ تَبْتَغِيهِ أَوْ وَرَاءُ
ولا رُشْدٌ فَتَطْلُبَهُ حَثِيثاً ... ولا غَىٌّ يكونُ به عَزَاءُ
ونَكْدَحُ يَا لَهُ من كَدْحِ سَوْءٍ ... كَمَا كَدَحَ الْعَبِيدُ الأَشْقِيَاءُ

---

(١) وآموا أى تركوا النساء وترهبوا .

(٢) حلأته عن الشراب أى منعته ويسمى سيدنا الحسين رضى الله عنه : المحلأ لأنه منع من الماء قبل أن يقتل وهنا نسبنا التحلئة إلى الموارد نفسها .

٩

بَكَى مِنْ طُولِ لَيْلَتِهِ عَدِيٌّ ... فَكَيْفَ الَّليْلُ لو نَظَمَ الشُّهورا[١]

وكيف الليل أيام تَقَضَّى ... وأعوامٌ تَمُرُّ ولا سُرورا

وكَيْفَ الَّليْل والآمال مَحَّتْ ... وآضَ الْقَلْبُ مُحْتَزِنًا كسيرا

وهذا الْعُمْرُ رَوْنَقُهُ تَوَلَّى ... وقِدْماً ما سَعِدْتُ به نضيرا

وقِدْماً كادنى دَهْرى فَأَلْفَى ... على أَحْدَاثِهِ جَلِدًا صَبُورا

وإنِّى كالْهَواءِ الطَّلْقِ نَفْسًا ... فَكَيْفَ أَظَلُّ محبوساً أَسيرًا

ولو أَنِّى أَذاقَتْنِى اللَّيــالِى ... حَــلاوَتَها لَكُنْتُ بها جديرا

١٠

بِلَنْدَنَ قَدْ رَأَيْتُ الْعِلْمَ صِرْفًا ... وَأَرْبَابَ الْفَطَانَةِ والذَّكاءِ

كما عَنْ وَصْفِ بَغْدَادٍ رَوَيْنا ... قَدِيمًا من حَدِيثِ أَبى العلاءِ

ولولا النيلُ يَلْمَعُ فى خيالى ... وَيَبْدُو لِى وَلَمْ أُغْمِضْ إزائى

وتَنْزاعُ الْفُؤَاد إلى نُفوسٍ ... حبيبــاتٍ مَهِيناتٍ ورائى

ولولا ما وَجَدْتُ الْعَيْشَ مُرًّا ... على بِرَغْم أَسباب الرخاءِ

وهل لولا تُفِيدُ وقد تَقَضَّتْ ... بَشَاشَةُ أَزْمُنٍ كانت وضاءِ[٢]

تقضت لم أُرَوِّ النفس منهــا ... فَدْونَكَ شُقَّةُ الْقَفْرِ الْقَوَاءِ

---

(١) هو المهلهل وذلك قوله : كواكب ليلة غمت وطالت .

(٢) وضاء صفة للأزمن والفعل كان إشارة إلى مضى هذه الأزمن .

١١

رَأَيْتُ الزَّهْرَ يَلْمَعُ فى الرَّوَابِى وَشَاهَدتُّ الثُّلوجَ على الهضاب
وأَنهارًا تَخَيَّلُها كُئوســـا يَرِفُّ النَّجْم فيها كالْحَبَاب
وَيَحْنُو فوقَها الأَغْصَانَ دَوْحٌ تَخَالُ ظِلالَهُ ظُلَلَ السحاب
وغابات تَهَادى العِينُ فيهــا وما يَدْرِينَ ما غُبْسُ الذئاب
وَنازَعْتُ الولائدَ ناعمــاتٍ سُلافَ الراح تلْمَحُ كالشِّهاب
وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ حَيَاتِى كَتَعْرِيسِ المُغَلِّس فى اليباب
كتَعْرِيس المُغَلِّس وهو يَدْرِى بِأَن وَرَاءَه خَفْقَ السَّراب[1]

أمس زرنا أم دجاج*

أَمْسِ زُرْنَا «أُمْ دَجَاجْ» بَيْنَ صَــوَّار العجاج[2]
و «الْعَرَشْكُولُ» مُنِيفٌ مُشْرِفٌ بين الفجاج[3]
والقطــا رَوَّعَهُ الر شُّ فمذعور وناج[4]

---

(١) التعريس نومة الفجر والمغلس هو الذى يدخل فى الغلس وهو آخر الليل وأول الفجر .

* أكثر الحواشى هنا مراد لأن يستفيد به غير السودانيين ، فهذه الأبيات فيها إشارات كثيرة إلى ظواهر الحياة فى السودان . وقد استعرت فيها بعض الألفاظ الدارجة . ويستحسن التنبيه هنا على أن أكثر الصور التى تذكرها لم ترتبط فى واقع ما شاهدناه بالأماكن الواردة فى هذه الأبيات وإنما ربطها الخيال ومذهب الصناعة الشعرية . ومثل هذا جائز مقبول فى الشعر .

(٢) «أم دجاج» علم على قرية . والموار المتحرك الذى يذهب ويجىء .

(٣) العرشكول اسم جبل بناحية الدويم — والكلمة عربية مركبة من الموصولة وعرش الفعل الماضى ، وكول : هى كلمة كل — أى الذى أظل الجميع .

(٤) ولك أن تنشد — فمقتول وناج — وهذا أوضح فى التقسيم والذى أثبت أحب إلى .

وَفَتَــاةٌ عِنْدَ بِئْر وَجْهُها مثل السراج
وبدا من ثوبها نَهْـ ـدٌ وساقٌ ذو اندماج
ولها ثَغْرٌ كَمَا يَنْـ بَلِجُ الصُّبْحُ انبلاج

٢

أَمْسِ زُرْنا «أُمْ ضحَيْك» فَهِىَ الشِّعْرُ عَلَيْكْ[1]
وَلَقَدْ قُلْتُ لِمَنْ أَبْـ غَضُهُ عَنِّى إِلَيْـكْ
وَبَدَتْ رِمَّةُ عَيْرٍ كَانَ فِى عَيْشٍ ضُنَيْكْ[2]
وَيَنِبُّ التَّيْسُ بالْـ أَعْنُزِ مأْ مأْ مَأْ أَيْكْ
وَتَلَفتَّ تَرَى السِّدْ رَ وفى جَيْبِكَ شَيْكْ

٣

ذَهَبَ الظِـــلُّ فَهَيَّا العريش لِنَقِيــــلْ[3]
ظِلُّهُ يُجْزِئُنـــا لَـ كِنَّــهُ غَيْرُ ظليــل
وبه شـــاىٌ ومــاءٌ يَتْرُكُ الرِّيقَ بليـــل
وانبرى الصَّرْصَارُ فى الْـ عُشْبِ يُغَنِّى وَيَشِيلْ[4]
فَتَذَكَّرْتَ حُدَاةَ الـ رَّكْبِ عَاجُوا لِلْمَقِيلْ

---

(١) «أم ضحيك» اسم قرية.

(٢) العير — الحمار.

(٣) العريش بيت من الخشب والقصب.

(٤) يشيل لفظة عامية سودانية وأصلها من شيلة الغناء، إذ يتغنى المغنى، ويكون له رفقاء

٤

فَرَسُ الْبَحْرِ قَبِيحْ أَيُّهَا الْغِرُّ الْمَلِيحْ
مِنْكَ عِطْرُ الْجَنَّةِ الْ فَيْحَاءِ يَذْكُو وَيَفُوحْ
وَلَقَدْ كِدْتُ بِسِرِّى لَكَ وَاللهِ أَبُوحْ
وَشَجَا الْأَضْلَاعَ قُمْـ ـرِىٌّ عَلَى الطَّلْحِ يَنُوحْ[1]
وَتَدَاعَى بَقَرُ الْـ ـحِلَّةِ بِشْرًا بُوحْ بُوحْ[2]
وَتَرَى الشَّيْخَةَ تَبْغِى الْـ ـعَوْنَ مِنْ تُرْبِ الضَّرِيحْ[3]

٥

فَرَسُ الْبَحْرِ دَمِيمْ غَيْرَ أَنَّا سَنَعُومْ
حَبَّذَا الْمَاءُ إِذَا مَا بَرَّحَ الْجِسْمَ السَّمُومْ
وَشِرَاعٌ خِلْتَهُ بَـ ـرٌّ بِهِ النِّيلَ الْغُيُومْ
وَإِوَزٌّ دَفَّ هَلْ يَعْـ ـرِفُ ما طَعْمُ الْهُمُومْ
وَثَوَى فى الطَّرْفَةِ الْغَبْ رَاءِ تِمْسَاحٌ شَتِيمْ[4]
وَتَرَى الضَّأْنَ خَلِـ ـيَّاتٍ عَلَى الشَّطِّ تحوم

يكررون الأبيات الأوليات أو البيت الأول معاً كلما فرغ المغنى من جزء من أغنيته والكلمة أصلها عربى من شال بالشيء إذ لوح به ورفعه — فرس البحر : هو الذى يسمى هيبو بالإنجليزية وهو فى حجم الثور وفى هيئة الخنزير وسكنه الماء .

(١) القمرى اسم الحمام البرى عندنا والطلح ضرب من شجر العضاة حسن النماء بالقرب من شواطىء النيل.

(٢) الحلة القرية واللفظة دائرة فى استعمالنا الدارج .

(٣) تقصد النساء أضرحة الأولياء ويأخذن من ترابها للبركة .

(٤) الطرفة ضرب من الشجر لا ورق له وإنما له هدب ولا شوك له ويكثر فى جزائر النيل وتأوى إليه التماسيح .

٦

سار باللَّحْمِ من الْجَــزَّا رِ ذَيَّالكَ الصَّبِي
وَهَوَتْ مِنْ جَوِّهَا الْحِدْأَ ةُ كالسَّهم الوحِيّ[1]
لَطَمتْــــــهُ بِجَنَــاحٍ مُحْكَمِ الرِّيشِ قَوِيّ
فَحَنَــا الرَّأْسَ وَنادَى جَزَعــــاً يَا أَبَوَيّ
شَرِسٌ مِنْقَــارُهَا تَحْ سِبُهُ مِرْوَدَ كَيّ[2]
ثم طارت لم تنل شيـ ـئا وهل فى العيش شئ

٧

نَعَقَ الْبُــوقُ حِمارا وأَخُــو البُوقِ أشارا
وإِلى جَانِبِــه وَجْــ هُ بَغِيٍّ يَتَــوارى
وعلى مَقْعَــــدِه الخَلْ فِيِّ أَصْنَافٌ سكارى
وَعَلَى مِشْفَرِهِ السَّفْ فَةُ يُبْدِيهـــا جهارا[3]
وأَرَانَا كُلَّنَـــــا فِى مَحْبِس الْعَيْشِ أُسارى
عَنْــوَةً نُؤْخَذُ بِالْعُنْ فِ وَمَا نُعْطَى خِيَارا

---

(١) الحدأة ضرب من الطير الجارح والوحى القاتل .

(٢) الكى من الأدوية القديمة ومنه المثل آخر الدواء الكى — والكاوى يضع مروداً وهو كالمسمار من الحديد ويضعه فى النار حتى يحمر ثم يكوى مريضه به .

(٣) المشفر هو الشفة هنا والسفه نوع من التبغ يجعل مسحوقاً ثم يسفه من يتعاطاه فيجعله بين لثته وشفته السفلى وهو كثير استعماله فى السودان .

٨

قَدْ أَبَى الْجَوْكَرُ أَنْ يُسْـ ـعِفَ يَا هَذَا الْقَمِيرْ[١]
وَتَبقَّى بَعْدُ فِى جَيْـ ـبِكَ مَنْزورٌ حَقِيــر
وأَرَى الرَّابِحَ مِن صَحْـ ـبِكَ يَهْفُو لِلْمَسِير
مُخْنَقاً يَلْحَظُهُ طَــرْ فُكَ والصَّدْرُ وَغِيــر
وَجْهُه جَهْمٌ كَأَنْ قَــدْ بَرَزَتْ مِنْهُ صُخُــور
وَلَقَدْ تَعْلَمُ أَنْ فى جَوْفِهِ أَىَّ سُرور

٩

أَشْعَلَ الْكِبرِيتَ كَىْ يَقْـ ـتُلَ صِئْبَانًا وَقَمْلا[٢]
وانْكَفَا يُوقِدُ مِنْ طِرْ سٍ بِهِ تشبيبُ لَيْلَى
جَذِلًا يَقْتُل بالنَّا رِ جُنُودَ اللهِ قتــلا
وَرَأَى منها سِبَحْــلًا وَافِرَ الْبَطْنِ رِبَحْلا[٣]
كُلَّما أَشْعَرَهُ مِنْ لَهَــبٍ دَفٌ وَوَلَّى
فَدَنا إِصْبَعُهُ مِنْ جِرْمِــهِ ثُمَّ تَــدَلَّى

---

(١) القمير هو المقمور أى المغلوب فى القمار .

(٢) الصئبان : صغار القمل .

(٣) السبحل الربحل الوافر الحجم السمين الممتلئ .

١٠

حَفَّ بالْجَدْولِ ذى السِّعْـ ـدَةِ دَوْحٌ وَنَخِيلُ[1]
وَدُوَيْنَ السَّنْطِ لَاحَ النَّـ ـبْتُ والنِّيلُ النَّبيلُ[2]
وَلَدَى قَنْطَرَةِ الْجَدْ وَلِ حَــوْرَاءُ خَــذُولُ
جِسْمُهَا النَّــاعِمُ مُوسِيـ ـقَا وَعَيْنَــاهَا طُبُولُ
وَتَكَفِّيها إذَا تَمْــ ـشِى هَــدِيرٌ وهديـلُ

١١

وجدت يوم شقــاها جَللا هَــدَّ قُواهـــا
هربت نافــرةً رعــ ـناءَ مخبولاً خطاها
وسَعِيرُ الْغَيْظِ والغَيْرَ ةِ والْحزْنِ وراهـــا[3]
وأحست أن سيفا قاطع الحــد فراهـــا
وجهها المُرْبَدُّ إذ صا حت من الأعماق آها
وتمنت وهى تحثو الــ ـتُّرْبَ لو ناعٍ نعاهـــا

---

(١) السعدة ضرب من الحشيش ، وهو أشبه شيء بقصب البردى فى هيئته .

(٢) السنط ضرب من شجر العضاة ينبت القرظ ونحن نضم سينه فى السودان وأهل مصر يفتحونها .

(٣) من ورى يرى ، فهو فعل وليس مقصوراً من كلمة وراء . وراها : أكل جوفها .

١٢

كسر التحفة خَدْ دَامٌ له عير لبيق[1]
ثم واراها وأمسى من هموم فى مضيق
وتمنى الليل لو طا ل إلى غير شروق
وسرى يستنّ فى الأم هاء مضٌ من حريق
وأراه الوهم توبيـ خا به غَيْرَ رفيق
ولقد غصّ وقد سيـ لَ عن الأمر بريق

١٣

كلف القلب بِرَيّا وهوى الْقَلْبِ الثريا
أيُّها القلب الْمُعَنَّى عُدْ من الشوق إليّا
ولقد قلت لِطفْل الـ حُبِّ دعنى يا بُنَيّا
ورمقت البدْرَ فى الْخَضْ راءِ وَضّاح المحيا
والْكَثيبُ الغَضُّ قد أَشْ رَقَ بالنُّورِ وَحَيَّا
والغديرُ الثَّرُّ لايُرْ وى صَدًى فى شَفَتَيّا

(١) الخدام ، بتشديد الدال ، هو الخادم فى العامية السودانية .

١٤

قَدْ حَمَلْنَا الْخَمْرَ فِى با طِيَةٍ ذاتَ مسـاء[1]
لانُبَالى نَوْمَ لاحٍ أَو نداری أَو نُرائى
والشَّبَابُ الثَّائرُ الْعِزْ بِيدُ رَيَّانُ الـرُّواء
وَتَرامَتْ حَوْلنـا أَعْ يُنُ أَصْحَاب الدَّهاء
وَسْوَسَتْ أَلْسُنُهُمْ يا لَفَعالِ السفهـاء
ثم صرنا من أَحادِيـ ثِ الندامى الظرفـاء

١٥

زَأَرَتْ باخِرَةٌ والطِّـ طِفْلُ بالشَّط يُطِيف
فتراءى سَبُعٌ منـ ها له نابٌ مخيف
فر لا يلوى وفى الـ نَّفْسِ من الْخَوْفِ زُحُوف
شَجَّ نُورَ الدين يَوْم الـ ريح بَطَّاش عنيف
صَاحِ كَمْ لَذَّلكِ إذْ يُؤْ كَلُ بالتَّمْر الرَّغيف
حِينَما يَشْتَدُّ بالْغَرْ بِ ويَحْتَدُّ المصيف

(١) الباطية : إناء الخمر .

١٦

أَسْرَعَ اللُّورِيُّ ما بَيْـــ ن الدَّباسى ونَعِيمَه[1]
وأَحَسَّ الراكب الْعَجْ لانُ فى الصَّدْرِ هَزِيمَه
وأَعَدَّ الشيْخُ فى الـــدَّا رِ قِرًى مِثْلَ الوليمه
هل ترى فى هذه الدنـ يا مَراماً فَتَرُومَـــه
كلُّنا يَشْكُو من الآ لامِ والدَّهْرِ كُلُومَــــه
كلُّنا يَذْكُر بالأَحـ زَانِ والشَّجْوِ قَدِيمَه

١٧

قَدْ ذَهبنـــا للجزيرهْ وهى غَنَّــاءُ نضيرهْ
بعد أن دَوَّتْ بها الـ أَمْواجُ أَيَّامَ الدَّميره[2]
زَيَّنَتْهـــــــا فتباهت أَنْعُمُ اللهِ الغَضيره
وجـــلا السُّنْبُلُ للعيـ نَيْن رِفَّافاً حريره[3]
ولَعِبْنَـــا ثُمَّ نَبْغِى مُتَعـــاً مِنَّا غَريره
صاحِ إِنَّ الْعَيْشَ لا يُبْـ قِى لِمَنْ سَرَّ سروره

---

(١) هذان موضعان فى طريق الدويم .
(٢) الدميرة : زمن الفيضان ، وهو يغمر الجزائر فلا ترى إلا موجاً متراكماً . ثم ينحسر فيصير مكان ذلك زرعاً نضيراً .
(٣) هو سنبل الذرة الشامية .

١٨

حَبَّذا بَرْبَرُ إذْ قِرْ شُكَ كالْكَنْزِ التَّلِيدْ
وسَمَاكُ صَوْتُهُ الأَخْـ رَقُ يُبْدِي ويُعِيدْ
وَخَرَجْنَا نَتَمَشَّى جُمْعَةً رابعَ عيد
ولدى القبرِ نساءٌ زائراتٌ وعَتُود[1]
وأتى عبد وقِدماً يُحْسِنُ الذَّبْحَ العبيد
فأصابَ الْجِلْدَ والرَّأْ سَ مَعًا فَهْوَ سَعِيدْ[2]

١٩

حَبَّذا خُبْزُ بِرِكْدا لَ وَمُبْيَضُّ اللبنْ[3]
بَيْعُك الْمَاضِيَ مِنْ عُمْ رِكَ « بالآنَ » غَبَن
وَلَقَدْ أَحْزَنَنِي أَنْ خِيطَ في الدَّارِ الْكَفَنْ
مِثْلَما أحْزَنَنِي أَنْ قَطَفَ الْمَوْتُ حَسَنْ[4]
ودِيَابٌ قَرَعَ الطَّبْ لَ فَدَوَّى ورَطَنْ[5]
والفتى المادِحُ قَدْ رَقَّ قَ صَوْتاً ولَحَنْ

---

(١) كثيراً ما تنذر النساء النذور أن تذبح كذا شاة أو سخلا أو سخلة ، عند قبر الولى فلان . والعتود هو الذكر من أولاد المعزى .

(٢) الجلد والرأس : نصيب الجازر .

(٣) خبز بركدال : كان معروفاً بالجودة .

(٤) هو أخو المؤلف .

(٥) دياب ، رحمه الله رحمة واسعة ، كان مقدم الطريقة القادرية الجعلية ببلدتنا .

٢٠

أَيُّها الراحل أَيْنَ الْ آنَ أَنْتَ الآنَ أَيْنــا[1]
لم تكُنْ تَعْلَمُ إِذْ تَقْ صِدُ مِن شَمْبَاتَ حَيْنا
قَدْ ذَكَرْنَاكَ عَلَى الْكَأْ سِ رِفَاقًا فَبَكَيْنَا
وَنَفَضْنَا من تُرَابِ الْ قَبْرِ ذِكْرى راحَتَيْنَا
أَيُّهــذا الْقَــدَرُ الْقَا سِى أَلَا تَحْنُو علينا
قد مَلَأْنَا الْكَأْسَ مِنْ أَحْ زَانِنَا ثُمَّ ارْتَوَيْنــا

٢١

غَرِّدِى أَيَّتُهــا النَّفْــ سُ مِنَ الْحُزْنِ وَنوحى
وَانْدُبِى ذَا الْحِلْمَ مِنْ قَوْ مِك والرَّأْيِ الرَّجِيح
قَدْ كَسا الْبُنْيَانُ بالسُّنْ دُسِ أَخْشَابَ الضَّرِيح
وَخَلَا الْمَسْجِدُ مِنْ نَا رٍ وَحُــوَّارٍ صَدُوح[2]
وَشُيُوخٍ تُشْبِهُ الرُّهْ بَانَ رَاحَتْ فِى الْمُسُوح
وَبَكَتْ لَيْلَتُــهُ رَنَّــ ةَ مَـدَّاحٍ فَصِيح
وبَنُوهُ بُدِّلتْ أَسْــ بَاعُهــا كَأْسَ صَبُوح

---

(١) هذا أحد الأقرباء سقط من معدية شمبات فغرق .

(٢) الحوار بضم الحاء ثم بعدها واو مشددة هو تلميذ القرآن فى لهجتنا وأصله من الحوار بالتخفيف وضم الأول وهو ولد الناقة .

٢٢

لَيْسَ عِنْدَ الشِّعْرِ هَزْلُ   وسَبِيل الشِّعْرِ أزل
وَفتــاةُ البِشْرِ عَنْ عَا   رِضهــا المفــتر تَجْلُو
وشَبِيه الغيدِ إذ رَفْــ   فَ على الْجَدْوَل نَخْلُ
وَالْقَطَا يَسْتَنُّ فى الْجَ   وِّ وَيَنْسَابُ ويعــلو
مَا نَجَا مِنْهُ وَمَا رَوَّ   عــهُ بالْمَــوْتِ نَبْل
والْعَرَشْـــكُولُ مُنِيفٌ   مُشْرِفُ الأَنْفِ مُطِلّ
وَلَقَدْ يَطْبُو من السِّد   رَةِ عِنْــدَ الْحَرِّ ظل
كُلُّنَــا رَكْب لدَى فَيْ   ءِ الأمــانى نستظل

٢٣

أَمْسِ زرنا أُم دَجَاجْ   عِنْــد أَصْوَات الدجاجْ
حينما يَنْبَلِجُ الْفَجْــ   رُ من اللَّيْــل انبلاج
والنسيمُ الغَضُّ يَسْرِى   رَعِشًا بين الفجــاج
والْعَرَشْـــكُولُ رُسُومٌ   نَحْوَها العاشــقُ عاج
وتَرَى الصِّبْيَةَ يُزْجُو   نَ كِبَاشاً ونعــاج
وَلجِسْمِ الْخَوْدِ عِنْد الْـ   بئْر بالدَّلْوِ ارْتِجَاج

غَيْرَ أَنَّ الْوَصْلَ مِنْها عَسِرٌ فِيهِ خِلاجْ[1]
وَالْقَطَا إِذ ذُعِرَ الرَّشُّ غَوادِيها نَوَاج[2]

أيا بنت

أَيا بنتَ خير الورى وأكرَمِهِم معشرا
قضى الله ما قد قضى فهل نرد الكوثرا

قضى الله هذا البلا وصُب علينا الشقاءْ
وقُتِّل فى كربلا بنوك بنو الأنبياءْ

أيا بنت خير الأنامْ وكاشفِ عنا الظلامْ[3]
سقى الناس من حَوْضِه ويُسقى بنوه الحِمام

عذيرى

عذيرىَ من نافرٍ إذا قلتُ راعَ انفَلَت
وذى ألَقٍ سافر له بسمات حَلَتْ
ومـا لك من ناصر على عُصَب أقبلتْ

---

(١) خلاج : عسر .
(٢) نواج : ناجية .
(٣) هنا فصل بين المضاف والمضاف إليه سوغه أن الفاصل جار و مجرور .

عند الموت

مترجمة من شيديوك تيتشبورن*

ما شبابي ؟ إنـــه زمهرير من هموم
ما الذى أَوْلَمَهُ عيد سروري ؟ إنه صحن أَلَمْ
والذى أَمْلَتْهُ من حَرْثِى الْبُرُّ هشيم[1]
ومن الحُسنى نصيبي لم يكن شيئاً سوى طيف رجاءٍ منحطم
ونهارى شمسه قد غربت قبل المساء
أَوَ أَحْيا وحياتى آذنتنى بانتهـــاء

قصتى قــد سُمِعَتْ مــا رواها أَحَدُ
وثمـــارِى صوَّحَتْ حين غُصنى خَضِرُ
وشبابى قــد مضى وسِنِىَّ خُـــرُد[2]
ورأيت الكون لكن مـــا رآنى بَصَرُ
جُذَّ خيْطى قبل أَنْ تغزله كف الرجاء
أَفَأَحيـــا وحيـــاتى آذنتنى بانتهـــاء

---

* تيتشبورن شاعر إنجليزى من عصر إليصابات . واتهم بالتآمر وحكم عليه بالإعدام سنة ١٥٨٦ ويقال إنه نظم هذه الكلمة يرثى نفسه . والنقاد يشكون فى هذا الخبر ، وتلك عادتهم .

(١) الأصل : نبات طفيلى والهشيم أقوى فى الترجمة .

(٢) أى سنوات عمرى صغيرة . خرد جمع خريدة .

سِرْتُ أَبْغِى الموت والموتَ وجدتُّ فى الرَّحِمْ

وطلبت العيش والعيش كظِلٍّ لم يُقِمْ

ولقد سرت على الأَرض التى ، أَعلم ، قبرى

وأَموت الآن إذ أُكمِلَتُ حين اشتدَّ أَسْرِى

مُلِئَتْ كأْسى ولكن أُهْرِقت بعد امتلاء

وحَيِيتُ وحياتى آذنتنى بانتهاء

أَلَمْ تَرَهُمْ

١٩٥٨

أَلَمْ تَرَهُمْ غَدَاةَ تَجَمَّ عُوا أَكْبَادُهُمْ نَارُ

وقالوا إنَّ ما نَصْنَ عُهُ لَيْسَ بِهِ عَارُ

وَلَمْ يَرْعَوْا لِذَاكَ الشَيْ خ لا إلاًّ ولا ذِمَّهْ

ولم يرعوا لِدَارِ العِلْ مِ لا الحقَّ ولا الحُرْمه

ولم يَرْعَوْ لَهُ أَنْ يَسْ بَقَ النَّاسَ إلى الْبَحْثِ

ومـا أَبْقَوْا لهُ حِصَّ تَهُ مِن تَعَبِ الْحَرْثِ

وَقالـوا إِنَّنا نُبْغِ ضُ أَصْحَابَ الدِّراساتِ

ومـا تُكْبِرُهُ الدَّهْمَا ءُ مِنْ مَجْدِ الشهاداتِ

وقالوا لَيْسَ ذا حِزْبٍ فَيَحْمِيهِ ولا عُصْبَه
ومــا فينا به يَوْمًا وَلَوْ طَاوَعَنا رَغْبَه

وقالوا مــا لَهُ حِزْبٌ ولا عَــوْنٌ فَيَحْمِيه
وما شئناهُ من أَمْــرٍ فبالإكراهِ نُمْضِيــهِ

وقالوا ماله حِــزْبٌ ولا عَوْنٌ من النَّاسِ
ولا خالطنا فى صَـ ـخَبِ السَّهْرَةِ والكاسِ

وقالوا عِنْدَنا جِرْوٌ صَغِيرٌ ذو نُبَــاح
وقدَ يلْعَقُ من أَقْدَا مِنــا عند الصباحِ

وقد يَرْقُصُ رَقْصًا يُطْ رِبُ الأَنْفُسَ أَحْيانا
وقد يَعْرِضُ إن شِئْنا من المُتْعَةِ أَلْوانــا

وهــذا الْجِرْوُ نَبْغِيهِ من الدُّنـيــا محَلاّ
ولا نَأْمَنُ أَن يَزْجُ رَهُ الشيخ متى حلاّ

وقالوا إنَّ فى أَصْلا عِنَا من حَسَدٍ جَمْرا
وما مِنَّــا فتىً إلاَّ وقــد بَيَّتَ ذا الأَمرا

وقالــوا إنَّنــا نَعْلَ مُهُ لَيْسَ إداريّا
وإنا قــد ظَمِئْنا و نَرَى فى دَمِهِ الرِّيَّا

ولن يَلْقَى وإنَ يَجْهَدْ سوى ستة أصوات
ومن رام جدالا فيـــه رُعْنَــاهُ بإسكات

ولمَّا فَرَغُــوا من أمـ ـرِهِ وارتكبوا الجُرْما
تصدَّى قائلٌ منهم : أمَــا إذْ أمْرُنا تَمَّا

هَلُمُّوا صَوْتَ شُكْر واذْ كُرُوا للشيخ إحسانه
ولا تنسوا له خِدْمَ تَهُ العلم وإتقانه

وقالوا حق ذاك الشيخ لا شكَّ سنرعْـــاه
وما منهم فتى إلا تُسِرُّ الْغَمْزَ عينـــاه

وفى أعماقِهِ الإفكُ مع العــزة بالإثم
ويا تِيـــهَ الأذلِّينَ إذا طالوا إلى الظلم

وما من أحدٍ إلا وقد قال لقد صالوا
إلى أمرٍ عظيمٍ فو ق إدْراكهم طــالوا

وقال الله للمــؤمن يا عَبْدِىَ لا تَـأْس[1]
فإنَّ المؤمن الحق الذى لا يعرف اليأْس

سأُملى لهمْ فاصبر ولى كيدٌ متين
وما أبْرَمْتُ فى سر قضــائى سيكون

---

(١) لك أن تنشد : لا تأس بسكون السين أو بإطلاقها هكذا (لا تأسا) .

ولى عَيْنٌ إذا ما نا مَتِ الأَعْيُنُ لا تغفو
ولى نارٌ ومن طُعْمَتِها الطغيـان والْعَسْفُ[١]

صبيُّ النار*

لا تُشِرْ يأيها السَّارِقُ واحْذَرْ أَنْ تُحَدَّا
قد رأيناك فقلنا يا عدوَّ الله بُعْدا
وبلونا منك يا آبِقُ أَخْـلاقَ العِبِدَّى[٢]
ولقد مدَّ لك الرحْمٰنُ يُمْلِي لك مـدَّا
وعذاباً لك من عاقِبَةِ الَخِزْى أعـدا
فتمتَّعْ حَبَطًا عمَّا قليل تَتَرَدَّى[٣]
أَيها الفاجرُ لاحَ الفجرُ بل أنت ظلام
ولوىَ أَنْفَكَ إذ تشمخ وَسْمٌ وَخِزَام
وعلى ظهرك أَو قارٌ من العار عظام
ولمُهْلِ النار فى جَوْفِك غَلْىٌ وعُرَام
وسَرَى قَيْحاً إلى أغوارِكَ السُّحْتُ الحرام

(١) الطعمة ، الرزق . بسكون الطاء وهاء التأنيث . ولك أن تنشد : ولى نار تلظى طعمها إلخ والطعم هو الطعام .

* من قصة رحلة عاصم الحوارية .

(٢) العبدى : العبيد .

(٣) حبطا : انتفاخاً من حبط البهيمة إذا أكلت الربيع .

أَوَ أَفَّاكٌ أَثِيمٌ وعُتُــلٌّ وزنــيم
ومنــوعُ الخيرِ مشاءٌ الليالى بنميم
تقرض الشعر وهل يُحْسِنه الجِبْسُ اللئيم
تشرب الخمر فيطفو زَبدٌ منك أليم
وإذا تكْشِرُ غام البجَّحُ الفَظُّ البهيم
فارْتَعِدْ ، لاقاك منْ مُنْعَطِفِ الخَوْفِ الخصُوم
ونحا أظفارَهُ نَحْوَك فَرَّاسٌ غَشُوم

الدُّبُّ والدولار*

وقال السَّيِّدُ الدُّولارُ إنِّى مُنْعِمٌ مُعْطِى
ولا بُدَّ لَكُمْ مِن نَفَرٍ عَالِينَ من رَّهطى
لكيما يُنْفِقُــوا مَالِىَ بالقسطاس والقسط
وويلٌ للذى أَطْعَمْتُه مَــالِىَ من سُخْطى
وأنْتُم مَعْشَرٌ سُودٌ رُعاةُ الطَّلْحِ والسُّنْط
وأَنْطَيْنَاكُمو الْكَوْثَر فارْضَوْا بالذى نُنْطِى

وقال الدُّبُّ إنا لكُمو أيضــاً مُعينونا
وانا نَمْنح التَّصْنِيعَ إن كنتم تُرِيدونا

---

* من قصيدة طويلة نظمت يوم العيد الكبير من سنة ١٣٧٧ هـ .

ولسنا نَحْنُ كالدولار إنبــا أَرْيَحِيونا
وأَرْسَلْنا إلى النَّجْم صواريخ يُدَوِّينــا
وقدْ نَحْتَقِرُ الرَّجْعِيَّة الرَّعنــاءَ والدِّينــا
سوى الإسـلام إنا لِبَنِى الإسْلام راعونا

لَدَينــا أُمَّةٌ منهم بِسَيْحانَ وجَيْحَانا
وبَيْكَال وبَلْـكَاش وَقَزْوِينَ وقــازَانا
وفى رُقْعَتِنـــا الرَّحْبَةِ جُزْءٌ من خُراسانا
وهم مثلكمو فِقْهًا وتوحيـــدا وإيمانا
وَقَــدْ يَتْلُوَن مِنْ لينِينَ بالأَسحار قُرآنا
وقَدْ نُرْسِلُهم للجامع الأَزهر أَحْيـــانا

كذا قالوا ولا يَعْلَم إلا الله مــا كادوا
وفى الدُّولار والدُّب لأَمْر الناس إفساد
ومن يَرْكَنْ إلى العَوْن فللمُعْطِيــه يَنْقَاد
وهذا النِّيلُ مِلْءَ الْعَيَنِ كَمْ يَسْمُو وَيَزْداد
ولا يُخْلَفُ منه الدَّهْرَ إذْ وَاعَدَ ميعاد
ولا ذَاقَ لِبَاسَ الْجُوع فِى وَادِيهِ مُرْتَاد

الباب الرابع

القصائد

[رثاء شقيقة]

سنة ١٩٤١

أُعالِجُ لُبِّى أن يَطِيشَ من الأَسَى — وأَمْنَعُ جَفْنِى أَنْ تَسِيل شَكاتى
فليتَ الردى الظمآنَ لما أَرادها — يَبُلُّ صداه من دماء عداتى
ويالَيْتَ نارًا شَبَّها الدهْرُ أَخْطأَتْ — حِماها وحَلَّت فى سُهوب فلاة
أَأُختِيَ قد شَطَّ المزارُ فبيننـا — مسيرٌ على الأَيام والسنوات
وعنْدَك فى مَثْوَاكِ أَهْلٌ أَحِبَّةٌ — سوى الطين والأَحجار والظلمات
أَبٌ لم تَريْهِ حَلَّ قَبْلَكِ ثاوياً — لدى غُرَفٍ لاتُشْبِهَ الغُرُفات
وأُمٌّ سقتك العَيْشَ فى زهرةِ الصِّبا — وَوَلَّتْ ولم تُمْتِعْكِ بالنظرات
لقد ثويا فى مَرْقَدٍ عنك نازِحٍ — لدى حُفَرٍ بالقَفْرِ مفترقات
وقد كنتِ فى فَقْرٍ لقربهما معاً — وفى حاجةٍ للعطف والقبلات
فهل من سِفَارٍ لازديارٍ وقد رَمَتْ — بكم سَطَواتُ الموتِ فى الغمرات
تلقاكِ رَيْبُ الدهر بالغدْرِ طِفْلَةً — بأَيدٍ على التشتيتِ مقتدرات
كدَأْبِ الليالى فى أَخٍ لكِ سابقٍ — تَخَطَّفْنَهُ بالَحيْن مُخْتَصرات[1]

(١) هو أخى حسن مات غريقاً سنة ١٩٣٤ ، جعلهما الله سلفاً صالحاً .

طَوَيْنَ الصِّبا عنه ولم يَدْرِ ما الصبا … وَلم يَنْتَفِعْ باللَّهْوِ بين لِدَاتِ

ولم يَخُضِ العيشَ الخِضَمَّ عبابُه … ويَقْتَحِمِ الأَمواجَ مصطخبات

ولو عاشَ قَوَّانى وعَزَّزَ ناصرى … وَهَابَ اللئامُ الراضعون أذاتى

فهل لكِ مِنْهُ كل يَوْمَيْنِ زَوْرَةٌ … لدى دار إبراهيمَ فى الحُجُرات[1]

لقد حال هذا النَّهْرُ والقَفْرُ دونه … وأعضاءُ قَدْ شُلَّتْ عن الحركات[2]

وكَمْ من حَمِيمٍ تَشْتَهِينَ لقاءَه … هُنَالِكَ رَهْنَ البيد والفلوات

ستلقين جَدًّا تَحْمَدين وجَدَّةً … بكُرْهِيَ صارا أَعْظُمًا نَخِرات

ذكرتُك لما أَن هَمَمْتُ بعودتى … وقُلْتُ أَراها طَلْقَةَ البسمات

فلما تَلَقَّيْتُ النَّعِيَّ تبادَرَتْ … أَمانِيَّ من جَفْنَيَّ منسكبات

رمى بك ريبُ الدهر فى التُّرْبِ غَضَّةً … كذلك فِعْلُ الدهر بالزهرات

شَجَانى حُمَيْدٌ يوم بات مُعَطَّرا … بأَعطار مَوْتٍ لسن بالعطرات[3]

بَكَيْتُ له حُزْناً وحَيْنُكِ مُحْدِقٌ … يُلَوِّحُ بالأسياف مُنْتَضيات[4]

تَسَرْبَلَ أَثْوابَ الشَّبَابِ وبُزَّها … وَشِيكاً وَلَمَّا يُسْكِرِ الصبوات

وخُطَّ لَهُ قَبْرٌ بَعِيدٌ وَأَصْبَحَتْ … مُنَى والديهِ بَعْده صَفِرات

وماذا يُفِيدُ الرَّسْمُ إنْ لم تكن به … حَيَاةُ أُنَاسٍ يُفْعِمُون حياتى

ولو كُنْتِ تَدْرِينَ الحياةَ قصيرةً … بَكَيْتِ لما تَقْضِينَ من لحظات

---

(١) فى المأثور أن الأطفال حين يتوفون يؤويهم سيدنا إبراهيم عليه السلام .

(٢) أعضاء حقها الصرف . ويجوز المنع فى ضرورة الشعر وهذا ما أخذنا به وسوغه المد .

(٣) هو محمد بن بشير الأمين — رحمه الله . اعتبط شاباً ذلك العام .

(٤) الحين : الأجل .

فهل لك فى تِلك الصَّفائِح مَلْعَبٌ ... تَرَيْنَ به أَتْرَابَكِ الفرحات
لقد طَغَتِ الدُّنيا عَلَيْنا بجَوْرِها ... وخلَّت جَمِيع الشمل رهن شتات
سَعَيْنَا لها سَعْياً لِندركَ ثَمْدَها ... ولما نفُزْ منها بغير فتات
فلن أَتَسلَّى عنكِ أَنَّك نُغْبَةٌ ... لِظَمْآن من رَيْبِ الحوادث آتى
ولن أَتَسَلَّى عنك إلا بأَنَّنى ... فَقَدْتُك حتى يَسْتَقِرَّ رفاتى
إذا ابتَسَمَ الريحانُ فاستفت رَوْحَه ... ذكرت شذى أَنفاسِك العطرات
كفى أَلَمًا أَلا أَرَاكِ وأَنَّنِي ... من الْحُزْنَ قَلْبِى دائم الحسرات

حنين إلى النيل

أَيا طاب وِرْدُ النيل إذ هاج هادِرًا ... وجَاشَ على الآفاقِ باللُّجَجِ الحمر
على شاطِئيهِ النَّخْلُ واللَّيْلُ شاملٌ ... ومن فَوْقِهِ الْخَضْرَاءُ تُزْهر بالبدر
يُذَكِّرُنى قُمْرِيَّهُ مُتَرَنِّماً ... بُلَيْبِلُ روضٍ صادحٌ غلس الفَجر
تَرَنَّمَ حتى رَنَّ فى القلب لَحْنُهُ ... وحتى دموعُ الصب من طَرَبٍ تجرى
وَخَيَّل للعَيْنَينِ سُجَّعٌ ضالَةَ ... تَجَمَّعْنَ من وُرْق عليها ومن كُدر
وهيهات منى بالْجَزِيرَةِ نُوَّح ... على الطَّلح يَمْلأْنَ المسامع بالشعر
وجاريَةٌ من عَهْدِ نُوحٍ صَنَاعُهَا ... مُصَدَّعَةُ الأَلْواح صادِئَةُ الدُّسْر [١]

---

(١) الجارية هنا : المركب النهرى . الدسر : المسامير .

عليها مُعِيرُونَ الزَّمَان رِقَابَهُمْ ... يَظُنُّونَ أَن الموت يطرق عن قدْر[١]

مجاذيفُها أَغصانُ سُنطٍ ثقيلةٌ ... فلم يحْدِث النَّجَّارُ فيها سوى القَشْر[٢]

وتُلْفِي حَمِيرا مُهْطِعاتٍ وأَنْفُسًا ... كَأَنَّ ضَمَمَّها في جَوْفِها مَوْقِفُ الحشر

ويُزْبِدُ مَوْجُ النِّيلِ قد خِلْتُ أَنَّهُ ... بَتيَّارِه الفَوَّار يصخَبُ في صدرى

أَلم تَرَنِي ضَاعَتْ حَياتِي كُلُّها ... وأَفْنيْتُ رَوقَ العُمْرِ في بلد الكفر

وأَطْرَدَنِي ظُلْمٌ لو ان شَبَاتَه ... على الصَّخْرِ أَوْهَى كَيْدُها جَلَدَ الصخر

ومِن دُونِ أَوْطَانِي فِجَاجٌ عَمِيقَةٌ ... وبَحْرٌ دَجُوجِيٌّ يَقُودُ إِلى بحر

وعَرْضُ أَورُبَّا كُلُّها ثم بَعْدَهُ ... مَسَافةُ يمِّ الروم والريف من مصر

وماخِرَةٌ يَرْغو خُضَارَةُ حَوْلَها ... لها عَرَكِيٌّ من ذَوِى اللِّمَمِ الصفر[٣]

فيالَيْتَ أَنَّ النيلَ يَدْنُو فماؤُهُ ... أَحَبُّ إِلينَا من مُعَتَّقَةٍ بِكْر

ومن كَاعِبٍ حَسْناءَ لَذٌّ حديثُها ... تَفَاوَحُ من أَثوابها بَنَّةُ الْعِطْرِ[٤]

فمن مُبْلِغٌ قومى السلامَ تَحِيَّةً ... فَقَلْبِىَ لا يَنْفَكُّ مِنْهمْ على ذُكْر

هو الصبر

هو الصبر حتى السأَمْ ... وتَمْقُتَ طعم الأَلَم[٥]

وكدتُّ لحب الحيا ... ةِ أُنكرُ كل القِيَم

---

(١) أى يطرق بفعل القدر لاتستقدمه المجازفة ولا يؤخره الحذر .

(٢) السنط : شجر القرظ .

(٣) خضارة : هو البحر والعركى : الملاح وعنينا هنا البحارة الأوربيين .

(٤) بنة العطر : انتشاره وهى معروفة فى الدارجة .

(٥) منصوبة بأن مضمرة من أجل المصدر قبل الواو وهو السأم .

وتُتْلــع من ثوبهــــا فتوشكُ أن تنفصِمْ[١]
كما بهر السائح الـ غريب هــولُ الهــرمْ
وإن نفوس الــورى كبائر ترعى النـــــدمْ

روض النيل

(نظمت سنة ١٩٤٧)

أشاقَ قَلْبَكَ رَوْضُ النِّيل ترمقه ودُونَ ذلك آماد بعيدات
بَحْرٌ خِضَمٌ تضِلُّ الساريات به وَرَءاهُ مصر والبيد التنوفات
أوتَرْكَبُ اللُّوحُ تمطو ذاتُ أجنحة بك الفضاءَ لها بالجو أزّات[٢]
ألا ترى الْكَوْنَ قد أبدى مفاتِنَه وَرَفّ بالرَّوْضِ آفاق نضيرات
ترى الرُّبا لاح إبْريزُ الشعاع بها ودُونها وَهَدَاتٌ مدلهمات
والغانياتُ بأثواب تزركشها تزينهنَّ شُفُوفٌ عبقريات
يَخْفِقْنَ كالزَّهَر الْبَرِيِّ في مَرَحٍ أوهُنَّ في مَوْجِهِ الزاهي فراشات
كأنَّهُنَّ عَلَى بُعْدٍ وقد لَمعَتْ شخوصُهن طيوفٌ أو خيالات
لو قد رآهنَّ رَهْنُ المحبسين إذنْ زَهَتْه شَوْقاً إليهن الصبابات
ولو رآهن ذو نِيَّابَتَىْ بُرَعٍ لما تَصَبَّته أَطْلاَلُ قديمات[٣]

---

(١) وتتلع من ثوبها من إتلاع الظبية أتلعت مدت جيدها .

(٢) اللوح : الجو ذات الأجنحة الطائرة .

(٣) صاحب النيابتين هو عبد الرحيم البرعي المادح صاحب الكلمة : بالابرق الفرد اطلال قديمات وله ديوان مطبوع ، حسن الشعر على وجه الإجمال ، وقد ذكره صاحب تاج العروس .

ولم يقل لأُثَيْلاتٍ بمُنْعَرجٍ   لقد لعبت بقلبي يا أُثيلات

أرنو إليهن كالساهي وقد برقت   مِنْهُنَّ بالْعُدْوَةِ القصوى غمامات

أَرْنو اليهنَّ كالبِصْرِيِّ اذ خَلَعَتْ   ملابِسَ الريش أتْرَابٌ عقيلات[1]

مُبْتَهِجَاتٍ يُنَاغِينَ القلوبَ كما   ناغى الهديلَ على غصنٍ حمامات[2]

وقد أرى ملتقى النيلين فى حُلُمٍ   فَتَزْدَهِينِى الى الْخُرْطومِ حنَّات

فأَحْتَسِى مِثْلَها صِرْفاً مُشَعْشَعَةً   كُئُوسُها من سناها عسجديات

لدى ربوع اذا افْتَرَّ الربيع بها   غَنَّت عنادلها تلك الخليات

فَذَكَّرَتْنِى قَمَارِىَّ الْعُشَيْرِ إذا   نَاحَتْ عَلَى عُشَرٍ ورْقٌ شجيات

قَدْ كُنْتُ فى دامَرِ المَجْذُوبِ فى بَلَدٍ   فيه الْكَرَامَةُ والسُّوح الرحيبات

ومَعْشَرٌ من أُولى صِدْقٍ ومَكْرُمَةٍ   تَضُمُّهم فى ذَرَا مَجْدٍ أَرومات[3]

وفِيه من قَرَأوا عَمْرًا ومن دَرَسُوا   مَتْنَ الرِّسالةِ والدنيا دُجُنَّات[4]

إذا تَلَوْا سُوَرَ القرآنِ حَىَّ لَهُمْ   مَيْتُ الظَّلاَمِ إِذ النُّوام أَموات

وجَلْجَلَت جَنَبات العَرْشِ وارْتجَفَت   لها الْمَلائِكُ والسبع السموات

---

(١) هو الحسن البصرى بطل قصة ألف ليلة وليلة وقد أوقعه فى الغرام أنه شهد فتيات الجن يخلعن ملابس الريش ويسبحن .

(٢) فى أول البيت زحاف الطى وهو حذف الساكن الرابع من الجزء وهو مقبول كثير فى شعر القدماء .

(٣) ذرا بفتح الذال بمعنى الكنف والناحية .

(٤) قراءة السودان هى قراءة أبى عمرو بن؟ رواية الدورى وقد درست المساجد هذه الأيام وعمت قراءة عاصم من رواية حفص فى المدارس النظامية .

صورة أخرى لقصيدة روض النيل

هَلْ هَاجَ شَوْقَكَ رَوْضُ النِّيلِ تَرْمُقُه … وَدُونَ ذلك آفاق بعيدات[1]

بَحْرٌ خِضَمٌّ تَضِلُّ السَّابحات به … وراءه مصر والبيد التنوفات

أو تركبُ اللُّوح تمطُوذَاتُ أجنحة … بك الفضاء لها بالجو أزّات

أما رَأَيْتَ رُبَا التَّاميز مُمْرعة … رَفَّت عليها الأزاهير النضيرات

فيلثَمُ العاشِقُ الولهان عاشِقَةً … ولْهَى وتَهْمِى دُمُوعٌ مستهلات

يَمْرِى الْهَوى جَفْنَ مَنْ مَدَّ الوصالُ له … يَدَ النَّوال ووافَتْهُ البشاشات

كما مَرى جَفْنَ من طال الصدود به … له من الهجر أنّات طويلات

والغانياتُ بألوان تزركشها … تَزِينُهن شُفُوف عبقريات

يرتعن بين سُتُورِ الرَّوْضِ قد بَرَقَتْ … مِنهن للغافل السَّاهى غمامات

يخفقن كالزَّهَرِ البرىِّ فى مَرَحٍ … أوْهُنَّ فى مَوْجِهِ الزاهى فراشات

كأنهن على بُعْدٍ وقد لمعت … شُخُوصهن طُيُوف أو خيالات

أرنو إليهن كالبِصْرِىِّ اذ خَلَعَتْ … ملابِسَ الرِّيش أتراب عقيلات

مالى وللحبِّ واللذَّاتُ كدَّرها … أنْ ليس تبْقَى على الأيام لذات

لا أنظِمُ الشِّعْر إلا زارنى حَزَنٌ … كأنما الْقَلْبُ للأحزان ميقات[2]

وما ذكرتُ سُوَيْعَاتِ السرور له … إلا طوتْهُنَّ من شَجْوٍ سُوَيْعات

---

(١) فى الثقافة همزة الاستفهام مكان هل وما أثبتنا أجود .

(٢) فى الثقافة عادنى حزن وما أثبتنا أجود .

وقد أرى مُلْتقى النيلين فى حُلم ... فتزْدَهِينى إلى الخرطوم حنات

فأجْتَلى أُختها صِرْفًا مُشَعْشَعَةً ... كُئُوسها من سناها عسجديات[١]

وَمَا بِمَاءِ شُنَانٍ قَتْلُ سورتها ... بِل اللَّمَى والثنايا البابليات[٢]

وَزُرْقَةُ الطَّرْفِ لَوْ غَيْلَانُ غِيلَ بها ... كَانَتْ لَهُ فِى سِوى مَىٍّ صبابات[٣]

بدامر الصدق

١٩٥٠

بدامر الصدق لى رهط وأصحاب ... وبالتُّمَيراب لى أهلٌ ومنتاب[٤]

ومنزلٌ كان فيه والدىَ عتا ... عليه مِلْحادثات الظُّفْرُ والناب

ياحبَّذا النيلُ إذرفَّ الأصيلُ وإذ ... ماءُ السواقى على الرَّوْضَات سكَّاب[٥]

وفتيةٌ قد تَلَوْا يس فى سَحَرٍ ... وغيرُهم فى حشايا الليل ما ثابوا

وغدوةٌ يُصبح القمرىُّ ساجِعَها ... قوافياً مالهنَّ الدهْرَ إعراب

وحبذا النَّجمُ عند الفجر مُرْتَقِياً ... تِلْقاءَ وجهك والظلماءُ تنجاب[٦]

---

(١) فى الثقافة فاستحيض أختها بوصل الهمزة وما أثبتنا أجود .

(٢) ماء شنان هو الذى ذكره الأخطل حيث قال :

صرف مشعشعة بماء شنان

(٣) غيلان هو ذو الرمة وبعد هذا البيت : لدى ربوع إلخ .

(٤) التميراب ، غرب الدامر وبها ولدت فى ٢ يونية ١٩٢١ .

(٥) لك أن تنشد ، ماء السوانى –غير أن أهل السودان يفرقون بين الساقية والسانية فالسانية غرب له أداة وتمتح به ناقة والسوانى تكون فى البادية وبهذا الاسم تعرف عندنا .

(٧) النجم هو الثريا ولها موسم يكون فيه الفجر مرتبطاً بارتقائها فى الأفق حتى تكون بإزاء جبهة الناظر أو أعلى قليلا والبردة فى البيت التالى هى قصيدة البوصيرى — أمن تذكر جيران بذى سلم .

وقارئٌ بُرْدَةَ المختار مُرْتَقِبٌ — وقت الأذان خبيرٌ ليس يرتاب

حتى إذا بان قَرْنُ الشمس وانتشرت — من الْجِسادِ على الآفاق أثواب [١]

هبَّ الذين طواهم فى دُجُنَّته — كرى المنام فسُعَّاءٌ وكُسَّاب

وأنتَ ثاوٍ لدى علياءَ يَهْضِبُها — من النَّشَاصِ وَبِرْسِ الثلج هضَّاب [٢]

من بعد أنْ قُلْتَ قَدْ جاءَ الرَّبيعُ وقد — أنّى لِزَهْرِك تَرْقِينٌ وإذهاب

جاد الْحَيَا مَنْزِلاً قد كنت آلَفُهُ — بدَوْمَةِ الغربِ لا ذامٌ ولا عاب [٣]

وأقبُرًا مستكِنًّا فى حنادسِهَا — أبٌ وأُمٌّ وآمالٌ وآراب

الشعرُ دمعُ الذى لادَمْعَ يُسْعِدُهُ — مما توالَتْهُ بالأرزاء أحقاب [٤]

وسامرُ الْمُفْرَدِ الأسوانِ فى بلد — ناءٍ وقد عزَّ ندمانٌ وأكواب

انى لعمْرُكَ ما فارقتُ مَقْلِيَةً — قومى ولكنهــا الأقدار تنتاب [٥]

وما أَرَدْتُ حُطَامَ العيش أطلُبُه — ورُبَّ غيرى له ساعٍ وطلَّاب

لكن نمانى جَوْرٌ طعمه مَقِرٌ — وحاسدون من الأنذال عُيَّاب [٦]

ومُقْرِدُون الى الإفْرَنْجِ قد خلعوا — ثَوْبَ الحياءِ عبيدٌ قيلَ أرباب [٧]

---

(١) الجساد هو الزعفران ولونه أصفر ضارب إلى الحمرة والمراد به الشفق هنا .

(٢) كنت حينئذ مقيما فى هضبة هايجيت وهضب المطر الأرض أصابها والهضاب صفة مبالغة والنشاص السحاب الأبيض والبرس القطن شبهت الثلج به وهو تشبيه قديم . الترقين الصبغ بالصفرة ومنه اليرقان المعروف .

(٣) الدومة حلتنا وهى أقصى شمال الميراب إزاء الدامر .

(٤) توالته : أى توالت عليه .

(٥) مقلية : أى كراهية .

(٦) مقر : مر .

(٧) أقرد : خنع وحاكى القرد وقال الفرزدق :

وفى ثيابى وان ضَنَّ الزمان به   أخو حجاً لكنوزِ العِلمِ كساب

مذاكرٌ لكتاب الله مُغْتَرِفٌ   من البيان الى الغايات وثاب

حَمَّالُ أَعْبَاءِ صَبْرٍ لَيْسَ يَحْمِلُها   من قَلْبُهُ لسوى الرحمن رغاب

فيا جزى الله عنى الشامتين شجى   وشاب شهدهُم من حسرة صاب

وَرَبَّهُمْ من خِسَاسٍ مِثلهم خَنِقٌ   مستمرئٌ لطعام الغدر سلاب[١]

إذا اغتنى كان مَخْشِيًّا مَعَرَّتُهُ   عن كلِّ خير لورْدِ الخير ذَبَّاب[٢]

مثل القنافذ هَدَّاجُون قد سكنوا   رَبْعَ الخنى ولهم فى الذل إرباب[٣]

دعهم وغَنِّ بسيطَ الشعر مُسْلِسَةً   قيادَها لك أَوتادٌ وأَسباب[٤]

لْحَنٌ أَعَانَ أَخا ذبيان حين وشى   به الوشاةُ ورابوهُ الذى رابوا

فقد أَعَانَكَ إذ أَنت الغريب وإذ   أُولو ودادك خَلْفَ البحر غياب

ليتَ الحوادثَ سَلْمٌ لى طوارقُها   هيهاتَ فالدَّهْرُ للأَحرار حَرَّاب

ولو ملكتُ عِنانَ العَيْشِ صَرَّفَهُ   مِنِّى مفيدُ عطاءِ الحمد وهاب

أَرِقْتُ للنيل يُهْدِيه الكرى حُلُمًا   عليه أَشْرعَةٌ كالطير تنساب

يقول إذا أقلولى عليها وأقردت ٭ ألا ليت ذا العيش اللذيذ بدائم .

(١) ربهم أى صار رباً لهم من هذه صفته .

(٢) أى يذب عن الخير كل من يريد وروده — والورد جماعة الواردين .

(٣) هذا من قول الأخطل .

مثل القنافذ هداجون قد بلغت   نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

وقول الفرزدق — قنافذ هداجون حول بيوتهم ، ويضرب لمن يمشى للريبة وبالريبة والهدجان ضرب من المشى فيه عجز كمشية الشيخ ومشية القنفذ . وأرب بالمكان أطال الإقامة به .

(٤) بسيط الشعر هو وزن البسيط ، من الدائرة الأولى ووزنه بتكرار الجزأين مستفعلن فاعلن أربع مرات ويكثر الخبن فى الجزء الثانى . والوتد فى الشعر نحو قال وعلى والسبب نحو قد ومع والأول سبب خفيف والثانى ثقيل .

وَالأَزْرَقُ الهادِرُ الجَيَّاشُ مُنْحَدِرٌ   وَالأَبْيَضُ الْجَوْنُ ذو الآذِيِّ صَخَّاب[1]

وَالسُّنْطُ مُشْتَمِلٌ بِالنَّوْرِ خافِقَةٌ   أَغْصانُهُ وَالنسيم الغَضُّ هَبَّاب

وَأَيْن من مُوقِدِ نارًا بِلَنْدُرَةِ   رَوْضٌ به ملتقى النيلين مُجْتَاب[2]

في كلوول*

١٩٤٦

وَإِخْوَان بَذَلْتُ لهم فؤادى   وحُبًّا مُسْتَجَنًّا فى جنانى

فدانيهِمْ لِخَوْفِ الْبُعْدِ ناءٍ   ونائيهم لِقُرْبِ الوُدِّ دانى

مَلَأْتُ بهمْ ضلوعى مُسْتَجِيرًا   بِهِمْ من كُلِّ خطب قد عرانى

أرى فى عَتْبِهم أَلَمًا كريمًا   يفِيضُ عَلَى العواطِفِ بالمعانى

اذا سَفَروا عَلَى الآمالِ أَضْفوا   عليها كُلَّ سحر ذى بيان

أُحِبُّهمُ وَأَعْلَمُ أَنَّ حبى   لَهُمْ باقٍ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ

أُهَذِّبُه فَيَطْهُرُ كلَّ يَوْم   وينمو بين أَحْلامِ الأَمانى

---

(١) الأزرق هو النيل الأزرق وينبع من الحبشة ويظنه العامة أصل النيل وكذلك كانت تظنه العرب (راجع خبر هجرة جعفر بن أبى طالب إلى الحبشة فى ابن هشام) والأبيض هو النيل الأبيض ولون الأزرق أحمر زمن الفيضان ضارب إلى الخضرة زمن التحاريق والأبيض لونه قريب من اسمه طوال السنة وترى اللونين متمازين حيث يلتقيان عند الخرطوم .

(٢) مجتاب — أى مكتس ولابس .

* قرية بإقليم تلال مالفرن ، من أواسط إنجلترا الغربية ومن هذا الإقليم قد نجم جماعة من شعراء الإنجليز ، أهمهم فى العهد المتوسط لانجلاند . وبلد شاكسبير ليست بعيدة من مالفرن . وقد نشرت هذه القصيدة فى مجلة الثقافة عام ١٩٤٧ .

ويبقى والزمان له أسيرٌ وقد نَسَبَ الخلودَ الى الهوان
سلافُ خواطرى ومعينُ فكرى وكونٌ ليس يُفْصَلُ من كيانى

ورُبَّ أَخٍ بذَلْتُ له ودادى له فى الناس شأنٌ غير شانى
يَذُمُّ صديقَهُ من غَيْرِ ذَمٍّ وَيَنْهَضُ للَّجاجَةِ غَيْرَ وان
يُقَاسِى كل هاجِسَةٍ وَيَضْنى ويَضْجَرُ بالزَّمَانِ وبالمكان
سَيَبْقَى بَعْدَنا فَرْدًا وَحِيدًا عَدُوَّ فَرَائِدِ الزَّمَن الحسان
وَفِينَا لَوْ يَوَّانِسُنَا صَدِيقٌ إلَيْهِ جَانِحٌ وعليه حانى
وأَلِفْنَاهُ تَأْلِيفًـــا وتَأْبَى جَوامِحُ مِنْهُ شَامِسَةُ الحران

لَقَدْ رُدْنَا الْحَيَاةَ وإنَّ فيها مَغَانِيَ لو تَدُومُ لنا المغانى
نَلَذُّ بصابِها ونَعُبُّ منها سُلاَفَ الْخَمْرِ مُتْرَعَةَ الدِّنان
ونَحْتَقِرُ الْمَنَـــايا والْمَنَايا رَوَاصِدُ لا تبالى من تعانى
تَشَجَّعْنَا عَلَى الدُّنْيَا وَآلَتْ لَتَصْطَنِعَنْ لَنَا حُلَل الْجَبان
فلو أَنَّا عرفناهـــا لآبَتْ تَخِـــرُّ على الجبين بها اليدان
تَأَمَّلْ فى فُؤَادِكَ تَلْقَ فيه الْ مُبَاعِدَ والْمُـــدَاجِيَ والْمُدَانى
سَجَايَا تَصْطَفِيكَ وأَنْتَ منهـــا بَعِيدَ الْعَوْنِ فى حَرْب عوان
إذا عاصيتها غدرت وَخَانَتْ وَلَيْسَتْ ما يُوَلِّفُ باللِّيان
تَذُمُّ النَّاسَ فاذْمُمْها خَبِيرًا وَذُمَّ النَّاسَ من قَاصٍ ودان

أَقُولُ وطال فى كُلُوُلَ يَوْمِى ... وأَسْلَمَنِى الْمَلاَلُ إلى الضَّمان[١]

وَقدْ حَجَبَ آلرَّبَابُ الشَّمْسَ عَنِّى ... وحَزَّ الْبَرْدُ أَطْرَافَ البنان

أَلَسْت تَرَىَ الْفِجَاجَ كُسِينَ رَوْضًا ... عليه الطير تَصْدَحُ كالقيان

وَقدْ سَرَتِ الْحَيَاةُ بِها وَجَاشَت ... تنَازَعُ فى التباقى والتفانى

فَزَاحِفَةٌ تَرُومُ الْعَيْشَ كدحــاً ... وَمُرْضِعَةٌ ورَانِيَةٌ وران

وأَثوابُ النِّساء يَرِفُّ مِنْهَــا ... رَفِيفُ الشَّوْقِ يَلْمَعُ فى الجنان

وَقدْ كان الشتاءُ غَطَا عَلَيْهَا ... وأَلْبَسَها سَــــوادًا كالدُّخَان

بلى كُنْتُ الْغَمَامُ يَلَذُّ نَفْسِى ... وَيُسْكِرُنِى بِرَيَّا كُرْدُفان

وَكُنْتُ أَرَى الْمطَايا مُرْدِيَاتٍ ... بِسَهْبٍ كالصَّحِيفَةِ صحصحان[٢]

ديارٌ من فؤادى كنتُ فيها ... وكان أَبى وكان بنو لسانى

أَرى فى بَدْوِها الأَعرابِ شُعْثًا ... وفى فَتَياتِها الغُرِّ اللِّدان

رهائن فى ضميرى تائقاتٍ ... إلى عَيْشِ الطَّلاقةِ والرِّهان

أَلستُ من البداوَةِ أَىَّ عِلْمٍ ... حَوَيْتُ وأَىُّ رَبْعٍ قدْ حوانى

وان أَكُ نِلْتُ من ثَدْىٍ سواها ... فإن لِبانَهــا أَبْقَى لِبَان

ولَمْ أَفتأْ ـ وإن أَنْزَحْ ـ إلَيْهَا ... يُحَرِّكُنِى الحنينُ مع الحنان

أَبت أَجواءُ لَنْدَنَ أَنْ أَراها ... كما شاءَتْ وتَفْزَعُ أَنْ تَرانى

---

(١) الضمان : السقم . والرباب فى البيت التالى هو السحاب .

(٢) مرديات : مسرعات . صحصحان : منبسط ممتد . وفى البيت نظر إلى قول تأبط شرا :

وإنى قد لقيت الغــول تردى ... بسهب كالصحيفة صحصحان

أَأَنْزِعُ لِلْحَضَارَةِ ذا فُؤَاد   عَنِيدٍ لايُفيد من الْمِرَان
أُدَافِعُ من تَأَدُّب فى ذَرَاهَا   رَفِيقَ السَّيْرِ مُرْخِيَّ العنان
إِذَنْ واللهِ قد يَمَّمْتُ بَوْناً   يَمَلُّ السَّيرَ فيهِ الْفَرْقَدَانِ
وَلَكِنِّى أَخُو دَهْرِى، جَدِيرٌ   بمــا أَلْقَى إِلَىَّ ومــا بلانى
فألقاه جرىء القلبِ حُــرًّا   أَلَدَّ عَلَى الخصومة ذا بيان
أُغَامِرُ أَو أُقَامِرُ لا أُبــالى   رَمَيْتُ أَخا العداوة أم رمانى
وقَدْ أُلْفِى الزَّمان أَحَمَّ لَيْــلاً   فيَجْلُوه نَهَارٌ فى جنــانى
أُطِلُّ به عَلَى الدنيا فتبدو   فَدَافِدُها وَهُنَّ من الجِنَان[1]
وما حُبَّ الْحَيَاةِ أرى بقائى   ولكنْ كُلَّ أَرْوَعَ تَيَّهَان[2]
يُهِينُ المال كَىْ يَحْيَا عَزِيزًا   وَيَثْأَرُ لِلْعِجَافِ من السِّمان
ويَخْتَبِرُ الحياةَ بِعَيْنِ طَبٍّ   إلى الأَعْمَاقِ أَنْفَذَ من سنان
فذاكَ وإنْ يَكُنْ فى الْقَفْرِ يَنْضُو   أَمُونًا مِثْلَ أَلْوَاحِ الإِران[3]
أَحبُّ الى من قومٍ تراهم   لطافاً مُشْرِقينَ من الدِّهان
عَلَى أَرْوَاحهم صدأٌ وفيهــا   دَمٌ من مَصْرَعِ الأَهْواءِ قانى

---

(١) فدافدها — صحاريها .

(٢) أى ما من أجل حب الحياة ولكن من أجل حب من كذا وكذا نعته والتيهان العزيز النفس . ونصبنا حب على المفعول لأجله .

(٣) إشارة إلى قول طرفة

أمون كألواح الإران نصأتها   على لاحب كأنه ظهر برجد

والإران الباب. وخففنا همزة نصأ .

تَوَلَّى الأَحمدانِ الْعَيْشَ هَلاَّ أَفَادَكَ ما تَوَلَّى الأَحمدان[١]

ثوى شَيْخُ الْمَعَرَّة مطمئِنًّا بِعَقْلٍ عن فَتَاتِ الْمَجْدِ غانى

رأى بَغْدادَ ثم أَفادَ منها زرايةَ من يُقَعْقِعُ بالشِّنان[٢]

وذَاقَ ابنُ الْحُسَيْنِ الْعَيْشَ حَرْباً يكونُ بها الشجاع أَخا الجبان[٣]

قضى أَيَّامه وَثْباً فهلاَّ تَرَفَّق حين جدَّ الحاديان

فهل يَدْرِينَ خَيْلُ أَبى شجاع بِمَصْرَعِ شَاعِرِ الْعَرَبِ الْهِجَانَ[٤]

تَطَهَّر بالمنية من حياةٍ بلاها من خِداعٍ واختيان

وأَصْعَدَهُ الخلود الى مَرَاقٍ على علياء فَوْقَ ذُرَا الزمان

هى الدُّنْيَا أَخا الدنيا أَنَاختْ وأَلْقَتْ فى سَبِيلِكَ بالْجِران[٥]

فسايِرْها وياسرها وضاحِكْ صُرُوفَ الدهر واصْدحْ بالأَغانى

ولولا الصبرُ ما أَلْفَيْتُ نفسى أَلاينُ من جَفَوْتُ ومن جفانى

أُحِبُّ الأَصفياءَ وأَصْطَفِيهمْ وأَصفُوْ فى التباعد والتدانى

وأُفْسِحُ للكريم رِحابَ صَدْرِى وأُكْرِمُه وأُسْرِعُ إنْ دعانى

وأَغضِى الطَّرْفَ عن زَلاَّتِ خِلِّ وأُرْوِى بالْمُدَامَةِ من سقانى

---

(١) هما المعرى والمتنبى .

(٢) أبو شجاع ، قاتلك الأسدى ، وقد تولى قتل المتنبى . الهجان : الكريم الأصل .

(٣) ألقى البعير بجرانه : أناخ . والجران : الرقبة ، ويضرب هذا للدلالة على استقرار الأمر .

(٤) إشارة إلى كلمة الحجاج المشهورة والشنان جمع شن وهو القربة البالية .

(٥) ابن الحسين هو المتنبى إذ هو أحمد بن الحسين .

وأُرْوِيهِ على بَدْءٍ وأُلْفَى فَصِيحاً حين أَشْرَبُها لسانى
اذا خَفَّتْ حُلوم القومُ أَبْقَى على الحِلْمَ عِرْقٌ قد نمانى

لأَنت محيبتى

لأَنت مُحْيِيَتى بالوصل قاتلتى بالهجر ربة إعزازى وإذلالى
الوصل منك كروْضٍ هاجٍ مُكْتَهِلاً وجاده كلُّ صافى الورد سلسال[١]
والْوَعْدُ منك أَظَلَّ الدَّهْرَ أرقبه خير من الجاه بين الناس والمال
إن تهجرى تقطعى بى حَبْلَ ذى مِقَة لغير حبلك لا يُلْفَى بوصّال[٢]
فقد أراها تولت عنك مُعْرِضَةً وآثرت بعدنا ترقيش عذال[٣]
مالت إليهم وخلّتنا ببلقعة من ريبنا وهُجُولٍ ذات أوجال[٤]
نصبو وقد صَبَأَتْ عنا وقد سَعَرَتْ نارًا بها الصَّبُّ من هجرانها صالى[٥]
وغادرتْكَ فلا عِطْرٌ تَشَمَّمُهُ إذا تزور ولا تعليلُ اقبال[٦]
ولا لذيذُ عناقٍ من مُخَبَّأَةٍ سِرَّ الغرام سُحَيْرًا غَيْرِ متفال[٧]

---

(١) اكتهل . . الروض إذا هاج وارتفع .
(٢) المقة : المحبة .
(٣) ترقيش العذال تلفيقهم وزيفهم .
(٤) البلقعة القفرة والهجول الأراضى المجهولة ذات الغاب والأوجال المخاوف .
(٥) صبأت عنا : تركتنا والصب المحب .
(٦) تشممه أى تتشممه بحذف التاء الأولى وهو قياس متلئب .
(٧) سر منصوبة على التشبيه بالمفعول به وهذا من أوجه الصفة المشبهة الستة والثلاثين وسحير مصغر سحر والمتفال التى لا تزكو رائحة فيها ، وهذا من الأوصاف الجاهلية ، ويزعمون أن الفم إن كان غير متفال بالسحر فهذا غاية الطيب — ومثل هذا الكلام لا يصلح للقرن العشرين والخدلجة الممتلئة الساقين وهذا أيضاً من الأوصاف الجاهلية .

رِيَّـــا خَدَلَّجةٌ حُلْوٌ شمائلها   لها سِوَارٌ وجيدٌ غير معطال

وَعَيْنُ رِيمٍ تراعى فى خمـــائلها   سِرْباً أَوَامِنَ فى وَعْسَاءَ مئهال[1]

سكرى الشَّباب سبَنْتَاةُ اللحاظ لها   فتكٌ بنفسى وخَمْرٌ بين أوصالى[2]

ما إن أُفَتِّرُ ذكراها إذا بَعُدَتْ   وإن دَنَتْ أَشْرَقَتْ آفاق آمالى[3]

تُكْسَى الحرير ، وفَوَّاحُ العبير لها   أدنى الستورِ ، بَدُورٌ حُرَّةُ الآل[4]

ما ان بذائلها بَذْلٌ لنائلها   وقد يكونُ ذليلُ غيْرَ بذال

بَلْ عامَرَتْ هى بالنَّزْرِ اليسير وقد   أَبَحْتُها الْجَزْلَ من حُبِّى وإجلالى

تُبْدِى ضروباً من الحسنى إذا أَنِست   ناهِيكَ من نَهَلٍ عَذْبٍ وإعلال

ومن بُغام بُغامِ الرَّائماتِ إذا   ما رَشَّحت دمعَها كاللؤلؤ الغالى[5]

تشكو إليك شكاياتِ الغرام وقد   تنهدت ورَبَتْ كالموج ذى الجال

ليس المحِبُّ بسالٍ إذْ تُهاجِرُهُ   ولا إذا دَوَّمَتْ وصلا بِملاَّل[6]

نَحَلْتُها الحُبَّ مكنوناً فهل حسبت   أنْ سوف تدرِكُ بعد الجهد أمثالى

---

(١) الوعساء الرملة الناعمة والمئهال الكثير الأهل .

(٢) السبنّى : النمر ومؤنثه سبنتاه ويوصف بالكلمة كما جاء عن العرب .

(٣) هنا إشارة إلى قول حسان — أما النهار فما افتّر ذكرها والليل توزعنى بها أحلامى برفع النهار والليل على الأرجح الأجود — وهما من كلمة له على حد تعبير ابن هشام .

(٤) هنا معنى أشير فيه إلى قول ابن الطيب :

يظل غبار الحيول أدنى ستوره   وآخـــرها نشر الكباء الملازمه

البدور الحسنة الطلعة الواضحة الثغر والأساطير قد جعلت بدور علماً للأميرة فى قصة بديع الزمان ابن الملك شهرمان والآل هنا — الشخص أى شخصها الكريم .

(٥) البغام صوت الظبية الرائمة هى التى ترام ولدها أى تعطف عليه .

(٦) دوم — زعم الأصمعى أن مضعف دام لا يطلق إلا على الطائر الذى يدوم فى الجو ويرده قول ذى الرمة — حتى إذا دومت فى الأرض . وذو الرمة موثوق بفصاحته .

شتَّانَ مَنْ ودُّه صفوٌ بلا كدر ... يُعْطِى ويُعْطَاهُ عَفْوًا غير سآل
ومَن هواه هَوىً شَوْبٌ مخالِطُهُ ... حِرصُ البخيل وضِنُّ المُعْرِض السالى
لقد لحنت لها لَحْنًا لِتَفْهَمَــهُ ... فهل ترَاها شَفَاها لَحْنُ أقوالى[١]
أم هل تراها أصاخت وهى واجدةٌ ... بعدى الى كلِّ ذى لونين ختَّال[٢]
وكل عذَّالةٍ خَــذَّالَة أَشِبٍ ... أَوْرَتْ لها نارَ شَرٍّ ذاتَ إشعال
فقد نكون ولا عَيْنٌ نُرَاقِبُها ... جِيدُ الدُّجُنَّةِ من أَهْوَائنا حالى
نَقْتَاتُ من خُلَسِ النَّجْوَى وتسعدُنا ... سلافَةٌ زانها لألاءُ جِرْيال
إنى لأَمْنِحُهــا مِلْوُدِّ أَبْذُلُه ... عَفْوى وَجُهْدى فلا كَزٌّ ولا آلى[٣]
وَمَقْصِرٍ فارقتنى وهى غاضِبَــةٌ ... تُولِى وتُعْلِنُ عَزْمَ الهاجر القالى
حتى إذا سلكت عنى مفاوِزَها ... وأزَّ للبين ذو حَيْزُومَةٍ جالى[٤]
له دُخَانٌ وتَنْهَــاتٌ ودَمْــدَمَةٌ ... يطوِى بها بُرُدا من بَعْدِ أميال
تذكرت ثم رَاعَتْ عن طواعِيَةٍ ... والليل قد شمِل الدنيا بإسبال[٥]

---

(١) هنا إشارة إلى قول الآخر :

ولقد لحنت لــكم لكيما تفهموا ... ووحيت وحياً ليس بالمرتاب

(٢) هنا وفى البيت الذى يلى إشارة إلى قول تأبط شرا يتحدث عن عاذلة :

بل من لعذالة خــذالة أشب ... حــرق باللوم جلدى أى تحراق

واجدة أى غاضبة تكن حقداً ما . واشتقاق الكلمة من الموجدة .

(٣) لك أن تنشد — عفوى وجهدى لاكزولا آلى بتحريك الياء من جهدى ويكون هذا على طريقة الأخطل فى قوله — فأبيت لا حرج ولا محروم والآلى هو المقصر ومقصر أى عصراً .

(٤) الحيزومة الصدر والكلكل والجالى من جلا يجلو . والمراد هنا القطار والبرد فى البيت التالى جمع بريد وهو مقياس أحسبه اثنى عشر ميلا .

(٥) راعت أى رجعت من راع يريع ومنه قول طرفة — تريع إلى صوت المهيب — فى المعلقة .

سرت الى وقطْرُ الثَّلج مُنهَمِرٌ   والرِّيح ذاتُ أهازيجٍ وإعوال

فَردًا أَهُمُّ بإغفاء ويلْذَعُنى   وَخْزُ الشتاءِ كئيباً كاسفاً بالى[1]

حتى تَسَدَّتْ عَلى خَلْسٍ فَتَلْثمنى   فكِدتُّ أَحسب حُلْمًا قد تراءى لى[2]

يلوحُ بَدْرُ مُحَيَّاها ويُحْجُبُه   ما أَسْأَرَ الْوَهْمُ من خَوْفٍ وبلبال

تلك الْفَتَاةُ التى نِيرانُ لَوْعَتِها   صَيَّرْنَنى مِثْلَ سَحْقِ الْيَمْنَةِ البالى[3]

لِيَهْنِها أَنَّنى فى رِقِّها أَبدًا   حتى يُحَمَّلَ ظَهْرُ الْمَوْتِ أثقالى

وأنَّها طائر الْيُمْنِ الذى سَنَحَتْ   أَسْرَابُهُ وتلقَّانى به فالى

وأَنَّها زَهْرَةُ الحبِّ التى نَبَتَتْ   فى سِرِّ واد خصيبٍ غَيْرِ مِحْلال

كما أُتاحَ لها يَوْماً فأَقطفَها   ثُمَّتَ أَغْرِسَها فى قلبيَ الخالى[4]

حيَّاكِ عَنِّى عَمَارٌ لا يُصَوِّحُه   تَقَلُّبَ الدَّهْرِ من حال الى حال[5]

كَمِثْلِ ثغْرِكِ رَفَّافٌ له أَلَقٌ   تَأَلُّقَ النَّجْمِ فى خَضْرَائِه العالى[6]

---

(١) ولك أن تنشد : وخز الشفيف والشفيف هو البرد الشديد .

(٢) تسدت من تسدى اللطيف . أسأر فى البيت التالى أى أبقى ومنه السؤر وهو البقية .

(٣) تشبه العرب الرسم البالى بسحق اليمنة وهو الثوب اليمنى القديم الذى صار أسمالا وقال جرير (وحين صرت كعظم الرمة البالى) .

(٤) فى أول الشطر الثانى زحاف الطى فى الجزء الأول ولك أن تنشده قطفاً .

(٥) العمار هو الزهر والريحان يحيى به المرء من يمق ويكبر — قال النابغة : يحيون بالريحان يوم السباسب .

(٦) النجم هو الثريا .

قصيدة نبوية

١٩٥١

سلام على المختار ساكن يثربا ... نبي الإله أَرْيحيًّا مهذبا
ونُهْدِي له حُرَّ الثنـاءِ كأنَّهُ ... شذى المسك أو يُلْقَى من المسك أطيبا
نَبِيٌّ تَبِعْنَاهُ على كلِّ حالة ... بِرَغْم الذى عادى ومن كان كذَّبا
بهِ قد هدى الرَّحْمنُ للرشد بعدما ... تَخَبَّطْنَ فى ظلماءَ شَرْقاً ومغربا
نُفُوساً سواه لم تَكُنْ تَعْرِفُ الهدى ... ولولاهُ لم تبصر إلى الرشد مذهبا
يُخَوِّفُنا القومُ الحديدَ ويُنْتَحى ... بنا عَنَتٌ من كلِّ أمر لنرهبا
ونُعْطى بأَيْدِي صَاغرين أذلَّة ... ضعاف ونرضى مركب الضيم مركبا
يقولون ما الإسلام إلا ضَلالَةٌ ... وفَضْلَةُ ماضٍ حَبْلُهُ قد تَقَضَّبا
ولن تُفْلِحوا أوتَتْرُكُوه وراءَكُمْ ... وتَلْتَمِسُوا عنه مناصباً ومَهْربا
فتالله لم نُبْصِرْ سبيلا كمثـله ... أَدَلَّ على قَصْدٍ وأهدى وأقربا
وأقْمَنَ ألاَّ يسلُكَ الزَّيْغَ ركبُها ... إذا ما كسا الشكُّ المسالك غيهبا
على أنَّه قد شانه رَأْيُ عُصْبَةٍ ... يَرَوْنَ التُّقى فجرًا وعصرًا ومغربا
وما إنْ يَرَوْنَ أنْ تَكُونَ نُفُوسُهمْ ... مُطَهَّرةً لا تطلب الرجس مطلبا[1]
وقِدْماً علا صَوْتُ الغَزَالِيِّ داعِياً ... الى الْحَقِّ لما أبصر الحقَّ أجنبا

---

(١) فى الجزء الثانى ، فى الصدر ، زحاف القبض وهو كثير حسن .

برغمى أن صِرْنَا رَعِيَّة ظالِم ... عنيف علينا جائر الحكم أنكبا
وإنَّا لأَحْرَارٌ وإن كان عَضَّنَــا ... من الدَّهْرِ نابٌ يَتْرُكُ الْقَرْنَ أَعْضبا[1]
وأَفْقَرَنا بعد الغنى صَرْفُ أَزْمُنٍ ... تَخِذْنَ الورى مَلْهىً لَهُنَّ وملعبا
وأَنْزَلَنا دَارَ الْخَسِيسِ وَحَطَّنــا ... لَدَى حَيثُ لا نُلْفِى سوى الذُّلِّ مشربا
وقال لنا بيعوا النُّفُوسَ أَبيَّةً ... بأَرْخَصِ ما يَشْرِى به النَّفْسَ من أَبى
أَلا يا رعى الله الذين تَوَسَّدُوا ... لدى العِدْوَةِ الْقُصْوَى صَعِيدًا مُطَيَّبا
أُولئك قَومِى لا يزال لذِكْرِهِم ... رَنِىٌّ إذا ما صَادِحُ الفجر أَطربا
أَراهم أَمامى آخِرَ الليل مَوْهِنًا ... شُخُوصًا تَرَاءَى أَبْعَدِينَ وأَقربا
بأَيديهم الأَلواحُ فِيهِنَّ أَسْطُرٌ ... كتابُ الإلهِ هَادِياً من تنكبا[2]
وما فَتِئُوا قَوْماً تَسِيلُ دِمَاؤُهُمْ ... مَخَافَةَ مقروفٍ مِنَ الْعَيْشِ أَجْرَبا

بلَنْدَنَ مالى مِنْ صَدِيق أُعِدُّهُ ... لِعَثْرَةِ دَهْرِى إِنْ تَنَكَّرَ أَو كبا
ومَا لِيَ من رِدْءٍ فتلفيَنِى به ... أَردُّ شبا أَلْبٍ على تـأَلبا
قَضَيْتُ بها قَبْلَ الثلاثين حِقْبَةً ... تَوَلَّت وشيكا وانقضى رَيِّقُ الصبا
فكم لَثْمَةٍ من ثَغْرِ غَرَّاءَ ذُقْتُها ... أَلَذَّ من الْخَمْرِ السلاف وأَطيبا
وكم من حبيب للفؤاد هَجَرْتُه ... وأَلفيتُ دمعى بعده سال صيِّبا
بكيتُ طويلاً فَقْــدَه وسلَوْتُه ... سوى لَذْعِ ذكرى طارق أَو تـأَوَّبا[3]

---

(١) أى : مكسوراً .

(٢) فى الجزء الثانى من العجز : قبض .

(٣) تأوب : معطوف على طارق . قال ابن مالك : واعطف على اسم شبه فعل فعلا .

وعلَّمنى دهرى مِراسَ خُطُوبه   وجَرَّبت منه فى شبابى مُجَرَّبا[1]
وحَارَبنِى الأَعداءُ من كل جانب   فلا جَزعًا أَلْفَوْا ولا مُتَهَيِّبا
صَبَرْتُ لهم نَفسى وأَشْرَبْتُ جِرْوَها   من الْجَلَدِ الْمُرِّ السِّمَام المُقَشَّبا[2]
فلا تَحْسبِ الأَيَّامَ ضَرْبَةَ لازِمٍ   بِبُؤْسى ولانُعْمى الأَعادىِّ تُرْتُبا[3]

لعلَّ رسولَ الله أَرْغَبَ من دعا   إلى الله قَلْبًا فى الأَنام وأَرحبا
وأَصْدقَهُمْ فى حُجَّةِ الله لَهْجَـةً   وأَقْطَعَهُمْ إنْ صارِمٌ باتِرٌ نبا
وأَكرمَهُم جَدًّا وأَكرمهم أَبًا   وأَكرمهم خالا وعَمًّا ومنسبا
يُعِينَ به الرحمنَ قَوْمًا أَعِزَّة   أَذَلَّهُمُ جَوْرٌ عليهم تَغَلَّبا
«عليه من المولى سلام ورَحْمَةٌ»   «أَخفُّ من النكبا وأَذكى من الكبا»[4]

بين الرياءِ والحياء

كُلَّما لاح بَرْقها خَفَقَ القلب   وجاشت من الحنين العروق
وأُراها بغْتًا فيُوشِكُ أَن يُسْـ   ـمَعَ من هاجِسِ الضلوع شهيق
وعلى صَدْرها ثنايا من الْخَزِّ   مُلِحٌّ من تَحْتِهِنَّ خُفُوقُ

---

(١) مجرب : هنا مصدر ميمى بمعنى التجربة والتجارب .

(٢) أى أشربت جرو نفسى سما من الصبر حتى قتلته فسكت . وجرو النفس يراد به هاجس الجزع الذى يهمس فى أعماق النفس . والاستعارة قديمة تجدها فى شعر الفرزدق . والمقشب : المقوى .

(٣) ترتبا : أى سرمدا ودائماً .

(٤) الكبا : مقصور الكباء ، ضرب من العود . والشطر الأول جاء فى شعر الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين (١٢١٠ هـ — ١٢٤٧ هـ) .

وتراءت بجيدها مثلما يَشْـ ـتَرِفُ الظَّبْىُ أو يَشِبُّ الحريقُ
أَتَمَنَّى دُنُوَّها ثُمَّ أَنْـأَى فَرَقَ النَّاسِ إننى لَفَرُوق[1]
وأَظنُّ الرقيب يرمُقنى من كلِّ فجّ له سهامٌ وبُوق
وَهْىَ تُزْجِى الحديثَ من فمها النَّا عِسِ يا حبَّذا النبيذ العتيق
وأشارت بنانُها ومن الْعَسْـ ـجَدِ وَقْفٌ وللثنايا بَرِيق[2]
والمحيَّا ريَّان طَلْقٌ وطِفْلُ الـ ـحُبِّ فى الناظر الضَّحوك غريق
تَدَّعى غَيْرَ حُبِّها فَتُعَاصِيهِ وفى سِرِّك الحَفِىُّ الرفيق
وتخافُ الصدود منها إذا (م) صَدَّت وإن أَقبلت فأَنت تضيق
ذُقْ لَمَاهَا وَضُمَّ مَوْجَةَ ثَدْيَيْها فإن الحياءَ دِينٌ رقيق
مُشْرِقٌ فى شبابها عِنَبُ الْفِتْنَة هَلاَّ وقد دعاك تذوق
شَاقَكَ الْمَوْرِدُ الرَّوِىُّ وما حَظُّك إلا التصريد والترنيق
أَوْمَضت مُزْنَةُ الْجَمَالِ بِسَاقَيْها وَطَيْرُ الصِّبا حَبِيسٌ يتـوق
لَيْتَ شعرى عن الرَّقِيبِ أَيَغْفو ناظِرٌ منه أم إليها طريق
أم يَبَرُّ الزمانُ لاعِجَ أَسْوَا نَ بِوَصْلٍ فَقَدْ بَرَاهُ العقوق
عَدِّ عَنْهَا[3] فَقَدْ عَدَاكَ رِياءُ النَّاس لا يسلك الرياءَ المشوق
وابك أَيامك اللواتى تَقَضَّيْنَ فقد بَايَنَ الشبابُ الأَنيق

(١) فرق الناس : خوفاً من الناس والفعل من باب فرح .
(٢) الوقف : السوار .
(٣) أى اتركها وهذه من عبارات الشعر القديم .

ما تَمَلَّيْت غَيْرَ زَهْرَةِ آمالٍ طَوّتْها من الليالى خريق[1]
وعزاء الفــؤاد كأْس من الشعر دهاق حبابها مرمــوق
أَنّةُ الْمُرْهَقِ الأسير وفى جَنْبَيْهِ من ثَــوْرَةٍ مَريدٌ طليق
أَىُّ شَىْءٍ هذى الحياةُ سوى قَيْدٍ يُعَنّى الخُطا وذعر يســوق
وعَبِيــدٌ هذا الأَنَامُ وعين الله عَبْرَى وسَيفُهُ ممشوق
ونَظُنُّ الْحُقُوق ترْجِعُهَــا الْعُقْبى وضاعت مع المطال الحقوق
وكأن الحِمــــام غاية ما يطلبه المستهام والمعشــوق
فَرُوَيْدَ الفؤاد فى سِنَةِ العُمْرِ رويدًا فَعَنْ قليل يفيقُ
حين لا تنفَعُ الندامة إِذْ خَرَّ من الأَيْنِ عَدْوُكَ المسبوق[2]

الربع المحيل
مارس ١٩٥١

يا طائِفَ الْمَرْبَع المحيلِ	وَيْحِىَ من دهرك البخيلِ
خيِّلَ لى شادِنٌ غرِيرٌ	شُبَّ على الرَّمْل بالأَصيل
والشمس قد أَرْسَلت وداعاً	مَن خَلَلِ الدَّوْم والنَّخِيــل
فَهَلْ إِلى تلكمُ الْمَغَانِى	للنَّازح الصَّبِّ من سبيلِ
أَخْرَجَنِى الدَّهْرُ مِنْ ديارى	وعَنّتُ الظَّالم الجهــولِ

(١) خريق : أى ريح منخرقة شديدة .
(٢) الأين : التعب . عدوك : جريك .

إن بِتُّ فى لَنْدَنٍ غريبــاً فَفِى فؤادى معين نيلى
علَّ صُروفَ الزمان تجلو مِنِّىَ كالصارم الصقيل
نُبِّئْتُ أَن نَيْرَبٌ نَمُـولٌ يُنْمَى إلى نَيْرَبٍ نَمُول[1]
يكيدُ لى حين غِبْتُ عَنْهُ يا بُؤْسَ للرّاضع الذليل
فإنَّها تُؤْثَرُ المخـازِى ويُذْكَرُ المـرءُ بالجميل

إلى الخرطوم

١٩٥٤

إلى الْخُرْطُوم من بعد اغْتِرَاب وبعد بِلَى الشَّهِيِّ من الشباب
وما الخرطوم دارى غير أَنِّى غرِيبٌ حَيْثُما حَلَّتْ ركابى
غَرِيبٌ فى بلادىَ سَوْفَ يَفْنَى غَرِيبــاً فى سباسبها سرابى
دَفَنْتُ بها الْحَبِيبَ من الأَمــانى وَبايَنْتُ القريبَ من الصِّحَابِ
وَآثَرْتُ الكِتابَ على خَلِيــلٍ يُرَائِينى بأَصْنافِ الْكِذاب
فَزِعْتُ إلى الْكِتاب فكان عَوْنى على الأَيَّامِ وَالنُّوَب الصِّعاب
وأَلْفَيْتُ الكتابَ يَلُوحُ منــه جَبِينُ اللهِ فى الظُّلَمِ الرِّهَاب
كَتُومُ السِّرِّ مطوىٌّ حشاه على مثل ابتهاجىَ واكتئابى
يُحدِّثُنِى عن الأَشْبَاهِ وَلَّوْا فَحَوْلِى مَعْشَرٌ مِثْلُ الذئاب
وشُهْدٌ من حُطامِ الْعَيْشِ يَدْعُو نفُوساً مُنْتِنــاتٍ كالذُّبَاب

---

(١) النيرب النمول : الواشى النمام الخبيث .

وَآوَانِى الرِّضَا فى سِتْرِ بَيْتِى　　من الْأَهْوَاءِ والإِحَنِ الْغِضَابِ[١]

ومن صُوَرٍ أُلاقِيهِنَّ صُــورٍ　　من الْقُبْحِ انْتَقَبْنَ بلا نقِابِ[٢]

أُحِبُّ النِّيلَ ذا التَّيارِ يَطْمُــو　　وَيَلْطِمُ جَانبَيْــهِ بالْعُبَابِ

أُحِبُ النِّيلَ زَمْجَرَ ثُمَّ لَجَّتْ　　سَواقِيــه الشَّجِيَّةُ فى انتحابِ

سَمِعْتُ بُكاءها والعمرُ غَضٌّ　　يُعَلِّلُنِى بآمَــالٍ عِذابِ

وَعَــزَّانِى تَنَهُّدهـــا مُطِيفاً　　بِهِ سَجْعُ الْقَمارِىِّ الطِّرابِ

وبَيْنَ السُّنْطِ فى الْأَسْمالِ شُعْثٌ　　دَلَفْنَ مَعَ الْعَشِيَّةِ لاحْتِطابِ

وَشِمْتُ الْبَرْقَ مِثْلَ السَّوطِ شَقَّ الـ　　ـدُّجُنَّةَ بين مركوم السحابِ[٣]

أُحِبُّ النِّيلَ حينَ صَفا وَشَعَّتْ　　تَهاويلُ الْأَصِيلِ عَلَى الرَّوَابِى

تَهُبُّ بِهِ الشَّمالُ عَلَى شِرَاعٍ　　كَسَالِفَةِ الْإِوَزَّةِ ذى انْسِيابِ[٤]

ولَوْلاَ النِّيلُ والذِّكْرَى وَصَبْرِى　　وأَنِّىَ لِلْمَكَارِهِ ذو غِلاَبِ

وحُبُّ مُحَبَّبِينَ إلى فُؤَادِى　　لَهُمْ منه الأَثِيرُ من الشِّعابِ

وإيمــانى بقومِىَ فى قُــراهم　　أُولى الإيمــانِ والشِّيَمِ العِرابِ

لَهَاجَرْتُ الْبلاَدَ فَلَيْسَ فِيها　　سِوى ذُلٍّ وَرِجْسٍ وَاحْتِرابِ

وَلَمْ أُرْغِمْ عَلَى عَيْشٍ لَئِيمٍ　　كَرِيماً شاءَ فى الجهد اصطحابى

---

(١) الإحن : العداوات .

(٢) أى صور على منحرفة مائلة .

(٣) الإشارة إلى سوط يضرب به هنا ، كما فى عادة الأعراس فى السودان وذلك أن الشبان يتحدى بعضهم بعضاً ، ويتضاربون بالسياط .

(٤) كرقبة الأوزة .

أَرَى الْخُرْطُومَ، من قَذَرٍ وَعَارٍ ... وَمِنْ دَنَسٍ وَإِدْهَانٍ وَعَابِ

وزَهْوِ مُنَافقينَ لَهُمْ نُفُوسٌ ... تَبِضُّ مِنَ الْخِيانَةِ وَالْخِلابِ

وَحُسَّادٍ إذا ما رُحْتُ أَبْنِي ... تَنَادَوْا بِالْمَعاوِلِ لِلْخَرابِ

وَشُغْلٍ بالسَّفاسفِ وازْدِهَاءٍ ... بِإِيثَارِ الْقُشُورِ عَلَى اللُّبابِ

فَيَا وطَنًا طَوِيلَ الْحُزْنِ أَمْسَى ... يُدَبِّرُ أَمْرَهُ غَيْرُ الصَّوابِ

أَرَى نَهْرَ الجحيم طَما ونادى ... بَنِيكَ أَلاَ هَلُمَّ إلى شرابي

فَعَبُّوا كُلُّهُمْ فِيهِ عطاشاً ... فَبَشِّرْهُمْ بعَاقِبَـــةِ الْعَذاب[1]

تَنَاسَوْا كُلَّ مكرمَةٍ وَفَضْلٍ ... وَنَحْوَ الْمُخْزِياتِ أُولو هِبابِ

وَمَا يَتَزَاجَرُونَ عَنِ الدَّنَايَا ... وَقدْ بَرَزَتْ تَبَرَّجُ كَالْقِحَابِ

وَسُوِّدَ كُلُّ مَأْفُونٍ جَبَـــانٍ ... عَقُـــورِ النَّفْسِ مَلْعُونِ الإِهابِ

تَحُفُّ بِهِ الْخَبَاثُ مِنَ الأَفَاعِي ... وَتَتْبَعُهُ الْخِسَاسُ مِنَ الْكِلاَبِ

بَكَيْتُ عَلَى بِلاَدِي حِينَ سَارَتْ ... تَخَبَّطُ مِنْ يَبَابٍ فى يَبابِ

تَبِيــعُ الْحَقَّ وَهْوَ أَغَـــرُّ نَضْرٌ ... بِبَيْــعِ الْوَكْسِ فى سُوقِ التَّبَابِ

وَقدْ هَلَكَ الْحَيَاءُ فَلاَ حَيَـــاءٌ ... وَوُورِيَ ذِكْرُهُ تَحْتَ التُّرَابِ

تَدَفَّقْ أَيُّها النِّيلُ الْمُفَدى ... وَسِلْ بَيْنَ الأَبَاطِحِ وَالْهِضَابِ

عَزَاءُ النَّفْسِ أَنْتَ إِذَا تَغَشَّى ... رُبا الآمَالِ يَأْسٌ كَالضَّبابِ

حَبَبْتُكَ إِذْ نَبَاتُ الْعُمْرِ غَضٌّ ... وَوَرْدُ الْحُبِّ أَحْمَرُ كالشِّهابِ

---

(١) إشارة إلى أصحاب طالوت – راجع الأثمان الأخيرة من سورة البقرة قوله : (إن الله مبتليكم بنهر) .

صَبَرْتُ عَلَى اللَّيالِي حَالِكَات   وَذُقْتُ الْمُرَّ مِنْ سَلَعٍ وَصَاب
وَجَاهَدتُّ الزَّمَانَ الْجَهْمَ فَرْدًا   غَنِيًّا عَنْ شَفِيعٍ أَوْ مُحَابِى
وَيُكْبِرُنِى الْعَدُوُّ إذا رَآنى   فَإِذْما غِبْتُ عَاجَ عَلَى اغْتِيَابِى
وأَلْسِنَةٍ مِنَ الْجُهَلاءِ هُوجٍ   تَعَثَّرُ حَائرَاتٍ فِى سِبابِى
عَبَأْتُ لَهَا طَوِيلَ الْحِلْمِ عَنْهَا   وآثَرْتُ الْجَمِيلَ من التَّغابِى
سَيَفْنَى الْأَرْذَلُونَ غَدًا وَأَبْقَى   بَقَاءَ النَّجْمِ والصَّخْرِ الصِّلاَبِ

شكوى وعزاء

١٩٥٥

قدْحَزَّفى النَّفْسِ أَنِّى لَيْسَ يَشْكُرُلى   قَوْمِى بَلائى وإِبْدَاعِى وإِحْسَانى
أَمْسَى يُنَدِّدُ بِى مَنْ لَيْسَ مِنْ وَطَنِى   وَبَاتَ يَحْسُدُنِى أَهْلِى وَجيرَانى
وَلَمْ أَرُمْ بَيْنَهُمْ تِيهاً وَمَفْخَرَةً   يَأْبَى لِىَ الْفَخْرَ عِلْمِى ثُمَّ إِيمانى
وَقَدْ بَلَوْتُ رجَالاً قِيلَ إِنَّهُمُ   عِنْدَ الْخُطُوبِ ذَوُو رَأْىٍ وَرُجْحَان[1]
فَلَمْ أَجِدْ غَيْرَ أَشْبَاحٍ مُخَلَّقَة   من الدَّنَاءَةِ فِى مِسْلاَخِ إِنْسَان
مِنْ أَعْجَمِ النَّفْسِ فَدْمِ الْقَلْبِ لَيْسَ لَهُ   إِذا بدا الْحَقُّ صَلْتاً غَيْرُ نُكرَان
وآخَرِينَ ضِبَاعٍ لاطَبَاخَ بِهَا   أَبْنَاءِ كَيْدٍ وَمَكْرُوهٍ وإِدْهَان
وَقَدْ رَعَيْتُ عُهُودَ الْوُدِّ مِنْ نَفَرٍ   حَسِبْتُهُمْ يَوْمَ جَدَّ الْجِدُّ خلاَّنى
إِذَا هُمُ حَسَدٌ دَفْرٌ وَمَلاَمَةٌ   قَدْ آثَرُوا وَيَرَوْنَ الْحَمْدَ كُفْرَانِى[2]

---

(١) لك أن تنشد « أولو الرأى » وأولو أفصح فى النثر .

(٢) دفر : منتن .

لَقَدْ عَبَأْتُ لَهُمْ صَبْرًا أُهِيبُ بِهِ ... عِنْدَ النَّوائِبِ لاَ يَطْبُوهُ خِذْلاَنِى[1]

لَسَوْفَ أَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ مُؤْتَلِقًا ... يَرَى بَنُو الدَّهْرِ إِشْرَاقِى وَبُرْهَانِى

وَلاَ أُرِيدُ من الدُّنْيَا سِوَى رَمَقٍ ... بِهِ أُشَيِّدُ حَتَّى تَمَّ بُنْيَانِى[2]

وَقَدْ عَرَفْتُ أَذَى الْحُسَّادِ إِذْ عُمُرِى ... غَضٌّ وَإِذْ أَنَا غِرٌّ غَيْرُ يَقظَانِ

وَقَدْ جَرَعْتُ كُئُوسَ الصَّابِ مُتْرَعَةً ... مِنْ ثُكْلِ حِبٍّ وَمِنْ نَأْىٍ وَحِرْمَانِ

وَلَمْ يَزَلْ فِى فُؤَادِى مَنْزِلٌ بَهِجٌ ... وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ سَهْوِى وَسُلْوَانِى

حَبَانِىَ اللهُ صفْوَ النَّفْسِ فِى زَمَنٍ ... أَمْسَى يَمُوجُ بِأَكْدارٍ وَأَضْغَانِ

* * *

إِنَّ الَّتِى حَجَبَتْ عَنِّى زِيَارَتَها ... هَاجَتْ وَقَدْ هَجَعَ النُّوامُ أَشْجَانِى

غَرِيرَةٌ غَضَّةٌ حَسْنَاءُ آنِسَةٌ ... رَيَّا الْأَدِيمِ كَغُصْنٍ يَانِعٍ حانى[3]

بَرَّاقَةُ الثَّغْرِ يَهْفُو حَوْلَهُ لَعَسٌ ... إِخَالُهُ إِذْ يَبِضُّ النُّورَ نادانى

أَذُودُ نَفْسِىَ عَنْهَا وَهْىَ ظَامِئَةٌ ... وأَصْرِفُ اللُّبَّ عَنْهَا أَىَّ أَسْوَانِ

ولو تشاءُ لقادتنى علانِيَةً ... وأَذعن الصَّعْبُ منى أَىَّ إِذعان

أَم ليس يُذْعِنُ قلبٌ بات يفعمه ... هذا الهيامُ ،لوَصْل أَو لهجران

لَعَلَّهاحِينَ يَكْسُو الشَّيْبُ مَفرِقَها ... تَذْكُرُ أَزْمَانَها الْأُولى وَأَزْمَانِى[4]

وَمَا أُكِنُّ مِنَ الْوُدِّ النَّفِيسِ لَهَا ... وَمَا أُكَتِّمُ مِنْ وَجْدٍ وَنِيرَانِ

---

(١) يطبوه : يدعوه .

(٢) أى حتى يقال قد تم .

(٣) الأديم : الجسم . وحانى من حنا يحنو .

(٤) فى الجزء الأول من الشطر الثانى زحاف الطى .

وَلَّى الشَّبَابُ وَسَحَّ الدَّمْعُ مُنْهَمِلاً ... على الشَّبَابِ النَّضِيرِ الفائتِ الفانى

وفى الفُؤَادِ شَبَابٌ لاتُمَدُّ له ... يَدُ الزَّمَانِ أَمِينٌ غَيْرُ خَوَّان

ذَكَرْتُ لَنْدَنَ إِذْ شَعَّ الرَّبِيعُ بها ... فَهيَّجَ الذِّكْرُ أَشْواقى وأَحزانى

قَضَيْتُ فيها زَمَانًا كَمْ شَمِمْتُ به ... عِطْرَ الْحَيَاةِ وَخِلْتُ السَّعْدَ حيَّانى

ورُبَّ نَهْرٍ كَنَهْدِ الْخَوْدِ مُمْتَلِئٍ ... ضَمَمْتُه فَأَوَى حُبِّى ورَوَّانى[1]

وَغَابَةٍ كالسَّحَابِ الْجَوْنِ غَاطِيَةٍ ... شَدَوْتُ فيها كطَيْرِ الْخُلد ألحانى

ومجلس من حسان يَلْتَقِطْنَ به ... حَبَّ القلوب بألفاظ وأَجفان

يَنْثُرْنَ لؤلُؤَ قَوْل كَيْفَ ينظمه ... قلبى وتَسْطَعُ مِمَّا ضاءَ أركانى[2]

مضى الزمانُ وقد عُدْنا إلى وَطَنٍ ... فلم نَجِدْ غَيْرَ تَثْبِيط وإيهان

وعَقَّنا النِّيلُ إذ يَرْوى بِسلْسَلِهِ ... وَغْلُ العزيمةِ ذو زَيْفٍ وبُهْتان[3]

لولاكِ أنتِ لكان الْعَيْشُ أَجْمَعُه ... سَحَابَةً من حَمِيمٍ آسِنٍ آنى[4]

نَصَرْتِنِى حِينَ لاخِلٌّ أَلُوذُ بِهِ ... وَحِينَ خَانَ ذَوُو وُدِّى وَأَعْوَانى

فَكَيْفَ أَجْزِيكِ إِحْسَاناً بِكُفْرَانِ ... هَيْهَاتَ حَتَّى يَضُمَّ الْقَبْرُ أَكْفَانى

آوَيْتِنِى حِينَ لا قُرْبَى ولا نَسَبٌ ... إلا الودادُ وحُبٌّ ليس بالوانى

وحُطْتِنِى مِنْكِ بالْعَطْفِ الْجَمِيلِ فَقَدْ ... رَفَّتْ بِزَهْرِ الرِّضَا والْبِشْرِ أَغْصَانى

---

(١) الخود : الفتاة الشابة الجميلة .

(٢) كيف ينظمه : تعجب وهذا استعمال قديم ، قال جميل : فكيف يرى منها سرور .

(٣) الوغل : الضعيف الزائف .

(٤) الآنى : الحار الذى لا يساغ . الخطاب لزوجى ، وتزوجت فى ٣٠ من أكتوبر ١٩٤٨

لَكِ التَّحِيَّاتُ أُهْدِيها وَتَكْرِمَةٌ ... مِنْ الْفُؤَادِ وَمَوْمُوقَاتُ أَوْزَانِى[١]

فابْقَىْ عَلَى الْوُدِّ إِنِّى سَوْفَ أَحْفَظُهُ ... على اللَّيَالِى وَإِنْ هَمَّتْ بِطُغْيَانِ

أوراق الخريف

أَآن مال عن رأس الفتاة خِمارها ... وما أَبَهَت ،فى القلب منك ادَّكارها[٢]

من القاصراتِ الطَّرْفِ ،نَضْرٌ جبينُها ... وَفَجْرٌ مُحَيَّاها ، وتِبْرٌ نِجارها

ونَشْوَانُ من خَفْقِ الغلائل حولها ... أُرِيقَ عليهِ وَرْقُهَا ونضارها[٣]

وَيَعْذُبُ مِن فيها الحديث فلا يُرَىٰ ... لَمَاها ، ولا يَخْشَى رقيباً سرارها

أَجِدَّك لا يَنْفَكُّ هَمُّكَ طامحاً ... إلى طَلِبات لا يُقَال عِثارها

تُؤَمِّلها أَن شام قلبُكَ وَلْيَها ... ومن دونه إعراضها ونِفارها[٤]

وشاقك منها مُهْرَةٌ عربية ... مُبِينَةُ عِتْق : بُدْنُها واضطمارها

وما لمحت عيناك إلا ذُؤَابَةً ... تَوَقَّدَ منها لِيتُها وعِذارُها[٥]

ومن يسْلُو عن خَلوبٍ خَرِيدَةٍ ... مُخَبَّأَة فى السرِّ منك استتارها

إذا ما تَسَدَّى طارقٌ من خيالها ... أَرِقْتَ وشُبَّت فى ضلوعك نارها

---

(١) موموقات أوزانى : أى الأوزان التى أحبها كالطويل والبسيط والوافر وسائر أصناف الشعر .

(٢) ادكارها : تذكرها . أى ألآن مال خمارها تتذكرها .

(٣) الورق بسكون الراء وفتح الواو مثل الورق بكسر الراء وفتح الواو — والورق الفضة . قال تعالى : فابعثوا أحدكم بورقكم هذه — والسكون قراءة أبى عمرو .

(٤) وليها : مطرها ، أى إسماحها وما هو بهذا المجرى ، ههنا .

(٥) الليت : صفحة العنق .

ويا حبذا ريفُ اللُّوَارِ وربــوةٌ　　دُوَين اللُّوار ذو معين قرارها[١]
وشِينُون لما أن حمدتَ مُقامها　　وتَمَرُّك من أَبناءِ قوم جوارها[٢]
ولَذَّك بالعصرين إيلافُ رحــلة　　على لاحبات لا يمور غبارها
على مُتَلَئِّبَاتٍ عِرَاضٍ دوافعٍ　　بمن يَنْتَحيها مستبين منارها[٣]
فننظِم أَشتات المدائن والْقُرى　　وتُجْبَى إلينا فاكهين ثمارها
مع الخبز واللَّحْمِ الحنيذِ زجاجة النـ　　ـبيذِ ،لذيذٌ فى اللهاة انحدارها
وكاساتُ خمر لم يعبها خُمارُها　　وشقراءُ رودٌ فى رُوَايانَ دارُها[٤]
جلاها نهارُ الصيف يَبْرُق للهوى　　على السِّيفِ كالْحَلْى الفصيم نهارُها[٥]
وخالط مَوْجُ الْبَحْرِ طَرْفَكَ عندها　　وخِصْبُ الرُّبَا من حولها واخضرارها[٦]
ومـــا هى إلا فى إزار وعِلْقَة　　فَقَدْ حَجَبَتْها عِلْقَةٌ وإزارُها[٧]
تكاد لِفَرْطِ الْحُسْنِ تَنْضُو ثِيابها　　غَرَارَتُهـــا فى لهوها واغترارها
كأَن نَسِيَتْ بالرَّمْلِ دُمْلُجَ بَطْنِهَا　　وأَغْفَى على رُمَّانَتَيْها سِوارُها[٨]
وتَحْسِبُها من صُنْع يُونانَ دُمْيَــةً　　وتُذْرَىَ عليها من دموع غزارها

---

(١) اللوار أكبر أنهار فرنسا . والربوة المكان المرتفع بفتح الراء وضمها .

(٢) شينون مدينة ذات حصن كان لولى العهد الفرنسى فى الزمان السالف وألمت بها جان دارك أول أمرها .

(٣) العصران : الصباح والمساء . واللاحبات الطرق الواضحة . والمتلئبات المستمرات على نهج بين . والمنار ، علامات الطريق . و طرق فى فرنسا واضحة وعليها علامات بينة .

(٤) روايان بفرنسا على الشاطىء الفضى .

(٥) أى نهارها يبرق للهوى . والسيف ، الشاطى بكسر السين وإشباعها . والفصيم المفصوم .

(٦) لك أن تنشد : وخصب فرنسا . أو وخصب فرنسا والربا . وما أثبتنا أجود .

(٧) العلقة : بكسر العين ثوب تلبسه الجارية على صدرها تتبذل به . والمراد ههنا ثوبا البحر . قال الآخر :

وما هى إلا فى إزار وعلقة　　مغـار ابن همام على حى خثعما

(٨) المراد ههنا أنها جميعها كالحلى لا أن يدها على صدرها. ذلك بأنها لغلفها وتغافلها عن مثالها الملقى، كأنما نسيت حليها وذهبت لتسبح . والمعنى الظاهر يحتمل .

ويارُبَّ ساعات تساقطن مثلما   يُسَاقِطُ أوراقَ الخريف احمرارها
وما لمست كَفاك راحَةَ خُلَّة   من الودِّ إلا فى حشاك استعارها
وعزَّ الهوى لكنَّ قلبك وامِقٌ   ودائِعَ يُعْيِي الموسِرِينَ ادّخارها
وإنك تلقى الحادثات بمُهْجَةٍ   جميل على مكروههن اصطبارها
ألم تر أنِّى والأعادىَّ لم نَزَلْ   لدى لُجَجٍ ما ينجلين غمارها
يرومون مِنِّى صَخْرَةً إِرَمِيَّةً   طويلاً على قَرْعِ الزمانِ انتظارها

يا جارة البين*

١٩٥٧

ياجارةَ الْبَيْنِ منها الْحُسْنُ والطُّول   إن الفُؤَادَ ، فُؤَادَ السَّفْرِ مَتْبُول[1]
يقولُ ناعِتُها
من عَبْقَرٍ هى أو طُوبَى منابتها
وحارت العين لمَّا جاءَ باغِتُها
وقد تَبِينُ ورَهْنٌ منك مَكْبول[2]
وصاحَ هاتِفُ ساقَيْها وقد سَمَقَتْ   بكعبها وخِضَابُ الْقَزِّ مرمول[3]

* نظمت فى الطريق وروجعت فى ٢٤/١١/٥٨ ونشرت فى مجلة جامعة الخرطوم ثم أعيد فيها النظر بعد ذلك .

(١) جارة البين – مضيفة الطائرة . السفر – المسافرون .

(٢) الرهن المكبول هنا هو القلب .

(٣) القز هو الحرير وخضاب القز هو كساء القدم والساق الحريرى الرقيق . مرمول – منسوج .

حَبَابُه بَشَرُ الدُّرِّ الذى حَلِيَتْ ‏ ‏ وراحُهُ بَشَرٌ كالدُّر مصقول[١]

أَم راحُهُ شَفَتاها أَوْ مُقَبَّلُها

أَم مِعْصَمَا بُرَتَيْها أَمْ مُخَلْخَلُها[٢]

أَم خَصْرُها حيث طَيُّ البطَنِ مجدول

وفى أَناملِها مِمَّا تصيد به ‏ ‏ قَنَا الأَظافِرِ قالت أَنْتَ مقتول

بَيْضَاءُ من مَعْشَرِ الأَحْرَارِ هَذَّبَها ‏ ‏ طُولُ السِّفارِ وفى الْخَدَّين تأسيل

وقد أَنافَ على آفاقِ عاتقها ‏ ‏ فَرْعٌ لَّها طُرَّةٌ منه وإِكْلِيلُ[٣]

يا نَظْرَةً نَظَرَتْ عَيْنٌ وَخَامَرَها ‏ ‏ لَذْعُ الْهَوى، إِنَّ سَيْفَ الْحُسْنِ مَسْلولُ[٤]

مَصْنُوعَةٌ صُنْعَ تِمْثَالٍ تَجَفَّلُ من ‏ ‏ أَقواسها الْمَرْمَرياتِ السَّرَابيلْ[٥]

ما إِن يُشَاهَدُ فى إِحْنَائِها عَرَضًا ‏ ‏ مِمَّا يُلامِسُهُ الْجِلْبَابُ تَرْهِيلُ

ولا يُرىَ صَدْرُها يَرْتَجُّ مِنْ سَرَفٍ ‏ ‏ ولا الْعِظَامُ جَسًا مِنها تفاصيلُ[٦]

---

(١) هنا إشارة إلى قول أبي الطيب :

لها بشر الدر الذى قلدت بـه ‏ ‏ ولم أر بـدراً قبلها قلد الشهبا

وفى البيت تشبيه خفى للساق وكسائه بالخمر وراجع قصيدة « بنات انديز » فى باب الرجزيات

(٢) المقبل معطوفة عطفاً محضاً على الشفتين من دون معادلة كالذى رواه سيبويه من قولهم : كيف وجدت زبرا * أأقطا أو تمرا * أم قرشيا صقرا * والبرة من زينة المعصم والمخلخل موضع الخلخال وهو الحجل .

(٣) الفرع : شعر الرأس .

(٤) خامرها : خالطها . إن بالكسر ولك الفتح أيضاً .

(٥) تجفل : تتجفل .

(٦) لك أن تنشد : جسا منهن تفصيل وما أثبت أحب إلى .

صُبَّتَ عَلى قَصَبٍ رَيَّانَ مُمْتَلِىءٍ خَدْلٍ وَفى الْوَجْهِ مِشْكاةٌوقنديل[1]

والخدُّ أَسْجَحُ والجيدُ الكريم نما كما نما غُصُنٌ رَّيانُ مطْلول

وقال واصِفُها

لَدْنٌ معَاطِفُها ، حُلْوٌ مراشِفُها

مَلِيحةُ الطَّوْقِ برَّاقٌ سَوالِفها[2]

رَيْحانَةٌ أُنُفُ الرِّئْمانِ تَقْطفُها الْ عَيْنانِ فَاتِنَةٌ غَرَّاءُ عُطْبُول[3]

يا جَارَةَ الْبَيْنِ إِنَّ القلبَ مُحْتَزِنٌ والحبّ ناءٍ وَعَقْدُ الصَّبْرِ محلول

وَنحْنُ قَوْمٌ على مَتْنِ الهواءِ وما لنا مُقَامٌ هنا والْحُبُّ تَمْهِيل[4]

وأَنْتِ نَاعِمَةٌ بالسِّحْرِ بَاغِمَــةٌ للقلب فِيكِ صبابَاتٌ وتَأْمِيل

عَمَرتِ ساعاتنا لولاكِ قد سئمَتْ منا النفُوسُ وسيْرُ الجوِّ مملول

جاءت تعَلِّلُ أَطْفالاً بِتَلْهِيَــةٍ هَلاَّ بنا مِنْكِ هاتيك الأَعاليل

فَرَوِّ نفسك من لَحْظٍ تُخَالِسُهُ عيناكَ إِنَّ خِلاَسَ اللَّحْظِ تقبيل[5]

أَحْسُو بِشِعْرِ جَرِيرٍ كَأْسها جَذِلا فَفى نَسِيبِ جَرِيرٍ مِنْهُ تَأْوِيل

لو كان أَبْصَرها أَفْنَى صبابته فيها وكان لنا من ذاك ترتيل

---

(١) لا أعنى أن فى وجهها كوة ، ولكن المشكاة والقنديل معاً يكون منهن النور وإلى هذا ذهبت الآية « الله نور السموات والأرض إلخ » . القصب ، الأطراف . خدل — مجدول حسن لا ترهل فيه .

(٢) اللدن : اللين . الطوق : عقد من الخرز ونحوه .

(٣) الرئمان : الحنان والعطف . أنف : الروضة التى لم يرعها أحد . فأنف الرئمان أى عطفها وحنانها هو شىء جديد متفتح مقتبل . العطبول — الجارية الحسنة .

(٤) المقام بضم الميم : الإقامة .

(٥) خلاس اللحظ : مخالسته .

عفا الْهِدَمْلَةُ فالْحِزَّان فالْمِـــيل فالْحَنْظَلِيُّونَ لا عُزْلٌ ولا مِيلُ[١]

يَفْرِى جَلادَتَنا التَّأْمِيزُ مُخْتَلِبًا وَكانَ يَخْلُبنا من قبله النِّيلُ[٢]

إن التى خاننى بالأَمسِ موعدها نَـأَتْ مَزارًا وغَالتْ وُدَّها غُول

لَقَد تَعَرَّضَ بَحْرُ الرُّومِ يُفْزِعُنا عنها فهل حَبْلُها إذْ رَثَّ موصول[٣]

ولا مواعيدُ عرقوبٍ لها مَثَلٌ ولا العِتَاقُ النَّجيباتُ الْمَراسِيلُ[٤]

وافْتَرَّ ناظِرُها والتِّيهُ آطِرُهـــا

تبارك الْمَلِكُ الْقُدُّوس فَاطِرُها

وحاطهـــا آل حَمٍ وتَنْزِيل[٥]

إذ جَلْجَلَتْ بِكَ ذاتُ الْجَوِّ واعتملت وأنت فيها بعيد الدار مَغْلول[٦]

تَنْغَلُّ فى المَلإِ الْمَجْهُولِ رَاجِفَةً والْبَحْرُ دُونَكَ رَهْوُ الْهَوْلِ مَجْهُولُ[٧]

---

(١) الهدملة والحزان والميل مواضع تجىء فى شعر جرير والحزان هى الحزون واحدها حزيز والحنظليون قوم جرير والفرزدق إذ كلاهما من حنظلة تميم .

(٢) التأميز — نهر لندن ولك أن تنشد التاميز بالألف الخالصة وهو جيد .

(٣) إشارة لقول عبدة بن الطبيب — هل حبل خولة بعد الهجر موصول .

(٤) إشارة إلى بيتى بانت سعاد وذلك قوله :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيده إلا الأباطيل

وقوله :

أضحت سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل

(٥) آل حم سبع سور وقبلها سورة الزمر وتسمى سورة تنزيل .

(٦) ذات الجو : الطائرة . وراكب الطائرة يربط بالحزام عند إقلاعها وإرسائها .

(٧) تنغل : تدخل ، أصله من غل . رهو الهول : أى رهو ذو هول قال تعالى : « واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون » أى ساكناً على حاله وهى فى سورة الدخان .

وإنَّ منا لدَى فَيْحَاءِ أَنْدَلُسٍ ... إلفاً بهِ الْقَلْبُ عَوْضَ الدهْرِ مشغول[١]

إِلْفاً يشارِكُنا رَيْعَ الرخاءِ وَبأْ ... ساءَ الْبَلاءِ له فى النَّفْسِ تأْثيل

أُمْسِى أَحِنُّ إِليها وهى نائيــةٌ ... والنفسُ من بعدها طَيْرٌ أَبابيل

جمالُها خالدٌ فى النفس يَخْلَعُهُ ... مِنّى على غَيْرِها ظَنٌّ وتمثيل

هى الخليلُ إذا الخُلاَّنُ كلُّهمو ... خانوا وكَمْ لى فيهم قَبْلُ تَخْليل[٢]

أَما ترانى على الدنيا أَخا جَلَد ... والناس جهدُهُمُ جَهْلٌ وتخذيل

عفٌّ صبور على الضَّراءِ مُطَّلِبٌ ... أَبغى الهدى عند ذى الآلاء مَقْبول

إن أَشرق العيدُ لى فى أَرْض مالِطَةٍ ... بين النصارى ففى الأَعماق تهليل

وبالسِّيالَةِ من قوم أُحِبُّهمو ... لمُحْكَمِ الآى إدغام وتسهيل[٣]

يتلُون حَرْفَ أَبى عمرو إمالتهم ... مَحْضٌ وما لِرُءُوسِ الآى تقليل

من شانه قومه أَلا يتيهَ بهم ... فقومِىَ الصُّدُق الصِّيدُ البهاليل

يَجْرِى عليهم من النيلين مُنْبَعِقٌ ... وفى أَكُفِّهِمُ من جودهم نيل

هَيْنُون لَيْنُون إن ظَنَّ الغبىُّ بهم ... ضَعْفاً ففيهم لأَهْلِ البغى تفليل[٤]

وقيل إنك تغلو فى مــديحهم ... أَفى غُلُوِّكَ فيهم أَنت معذول[٥]

---

(١) عوض الدهر : أبد الدهر .

(٢) تخليل أى نظر وتنقيب واختيار ومنه قول الآخر : خلل فى سراتهم .

(٣) الإدغام والتسهيل و إمالة بعض الأحرف محضاً كل ذلك فى قراءة أبى عمرو فى السودان — ولا يقللون رءوس الآى نحو هوى وغوى فى سورة النجم وهذا هو المذهب المصرى المغربى كما ذكر صاحب النشر . والتقليل هو إمالة بين بين .

(٤) لك أن تجعل « تنكيل » مكان « تفليل » وما أثبت أحب لى .

(٥) تغلو : تجاوز الحد وتفرط — ومعنى عجز البيت وهل يلام أحد على الإفراط فى مدح قومه .

لا يَحْزُنَنَّكَ أَنْ أَضحَت مُفايِشَةً   بنو الأَشَابِةِ والبُدْنُ المهازيل[1]

ما يَنْظُرُونَ سِوىَ أَمْرِ الْمُهَيْمِن لوْ   قد جَاءَهُمْ إِنَ أَمر الله مفعول[2]

فقد صَبَرْتُ على مكروههم وَأَنَّى   أَنىً عليهم بِفَتْحٍ منه مَحْمُول[3]

فَتْحٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ ذُو علانِيَةٍ   وَطَعْمُهُ فى لِثَاتِ الْقَلْبِ معسول[4]

وخَاسِرٍ سَطَّرَتْ زُورًا صَحِيَفتهُ   يُؤْتَى بها وَهْيَ يَوْمَ الدِّينِ سِجِّيلْ[5]

دَعْهُمْ وَغَنِّ بَسِيطَ الشِّعْرِ مُسْلِسَةً   إِلَيْكَ مِنْهُ القَوافِي والتَّفاعيل

بَلْ جَارَةُ الْبِينِ منها الْحُسْنُ والطُّول   وَجَارَةُ الْبَيْنِ والدُّنْيَـــا أَعاليل

وَرَاحُ رِيقَتِها بيضٌ يعاليل   «وما مواعيدها إلا الأَباطيل»[6]

«والعيشُ شُحٌّ وإِشفاق وتأْميل»[7]

والدَّمْعُ أَن رحــل الأَحبابُ مَهْمُول

وأَنْتِ جارِيَةٌ غَــــرَّاءُ عُطبول

والسَّفْرُ سَفْرُ الْفؤادِ الصَّب مَتْبُول[8]

وقد نَأَيْتِ وَرَهْنٌ منك مكبول

---

(١) مفايشة : مفاخرة زهواً وباطلا .

(٢) ينظرون : يرقبون وفى القرآن «وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق» .

(٣) أنى الأولى فعل ماض مضارعه يأنى من الآن ومنه قوله تعالى : «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم» وأنى الثانية هى أن المفتوحة الهمزة المشددة النون مع ياء المتكلم وهى واسمها وخبرها فى تأويل مصادر .

(٤) لثات جمع لثة وهنا تشبيه للقلب بالفم .

(٥) سجيل كسجين ذكر هذا الوجه جار الله فى تفسير سورة الفيل .

(٦) الشطر الأول ينظر إلى بانت سعاد والثانى تضمين منها .

(٧) هذا من لامية عبدة بن الطبيب فى المفضليات .

(٨) أى الفؤاد الصب نفسه أفئدة مسافرة .

يهنيكِ رَوْضُ شبابٍ أنْتِ مُكْتَهِلٌ ... وكوكبٌ شَرِقُ الآفاقِ مَطْلُول[1]

وبالسِّيالةِ من قَــوْمٍ نحبهُمو ... حُرُّ الهوى ولكِ الإحْسانُ مبذول

يا جارةَ الْبَيْنِ والْحزَّانُ والميــلُ ... وَجَلْجَلت بك ذاتُ الجوِّ والنيل[2]

غربة وذكرى

طال اغْترابُ الوحيدِ عن وَطَنِهْ ... وَحَنَّ هَدْءَ الدُّجَى إلى سَكَنِهْ

وادَّكَرَ الْأَقْرَبِينَ فانْهَمَل الدْ ... دَمْعُ كَسَحاحٍ وَابِلٍ هَتِنِهْ

لَا خَيْرَ فى الْبُعْدِ لا يَنَالُ بِهِ الْـ ... مَرْءُ سوى ما يزيدُ فى حَزَنِه

والدَّهْــرُ كَرَّارَةٌ نوائبُــه ... لا تُؤْمَنُ الْغَائلاتُ مِنْ محنه

مَنَّاكَ وَعْدًا حَتَّى اغْتَرَرْتَ بِهِ ... فَقَدْ غَرِمْتَ الْعَزِيزَ فى ثمنه

شَوْقاً إلى النِّيلِ ذى البشاشة كَمْ ... سَعِدْتُ فى رِيفِهِ وفى مُدُنه

وكَمْ تَحَسَّيْتُ مِنْ سُلافَتِــهِ ... مُكَرَّمِ الْعِرْضِ غَيْرَ مُمْتَهَنه

لولا المقاديرُ كان أَحْرَزَنِى ... مالا يَنَالُ الْعُدَاةُ من أَمَنِهْ[3]

ولم أُقَضِّ الأيام مُدْجَنَــةً ... فى بَلَدٍ قد سَئِمْتُ من دجنه

ولم أُعَلِّمْ بنى الأعاجم من ... كُلِّ عَيٍّ لا يُبينُ من لَكَنِه

يَطْرُقُنِى الهمُّ لا أَبِيتُ بلا ... قَلْبٍ كليمِ الفؤادِ مُحْتَزِنه

---

(١) أى روض شباب هو أنت .

(٢) رفع الحزان والميل على التبعية للمنادى السابق ، على المحل وروى عن عاصم وأبى عمرو فى سورة سبأ « يا جبال أوبى معه والطير » برفع الطير عن غير طريق الشاطبية والمشهور عنهما النصب .

(٣) الأمن بالتحريك كالأمن والمراد هنا : احرزنى موضع أمن منه لا يناله العداة .

لو اسْتَطَعْتُ ارْتَفَعْتُ فى جَبَل ... أَرْقَى إلى الفارعاتِ من قُنَنِهْ

حتَّى أَذود الهمومَ هَاجِسَةً ... تَنْتَهِبُ الطَّرْفَ مِنْ حمى وَسَنِه

يُخَيِّلُ الطَّلْحُ والسِّيالُ لعَيْ ... نَيْكَ وَبهْمٌ يَثِبُ من عُنَنِه[١]

ومُشْتَق مائِـــحٌ ومُخْتَطِبٌ ... وذُو جَنَاحٍ يَنُوحُ فى فَنَنِه

وَحَبَّذا الْمُلْتَقى يُطَارِحُكَ الشِّ ... عْرُ بأَظْلَالِهِ ذَوُو فِطَنِه

يَالَيْتَ شِعْرِى مَتَى أَعُودُ فَقَدْ ... بَرَّحَ نَأْىٌ وَلَجَّ فى شَطَنِه[٢]

نَبَا بِنا الْعَيْشُ فى مَرَابِعنــا ... بَعْدَ مَليحٍ من الصبا أَرِنِه[٣]

حلَّأَنا مَوْرِدَ السَّعَادَةِ لَــوْ ... جَادَ رَضِينَا بالثَّمْدِ من مُعُنه[٤]

ولم نَزَلْ نَرْكَبُ الْفِجَاجَ إلى الـ ... رِّزْقِ وَنَطْوِى الْحَشَى على ضَغَنِه

نَرْقُب أَنْ يُفْسَحَ الْمَضِيقُ وَأَنْ ... يُفْضِى بِنا لاحِبٌ إلى سَنَنِه[٥]

تِلْكَ أَعَالِيلُ والْفَتَى غَرَضٌ ... للصُّيَّبِ الْمُصْمِياتِ من زَمَنِه[٦]

إنَّ الثلاثين إنْ دَنَتْ قَرَبَ الْـ ... مَرْءُ إلى أن يُجَنَّ فى جَنَنِه[٧]

سَقى الْحَيَا كلَّ أَجْرَعٍ عَطِرٍ ... بالنَّالِ تَرْدِى الظِّبَاءُ فى دِمَنِه[٨]

---

(١) العنن جمع عنة بضم العين وهى حظيرة الماشية.

(٢) الشطن بالتحريك : البعد.

(٣) الأرن، بكسر الراء : النشيط.

(٤) المعن : المياه جمع معين. والثمد القليل من الماء وفى الدارجة الثمد بالثاء والميم المفتوحتين

(٥) اللاحب : الطريق الواضح والضمير فى سنن يعود إلى الرزق.

(٦) الصيب : الصائبات المصميات القاتلات.

(٧) الجنن بالتحريك القبر أو الكفن. وقالت التى رثت الأحنف : لله درك من مجن فى جنن ومدرج فى كفن.

(٨) النال : ضرب من العشب.

وَجَادَ تُوتِيلَ والأَهِلَّةَ مِنْ   تُكْرُوفَ مُزْجِي الغُيُوثِ فى مزنه[١]

والْجَبَلَ السَّامِيَ الْمُطِلَّ عَلَى الْ   وَادِي الذى حَلَّهُ بَنُو حسنه[٢]

مُتوَّجًا بالسَّحابِ مِثْلِ دُخَا   نِ الطَّلْح قَدْ عَجَّ حَوْلَ مُدَّخِنِه[٣]

أَمْلَسَ ضَحْيَان لَيْسَ يَصْعَدُهُ   رَاقٍ شَدِيدُ الْقُوَى لِمُمْتَحِنِه

بِهِ رَعَيْتُ الصِّبا وَرَبَّبَنِي   ما شِئْتُ من شُهْدِهِ ومن لَبَنِه

يَاوَيْحَ نفسى مَتَى مَعَادُ أَخِي الْ   غُرْبَةِ بَعْدَ النَّوَى إلى وَطَنِهْ

وَكَاشِحٍ ذى عَدَاوَةٍ حَنِقٍ   مُمْتلِيءِ الصَّدْرِ مِنْ قَذَى إِحَنِه

دَعْهُ سَتَكْفِيكَهُ عداوتُهُ   حِينَ يُقَاسِي الْجَحِيمَ من شَحَنِه

يَارُبَّ كَأْسٍ صِرْفٍ مُعَتَّقَةٍ   تَرُدُّ سالى الْهَوَى إلى شَجَنِه

نَازَعْتُها وَالْحَدِيثَ ذا مِقَةٍ   أَمْزُجُ جَهْلاً منها إلى طَبَنِه[٧]

وَذَاتِ وَقْفٍ زَهْرَاءَ غَانِيَــةٍ   كالنَّوْرِ رَفَّ النَّدى على غُصُنِه

نَاجَيْتُها سِرَّ لَيْلَةٍ كَمَلٍ   حَتَّى اسْتَقَلَّ الصَّبَاحُ من وَكَنِه

وَمُغْلَقٍ طَيَّــهُ فَرَائِدُهُ   بَدَائِــعُ الأَوَّلين فى خَزَنِه

كَشَفْتُ عَنْهُ واللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ   وَأَدْرَجَ النَّوْمُ النَّاسَ فى كَفَنِه[٨]

---

(١) الأهلة : الغدران . وتوتيل عين بجبل كسلا . وتكروف عد بناحية كسلا .

(٢) هو جبل كسلا وعنده حله الختمية .

(٣) المدخن هو الذى يوقد الطلح يتدخن به وذلك بأن يلف جسده بشملة ويجلس على حفير الطلح فترى الدخان يخرج من خلال الشملة عند عنقه . ونساء السودان يكثرن من الدخان .

(٤) الضحيان : البارز للشمس .

(٥) الشهد واللبن هنا حقيقة لا مجاز لكثرتهما بكسلا .

(٦) الشحن : الشحناء .

(٧) الطبن : الفطنة .

(٨) عجز البيت جزؤه الثانى تام هكذا : مفاعلن مفعولات مفتعلن بخبن الأول وطى الثالث ولك أن تنشد : نوأمه مدرجون فى كفنه ، لتقيم البيت على المستعمل من وزن المنسرح .

ذَاكَ عَزَاءٌ وما يَدُومُ مِنَ الزَّ مانِ ذُو صَفْوِهِ وذو دَرَنِه
لا يَحْسَبِ الظالمون أَنَّهُمُ نَاجُونَ من رَيْبِهِ ومن فِتَنِه
تَدَفَّقَ الشِّعْرُ من فؤادِكَ كالسَّيْ لِ فَدَعْهُ يَسْتَنَّ فى سُنَنِه
هو الشِّفاءُ الْمُرِيحُ إن عَظُمَ الـ دَّاءُ وغَابَ الطَّبِيبُ عَنْ زَمِنِه[1]
والشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْهُمُومَ مِنَ الْـ نَّفْسِ ويُلْهِى الْمَغْبُونَ عن غَبَنِه

المودة والرجال

أَلا بَلِّغا عَنِّى المليحَةَ إذ نَأَتْ بأَنَّ هواها فى الفؤادِ مُقِيمُ
أُكَتِّمُهُ فى ما أُكَتِّمُ إنَّنى لكُلِّ جوًى يُشْجِى الجَلِيدَ كَتُوم
وَقَدْ ذُقْتُ أَصْنَافَ المودَّةِ قَبْلَها وكُنْتُ امْرأً عِنْدَ الوفاءِ أَدوم
فما بُدِّلَتْ مِنِّى العهودُ ولا رعى حِمَاىَ الذى للأَصدقاءِ نَمُوم
سأَذكُرُها والشَّيْبُ شامِلُ فَرْعِها كعهدى به إِذْ كان وهو بَهِيم[2]
وإن غَيَّضَ الأَيَّامُ ماءَ شبابِها وَصَوَّحَ زَهْرٌ واسْتَشَنَّ أَدِيم[3]
فَفِى النفسِ شَوْقٌ لا يزولُ ومَوْرِدٌ من الرَّغَباتِ السالفاتِ جَمُوم
على أَنَّها رَيَّا الإهابِ شهيَّةُ الـ رُّضابِ بأنغامِ الشبابِ بَغُوم
مُعَتَّقَةٌ كالخمرِ ضاحِكَةُ الرُّؤَى إِلَيْكَ فما تَنْفَكُّ أَنت تَهِيم
فودِّعْ هواها غَيْرَ قالٍ فَذِكْرُها على بُعْدِ أَسبابِ الوصالِ مُلِيم[4]

---

(١) الزمن : بكسر الميم هو المريض .
(٢) الفرع : شعر الرأس .
(٣) الأديم الجلد . واستشن : تجعد وصار كالشن وهو الجلد اليابس ، الأديم : البشرة وجموم : يجم والكلمة معروفة فى العامية ، وبغوم : ذو دعاء بصوت كصوت الظبية . هذا وقولهم « استشن أديمى » جاء الشعر القديم .
(٤) غير قال : غير كاره .

وصُغْ من صُدودِ النفسِ عنها جلادةً ... على الدهر إذ لاقاك مِنْهُ خصيم

وقد زعموا أن النساءَ غوادرٌ ... وكم فى النساءِ وامِقٌ وحميم

وكم عندهنَّ من حِبَاءٍ مُنَـوَّرٍ ... إذِ النفسُ من مَحْلِ الزمانِ هشيم[1]

ومنهنَّ أُمٌّ بَرَّةٌ وحَفِيَّـةٌ ... لَزُومٌ ورَوْعَاءُ الفؤادِ رءوم[2]

وكم فى الرجالِ من مدانٍ مخادع ... وآخرُ كنَّادُ الجميلِ أثيم

وثَمَّرْتُ مالاً من مَوَدَّةِ مَعْشَرٍ ... إذا المالُ زيفٌ والزمانُ غريم[3]

دعاهم هوى العيشِ الحقيرِ فسارعوا ... إليه وظنوا أنَّ ذاك نعيم

وليس نعيمٌ كائناً بمَذَلَّةٍ ... ولا عَيْشُ من يَرْضَى الهوانَ كريم

وليس بضَيمٍ أن يسودَك ماجدٌ ... ولكنَّ ضَيْماً أن يسودَ لئيم

ألَمْ تَرَ أنَّ الأدعياءَ تَأَثَّلُوا ... وأصبح منهم سَيِّدٌ وزعيم

وكُلُّ رطيبِ النَّفْسِ زمَّ بأنفه ... وقال له الغاوون أنت عظيم

يفوح الخنى منه وتَرْهَقُ وَجْهَهُ ... من الغَبَرَاتِ الآثماتِ غُيُوم

وقد رَئِمَ الناسُ الخُنُوعَ فساقهم ... كما شاءَ عَبْدٌ راضِعٌ وزنيم

وقد رُفِعَتْ للباطِليِّين رايَةٌ ... ودُكَّتْ صُرُوحُ الحقِّ فهى رسوم

وقَطَّع نفسى حَسْرَةً أننى أرى ... أُولِى الأَمْرِ تلهو والخطوبُ جُثُوم

وضَلَّ العزاءُ غَيْرَ شِعْرٍ مُكَتَّمٍ ... ألُوذُ به للصَّدْرِ منه هزيم

---

(١) منور : أى ذو زهر . والحباء : العطاء .

(٢) لزوم : دائمة الملازمة . روعاء الفؤاد : حديدة الفؤاد يرتاع قلبها لما يصيبك .

(٣) إذا : فجائية .

وأُودِعُه أَسرار قَلْبِى وأَحْتَمِى ... به حِينَ لَذْعُ الحادثاتِ أَليم
وكم رامت الْعَيْنُ البكاءَ فَعَزَّها ... على ذاك غَيْظٌ فى حَشَاى كظيم

بعد سقوط المانيا

«نظمت بعد سقوط أَلمانيا سنة ١٩٤٥* »

مضى الشهداءُ الأَولون وقُتِّلَتْ ... بُنَاةُ المعالى من لُوَىِّ بن غالب
يَظَلُّونَ فى خَشْنَاءَ من شِدَّةِ الأَذى ... ويُمْسُونَ صَرْعَى تَحْتَ ضوءِ الكواكب[1]
وما زالت الأَقدارُ تَرْفَــعُ باطِلاً ... وتَطْمِسُ ذا نور من الحق ثاقب
وكَيْفَ تَلَذِّينَ الحياةَ وما صَفَتْ ... بعلمِك إلاَّ لِلِّئام الأَشائِب[2]
مضى كرماءُ الناس فابكى عليهِم ... بفَيْضِ الدموع كالغيوث الهواضب[3]
مضوا فكأَنَّ الأَرض تُخْسَفُ بَعْدَهم ... وتُقْذَفُ بالأَجْرَام من كل جانب
وكانوا هُمُ الآمال يخفقن المورى ... فأمسين قد أَخْفَقْنَ بين السباسب[4]
وكانوا رجاءَ العاجزين فَخَلَّفُوا ... بلابِلَ شتّىً فى حُلُومٍ عوازب

* كان العرب يعلقون آمالا بهتلر ضيقاً بالإنجليز وحنقاً على إسرائيل . وأشار الدكتور طه حسين فى الأدب المعاصر إلى هذه القصيدة ، وقد نظمتها قبيل أول سفر لى من السودان إلى الخارج ببضعة أشهر . وهى رثاء للعرب دون الألمان فيما يبدو لى .

(١) إشارة إلى قول على عليه السلام يوم الجمل حين رأى مصرع طلحة : أعزز على بأن أرى قريشا صرعى تحت ضوء الكواكب .

(٢) الأشائب : الأوباش .

(٣) الهواضب : المواطر .

(٤) السباسب : الصحارى ، وأخفقن أى ضللن فى الخفق وهو الخلاء ، ومنه الإخفاق بمعنى الخيبة .

على مثلهم تبكى البواكى وذكرهم ... يكون عظاتٍ عند أهل التجارب
فما تنصر الحقَّ السيوفُ ولا القنا ... ولا وَقَفَاتُ الصِّدْقِ عند النوائب
فإن عَلِيًّا يَوْمَ صِفِّينَ خَانَهُ ... جهادُ الليالى لا جهادُ الكتائب[١]
وما زالت الأقدارُ تجرى رياحُها ... بِنُصْرَةِ صِدِّيق ونُصْرَةِ كاذب
لَعَمْرُكَ إنى يَومَ أبكى عليهم ... لباكٍ لأيَّامى وسود ذوائبى
وباكٍ على أبناءِ قومِىَ أدْلجوا ... حِثاثاً وما يدرون رَيْبَ العواقب
وباكٍ على الدنيا يصيرُ مآلها ... إلى سَنَنٍ عن سُنَّةِ العدل عازب[٢]
وباكٍ على نفسٍ تجيب نداءها ... وتصبو إليها وَهْىَ ألْأَمُ صاحب

ألا صَبْرَ جَلَّ الأمْرُ عن ندب نادب ... ولا صَبْرَ ضَلَّ الصَّبْرُ بين المصائب
أَسِيتُ عليها أُمَّةً عَبْقَرِيَّةً ... لها شَرَفٌ عالى الذُّرا والمناكب
إذا ما أُرُبَّا فاخرتنا بغَـاية ... من المجد كانوا فَخْرَها فى المواكب
جهابِذُ إفلاطونُ يَصْغُر شأنُهُ ... إليهم ورسطاليسُ شيخُ المذاهب
إذا حملوا الأقلام وَفَّوْا حقوقَها ... بدائعَ يُعْيِى نسجُها كُلَّ كاتب
وإن حَرَّكتهم سَوْرَةُ العزِّ حطَّمُوا ... صُدُورَ القنا فى الفيلق المُتَراكب[٣]
وما فتئوا يُسْتَنْزَلون إلى الوغى ... مشائيمَ فى عَيْنِ العدو المحارب
إذا عُفِّيَتْ منهم كلومٌ أثارها ... حِفاظٌ بَعِيدُ الهمِّ وَعْرُ المراكب[٤]

---

(١) لك أن تنشد عزه بمعنى انتصر عليه بزاى مشددة مفتوحة . وما أثبتنا أجود .

(٢) عازب : بعيد .

(٣) السورة بالسين : الانفعال الشديد .

(٤) عفيت : أزيلت . الكلوم : الجروح .

فقد حَرَصُوا حِرْصَ الكريم على العُلا ... وقد غالبوا ريْبَ الصروف الغوالب
سَقَتْهُمْ حياضُ الموت كأساً سَقَوا بها ... فهم بين مطلوبٍ بثأْرٍ وطالب
عَجِبتُ لقومٍ شامتين وقد رأَوا ... مصارِعَ أَمثالِ الليوث الأَغالب[1]
فإِنْ حياءً أن تحَبَّرَ فيهم الـ ... ـمراثى ويُبْكوا بالعيون السواكب
لعمرى لقد ساروا جبالاً وأَزبدوا ... كإِزباد بَحْرٍ عَيْلمٍ ذى غوارب[2]
وضاءوا كإِضواءِ النجوم وقد هَوَوْا ... بنارٍ تَلَظَّى فى يبَابٍ وعاشب[3]
فلا زالت النيرانُ تُشْعَلْ بعدهم ... بمُضْطَّرم الأَحقادِ بين العصائب
وغَصَّتْ حُلُوقٌ بعد نَصْرٍ تُسِيغُه ... بِمثْلِ المُدَى أَو كالحميم لشارب[4]

لقاء وخواطر

١٩٤٦

١

لا والذى صاغ سَمواتِهِ ... وصَانَ فيها فَلَكاً ساهرا
لا أَنْحَنِى أَطْلُبُ رِفْداً وَلا ... أُهِينُ من نَفْسِى فَتىً شاعرا

---

(١) أغالب : جمع أغلب ، تقول أسد أغلب ، أى كريه غليظ العنق .
(٢) العيلم : البحر العظيم . وغواربه : أمواجه هنا . وغوارب الشىء : أعاليه .
(٣) اليباب : الأرض الخلاء الخراب .
(٤) المدى : جمع مدية وهى السكين . والحميم : شراب أهل النار .

ما النّاسُ عندى ما مودّاتُهم تَفْنَى وأَبْقَى بَعْدَهُمْ خاسرا
ما العيشُ إلاّ لحظاتٌ فكن مُخْتَلِسًا مُقْتَدِرًا ماهرا

٢

يَا لَلْحيَاةِ كَيْفَ أَبْصرْتَها جَلَوْتَ مِنْها كَوْكَبًا غائرا
فَغَنِّ بالنشوَةِ أَحْلامَها حتَّى ترى الكون بها ساكرا[1]
سقى الْحَيَا لَنْدَنَ أَيّامَهـا والحُسْنَ فيها الْبَهِجَ الزّاهِرا
وَخُلَّةً لَوْ سَكَبَتْ حُبَّها فى مَاحِلٍ صَارَ بِهِ نَاضِرا
تَخْطِرُ كالْغُصْنِ دعا زَهْرُهُ يا اقْطِفْ جَنِيًّا وَرْدِيَ النّاثرا[2]
والعُمْرُ قد نادَتْك ساعاتُهُ سابِقْ إلىَّ الزّمَنَ الماكرا

٣

قد أَصلَتَتْ مُنْسَدِلاً شَعْرُها ذا شُطَبٍ من فِتْنَةٍ باترا[3]
وَجَذَبَتْ كالسَّهْوِ أَذيَالهـا واخْتَلَجَتْ تَخْتَلِجُ الناظرا
عَطَفْتُها نحوى فَقَبَّلْتُها لَثْمًا تقول اللّهَبَ السّاعِرا

---

(١) هذا كقولك (فارح) لتدل على حدوث الفرح لا الاتصاف به .

(٢) يا اقطف كقوله تعالى (يا اسجدوا) — وقد انتقد الثعالبى أبا الطيب فى قوله : (يا افخر فإن الناس فيك ثلاثة) فقال : فحذف المنادى وتباغض وتبادي . وأحسب أن الثعالبى نسى قرآنه فى قولته هذه .

(٣) أى أصلتت سيفا من فتنة ، ويسمى السيف ذا الشطب والشطب هى طرائقه التى تبدو عليه .

عَطْفَةَ ذى وُدٍّ فَلَوْ لَمْ أَكُنْ   أَرْفُقُ قد كُنْتُ لها هاصرا
تَنَهَّدَتْ ثُمَّ اغْتَلَى صَدْرُها   مُضْطَرِباً مُنْبَهِـــرًا ثائرا
ثُمَّ صمتنا ساعةً غادرت   أَمْسِ قصيا وغدًا حاضرا

٤

وَابْتَسَمَتْ ثُمَّ رنا طَرْفُها   من خَفَرٍ تَخْفِضُه ساحرا
قَد اسْتعَارَ الورد من خدها   ولونُهُ البحر طمى زاخرا
تَعازَبَتْ حِينًـــا فأَدْنَيْتُهـــا   أَسُوفُ منها عَبَقًا طاهرا[1]
وَنَسَجتْ فى أَنْمُلِى أَنْمُلًا   ظَمْأَى وسالت حَبَباً مائرا
يُرْوِى فَيُصْدِى وبأَسْـــوَارِهِ   مَكْنُونَةً دُرَّةُ مَنْ خاطرا
مُرْتَعِشًا رَفَّ لِى ثَغْرِها   حَرَّانَ يَدْعُو نَاهِيًـــا آمِرا

٥

عَهْدِى بها رَوْنَقِها الساحرا   وَوَجْهَهـــا الْمُؤْتَلِقَ الْبَاهِرا
حِينَ انْبَرَتْ كالنَّارِ فَتَّاكَة   تَلْتَهِبُ الْعَامِرَ والغامِرا[2]
تَرْبَدُّ كالآفاق فى مُـــدْجِنٍ   أَغْبَرَ أَمْسَى رَاعدًا ماطرا

(١) تعازبت : تباعدت .

(٢) تلتهب : لك أن تجعل تلتهب هنا مضمنة معنى تحرق وتهلك فيكون ما بعدها مفعولا به . ولك أن تجعل العامر والغامر إما قد نصبتا بنزع الخافض وهو فى ، وإما على الظرفية . ولك أن تستبدل تلتهب بقولك : تلتهم . وما أثبت أحب إلى . والغامر هو الخراب .

تَئِيضُ كالثَّلْجِ وكانت من الْ وَرْدِ يُنادِى ضَعْفُها ناصرا[1]

يَكادُ يَهْمِى سَبَلًا دَمْعُها تَراهُ فى مُقْلَتِها حائرا

أَدْفَعُها عَنِّى فَتَنْهالُ لا تَمْلِكُ إلاّ هَيْكلاً خائرا

فَأَصْطَلِى مِنْ نارِها جَمْرَةً يكونُ إحْساسى بها عاطرا

٦

تَقُولُ كَمْ أَهْوَى الْحَيَاةَ وَكَمْ أَرْهَبُ هذا الْقَدَرَ القاهرا[2]

ثُمَّتَ قالَتْ لا أَخافُ الرَّدى قَدْ نِلْتُ حظِّى كامِلاً وافرا

يَجْنِيكَ شَهْدَ الْعَيْشِ من ثَوْرِها رَشْفٌ تَرَى الدَّهْرَ له صاغرا

فاسْتَسْهَلَتْ ثُمَّ رَنَتْ ساعَةً تَقْرَأُ مَكْتُومَ الْهوَى ظاهِرا

أَهْوَتْ إلَىَّ هَوْنَةً نَفْسَها فَوَجَدَتْ فِىَّ هَوًى عامرا

ثُمَّتَ قالَتْ لا أُرِيدُ الرَّدَى هَمْسًا رَفِيقًا آصِرًا آسِرا

أَقْرَأُ فى الْعَيْنَيْنِ مِيعَادَها صَبًّا أَحُثُّ زَمَنِى زاجرا[3]

---

(١) ض آيْتِيض : صار يصير .

(٢) العروض فى الصدر من ثانى السريع مكسوفة مخبولة . وفى الجزء الأول (تقول كم) زحاف الخبن وهو كثير فى السريع . والذى قد يبدو للقارئ غريباً هو (الحياة وكم) وهذا جار على العروض الثانية كما بينا . وليس فيه إلا الزحاف المرسوم لهذه العروض .

(٣) فى عجز البيت فى الجزء الثانى (ث زمنى) زحاف الخبل وهو المركب من خبن الثاء وطى الزاى هنا ، ويكرهه بعضهم ولا أكرهه .

٧

قد أَسْعَدَ النفس بها أَمْسِ هل ‏ أَصبح أَمْسِي ماضِياً غابرا

لا أَرْتَوِي منها ولا أَشْتَفِي ‏ وَأَفْتَـــأُ الدَّهْرَ لها ذاكرا[1]

يُعِيدُها للنَّفْسِ طيْفُ الْكَرَى ‏ قد لَبِسَتْ سُنْدُسَهَا الناضِرا

وَيُنْعِمُ الخاطـــر تمثـالها ‏ وكان يَوْمًا يَفْتِنُ الناظرا

فى قطار إنجليزى

١٩٤٦

أَلَسْتَ تَرَى كَيْفَ يَمْضِي الْقِطَار ‏ فَيَنْأَى مَزَارٌ وَيَدْنو مَزَارُ

وَمَوْجٌ مِنَ الأَرْضِ فيهِ النَّباتُ ‏ وَأَزْهَـــارُهُ فِضَّةٌ أَو نُضَار

يَمُرُّ أَمَامَكَ مَـــرَّ الْهَوَا ‏ جِسِ فِي الْقَلْبِ مِنْهُنَّ ماءٌ ونَارُ

فَلَوْ كُنْتَ تَرْجُو لِقَاءَ الْحَبِيبِ ‏ لأَفْعَمَ قَلْبَكَ مِنْهُ انْتِظَار

وَنَاجَاكَ مِنْ كُلِّ لَـــوْنٍ تَرَاهُ ‏ صَوْتٌ رَخِيمٌ وَرَنَّ السِّوار

وَطافَتْ عَلَيْكَ طيوفُ الزَّمَـــانِ ‏ وَفِيهِنَّ تَهْنِئَـــةٌ وانْكِسَار

ولَكِنَّنِي كُنْتُ فيه الْغَرِيـ ‏ ـبَ الذى لَفَظَتْهُ الْمُنَى والديار

---

(١) أفتأ الدهر لها ذاكراً : أى لا أفتأ . وحذف النفى هنا لتضمن الكلام معنى القسم وهو قياس متلئب .

فهذى الوهادُ وهذى النجادُ ... عَلَيْهِنَّ من كُلِّ سحرٍ نِثَار[1]
تُراقِبُهــا شَارِدًا فى الْهُمُومِ ... كَأَنَّ دُونَها زِبْرِجٌ أَو ستار
وَضَحْنَ وَتَحْسَبُها غَامِضَاتٍ ... يُحَجِّبُهــا هَمُّكَ الْمُسْتَثارُ
وَلَوْ كَانَ هَمًّا لَهُ غَايَـــةٌ ... افَاضتْ دُمُوعٌ لَهُنَّ انْهِمَار
ولَكِنَّه مِثْلُ هذى الحيـــاةِ ... يَحَارُ وأَمْسَيْتَ فيه تحار
أَلا فاسْقِنِى الْخَمْرَ واسْكُبْ عَلَيْها ... دُمُوعاً فَخَيْرُ الدُّمُوعِ الْغِزَار
بما كُنْت أَسْقِى وأُسْقَى فَتىً ... من الفاتكين عليْهِ الوقار
يَجود كما جاد مَــدُّ الفُراتِ ... إذا بَخِلَ الْأَرْذَلُونَ الصِّغَارُ
أَرَانِىَ فى الْحَانِ ذَا وَحْشَةٍ ... وَحَوْلِىَ طَمْطَمَـــةٌ وازْوِرَار
هُوَ الْعَيْشُ أَخْبُرُهُ كُلَّ يَوْمٍ ... وَمِنْ صَابِهِ كُلَّ يَوْمٍ أُمَار[2]
وأَهْوَى الْحَيَاةَ وتَــأْبى الْحَيَاةُ ... فَفِى خَمْرِها حِين لَذَّتْ خُمَار
وقَــدْ أَغْمَضَ الله أَجْفَــانَهُ ... أَلَسْتُ بِشَىْءٍ عَلَيْهِ يَغَارُ
ولو وَفَرَ المالُ كُنْتُ امْــرأً ... يَشُورُ الْهَوىَ أَوْ إِلَيْهِ يُشَارُ[3]
ويُصْبِحُ يَرْنُو إِلَيْهِ الزَّمَانُ ... وَفِى صَدْرِهِ نَشْوَةٌ وانْبِهَار ؟؟؟

---

(١) ما ينثر من زهر ونحوه على العروسين وفى ما يشبه موسم العرس من محافل الأفراح .
(٢) أمار : أطعم بالبناء للمجهول .
(٣) يشور : من اشتيار العسل ، وهو جنيه . وأو للجمع أو للتخيير كما شئت .

الوطن الضائع*

١٩٥٣ – ١٩٥٤

يا وَطَنِي هَل لا تَزَالُ غَنِيمَةً — يُرِيغُ الدعيُّ الأَجْنَبِيُّ اهتبالَها[١]

ونام بنوك الغُرُّ عن كل خُطَّةٍ — أُتِيحَ لها من لا يُطيقُ احتمالَها

إذا قِيلَ هذى رايةُ الحقِّ رامها — لِيَرْفَعَها ذو لُوثَةٍ فأمالَها[٢]

وقُدِّمَ فينا كُلُّ أَخْرَقَ مُفْحَمٍ — إذا كانت السَّوأَى أطال ارتجالَها

وصَرَّفَ فينا الأَمْرَ دَهْمَاءُ مَسَّحتْ — بأقدامِ طاغُوتٍ وجِبْتٍ سبالَها[٣]

وأطْرَدَ عنا الرُّشْدَ رَأْىُ أُشَابَةٍ — خِساسٍ شَنِئْنا جَوْرَهَا واعتدالَها[٤]

أَحقًّا كتابَ اللهِ أنا رَعِيَّةٌ — لساسَةِ سَوْءٍ جَرَّعتنا وبالَها

يَجُوز علينا أَمْرُهُ كُلُّ مُقْرِفٍ — وتُلْقِى إلينا كلُّ أَرْضٍ حُثالَها[٥]

أَسىً لبلادى من غريقٍ إذ انبَرَى — لها كُلُّ خَوَّارٍ يُرِيد انتشالَها

نكابدُ لَيْلاً حَالِكَ الجهلِ أَكْمَنَتْ — حنادسُهُ للمُدْلجين صِلالَها[٦]

نُجُومُ الهدى قد ضَلَّ عَنَّا وسَدَّدتْ — إليه أَكُفُّ الظالمين نبالَها

---

* هذا اختيار من كلمة طويلة .

(١) يريغ : يريد . وفى البيت خرم .

(٢) ذو اللوثة : الضعيف .

(٣) الجبت والطاغوت : من ألفاظ القرآن .

(٤) الأشابة : الجماعة الأخلاط . وشنئنا : كرهنا .

(٥) المقرف : المقارب للهجنة .

(٦) الحنادس : الظلمات . والصلال بكسر الصاد : الثعابين الخبيثة .

لنا قادَةٌ عُمْىٌ عن الحقِّ سَمْعُها   إلى كُلِّ من عنه يريد اجتيالها[1]

إذا نالت الأدنى فذلك حظُّها   ويهتِفُ قَوْمٌ ما أَعزَّ منالها

وقد كَظَّها سُحْتُ الطعام فأحْمَدَتْ   سُراها وأضحت لاتُبالى مآلها[2]

أَلَمَّا يَئِنْ أنْ يَغْسِلَ الدَّمُ حُوبَها   ويَجْذِمَ سَيْفُ الثائرين حبالها[3]

أقول لأبناءِ الكرامِ تَظَاهَرتْ   أعاديكُمُ هل تكرهون قتالها[4]

فإن لَّا تُعِدُّوا عُدَّةً للقائها   تَذُوقوا غَدًا طُغْيانَها واقتيالها[5]

أَضَرَّ بنا طولُ الخلافِ وأنفسٌ   تخِبُّ تليداتُ الحُقُودِ خِلالها[6]

توارثها الآباءُ عن سالفيهمُ   وتورثُها الأبناءُ منهم عيالها

وإنى لأخشى أن أرى النيلَ فى غدٍ   شريعَةَ قَوْمٍ عَلَّهَا وانتهالَها[7]

ونَحْنُ ظِماءٌ رُزَّحٌ بِمفَازَةٍ   سباسِبَ تَقْلِى الناجياتُ اعتمالها[8]

نَحِنُّ إلى وادٍ خصيبٍ ومَنْزِلٍ   ونَخْلٍ على شَطَّيْهِ أَرْخَتْ ظلالها

---

(١) اجتيالها : تحويلها تقول اجتالنى عن رأيى أى حولنى عنه .

(٢) السحت : من ألفاظ القرآن ومعناها الحرام وما إليه . وكظها : ملأها .

(٣) يئن : من آن يئين مثل حان يحين . والحوب : الإثم . ويجذم : يقطع .

(٤) تظاهرت : صار بعضهم لبعض ظهيراً .

(٥) الاقتيال : الاحتكام وأصله من القول والتقول .

(٦) التليدات : القديمات . وتخب : تسرع وإلك أن تنشد : تدب وهى ضعيفة . وفى القرآن ولأوضعوا خلالكم — وأوضع أخت أخب .

(٧) شريعة قوم : الشريعة هى المورد . وشريعة قوم : أى قوم سوانا يتربصون بنا الغوائل كاليهود الذين ما فتئوا يلهجون بأن إمبراطوريتهم ستمتد من الفرات إلى النيل ؛ اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً . وعلها وانتهالها بدل من شريعة قوم .

(٨) الرازح المتعب وجمعه رزح بتشديد الزاى . السباسب : القفار . الناجيات : الإبل السراع . الاعتمال : السير . تقلى : تكره .

وَنُبدَلُ خمطاً بَعْدَ جَنَّتِنا التى ... جَنينا جناها وارتوينا زُلالها[1]

فياليت شعرى هل نكون ورُكْنُنا ... منيعٌ فنجزى الخائنين نكالها

وهَلْ أَرَيَنَّ فى بلادِىَ أُمَّةً ... تُشَيِّدُ من غُرِّ المعالى طوالها[2]

يُدَبِّرُهــا أبناؤها لَيْسَ بَيْنَها ... دَخِيلٌ ولا وَغلٌ يروم خبالها[3]

رحيل وفراق

قُلْ للأقاحِىِّ فى وَعْسَاءِ مَعْروفِ ... لَقَدْ تَرَكْتُنَّ قَلْبِى حَقَّ مَشْغُوفِ[4]

أُفٍّ لِدَهْرٍ أَبى إلا الفراقَ فَقَدْ ... أَمْسَى يُكَلِّفُنِى جُهْدَ التكاليف

مِثْل المعرىِّ عَنْ بغدادَ أَخرجَنِى ... مَسْفُوتُ مالى وَتَنْزَاعٌ إلى ريفى[5]

أَو كالذى بقضاءِ اللهِ يَذْرَعُــه ... مُوَكلٌ فهو مِنْ يَمٍّ إلى سِيفِ

أَمَا ترانِىَ ذا فَقْرٍ ويَحْسُدُنى ... وُرَّادُ مَنْبَعِ مالٍ غَيْرِ مَنْزُوف

أَعْرَضْتُ عن عَرَضٍ تَبْدُو لوامِعُه ... كأَنَّهُنَّ ثُغُورُ الخُرَّدِ الهِيف

يُقالُ لى سَفَهًا هَلاَّ رَضِيت بما ... غَيْرُكَ راضيهِ مِنْ ضَيْمٍ وتَحْيِيفِ[6]

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط (سورة سبأ) – والأكل – هو الثمر . والخمط : الردىء المر . ولك الإضافة فى أكل خمط والتنوين والإضافة مذهب أبى عمرو .

(٢) فى هذا البيت زحاف .

(٣) الوغل هو الدعى فى القوم وليس منهم .

(٤) إشارة إلى قول غيلان :

بوعساء معروف تغــام وتطلق ... ويبسمن عن مثل الأقاحى اقفرت

(٥) التنزاع : الحنين . والمال المسفوت : الذاهب وهنا إشارة إلى قول المعرى :

لم ألقهــا وثراء عاد مسفوتا ... أثارنى عنــكم أمران والــدة

(٦) غيرك : زحاف الطى عند الكاف .

عَنِّى إليهمْ فما رأْيِى بذى وَهنٍ — عِنْدَ الحِفَاظِ ولا عَزْمى بمضعوف
لا تَطَّبينِى مع الأنذالِ مَنْزِلَةٌ — دونٌ تُعَدُّ ضلالاً ذاتَ تَشرِيف
أَنا النُّضَارُ تزيدُ النارُ بَهجَتَه — أَمْسَى عزيزًا على الاعداءِ تزييفى
ولا أَهابُ خُمُولاً فيه مَكْرُمتى — ولا يكونُ بسَيْفِ الظُّلمِ تَخوِيفى

حَيَّاكِ لَنْدَنُ ريحانٌ له أَرَجٌ — من الرِّياض النضيرات المآنيف[١]
ما إنْ يَجِفُّ إذا جفَّ الربيعُ ولا — يُمْسى يُصَوِّحُهُ مَرُّ المهاييف[٢]
صَوْبُ العقولِ حياه فهو مُكْتَهِلٌ — ريَّانُ بالزهر ذو وَشْيٍ أفاويف[٣]
حان الرحيل إلى الخرْطوم واستبَقت — شئونُ دَمْع حذارَ البَيْنِ مذروفِ
وقد أَكون على الخرطوم لى أَسفاً — بكاءُ حرَّانَ وارى الحُزْنِ ملهوف
وإنمـــا المرءُ مَرْوٌ للحوادثِ لا — يَنْفَكُّ نُهزَةَ تفريقٍ وتَأْليف[٤]

---

(١) المآنيف جمع مئناف : والروضة المئناف والأنف التى لم ترع .

(٢) المهاييف : جمع مهياف وهى السموم التى تسبب العطش الشديد . والمهياف فى غير هذا الموضع ، السريع العطش .

(٣) أى حياك يا لندن عنى ريحان حياه صوب العقول : أى مطره الشعر ، وهذا إشارة إلى قول أبى تمام :

ولكنه صوب العقول إذا انجلت — سحائب منه أعقبت بسحائب

والمكتهل : العظيم النبات . وأفاويف : جمع أفواف .

(٤) إشارة إلى قول أبى ذؤيب :

حتى كأنى للحوادث مـــروة — بصفا المشقر كل يوم تقرع

أى الإنسان كالمروة التى تقرعها الحوادث . مرو : جمع مروة .

وداع الخرطوم*

يولية ١٩٤٥

تقول وأرسلت دمعاً همولا أحقًّا أنت أزمعت الرحيلا

أما تنفكُّ حِلاًّ وارتحالا فَدَيْتُكَ لو أَبَهْتَ لنا قليلا

أَبَهْتَ لِنِسْوَةٍ قد كِدْنَ مما تُخَبِّرهنَّ يُسْلَبْن العقولا

وأَنت كفيلهن فقلت مهلاً كفى باللهِ خالقنا كفيلا

تولاّني إذ الأَيَّام سود وإذ أَنَا لاولِيَّ ولا خليلا

وبدَّلني مكان أَبِي وأُمِّي ذكاءَ القلب والصبر الجميلا[1]

أَلم تَرَ أَنني أَجمعتُ أَمري فأُلفَى مُزْمعاً سفرًا طويلا

وداعاً أَيها النيل المُفَدَّى روابِيَكَ المُنِيفَةَ والسُّهولا

ألا يا حبَّذا داراتُ قومي إذا ما شَمْسُها جَنَحتْ أَصيلا

وسال على السَّيال لها شُعَاعٌ وفي القَادُوسِ عَسْجَدُ أَنْ تَميلا[2]

وحيَّا اللهُ بالخرطومِ رَوْضًا بِحَيْثُ تَعَانَقَ النِّيلانِ نيلا

فأَنَّى الْقَلْبُ ينساها ويَنْسَى طوال الدَّوْح فيها والنَّخيلا

ولَيْلاً ساحرًا فيها وأُنساً تحاذِرُه الْمُدَامةُ أَن تصولا

---

* قبيل السفر إلى بريطانيا ، ولم يكن المؤلف قد سافر من قبل إلى خارج السودان .

(١) توفي أبي في ١٨ مارس ١٩٣٤ ووالدتي في مارس ١٩٣٧ .

(٢) القادوس دلو من فخار تغرف به سواقي السودان ماءها من النيل والجمع قواديس ، وعسجد أن تميلا : أي ذهب ميلها إلى الغروب .

يَمِينًا إِنَّ بَيْنَ شِعاب قلبى لِعِبْئًا من فراقكمُ ثقيلا
ولولا أننى أَكْرَهْتُ نفسى على ذا الْبَينِ ما كانت ذلولا
ولولا ما أُعِدُّ الصَّبْرَ سَلْوَى لسال الدمعُ من وجدى مسيلا
إذا ما الثَّغْرُ أدبر عن يمينٍ وغـادرتِ المدافِعَ والتُّلولا[1]
وقد فَصَلَتْ وجَشَّمها سُرَانا جِبالَ المَوْجِ والثَّبَجَ المهولا
فألف تحيةٍ لِبَنِى أبينـا تكون بها الرياح لنا رسولا
من الأعماق نُهْدِيهـا ونُسْقَى بذكراها المُعَتَّقَةَ الشَّمُولا

هموم وفلسطين*

ما بالُ هَمِّك جُنْحَ اللَّيْل مُنْتَابا أَم مَّا لدمْعكَ لا يَنْفكُّ صبَّابا
أما تَسلَّى بكأسٍ من مُعَتَّقَةٍ صفراءَ قد حُبِسَتْ فى الدنِّ أحقابا
وكيف يسلو أخو همٍّ تورِّقـه لواعِـجُ الهم لا تألوه إلهابا
إذا حسا الراحَ هاجَتْهُ هَوائِجها وجَدَّدَتْ حَزَناً منه وأَطرَابا[2]
فى الشرق والغرب إخوانٌ أَلَمَّ بهم صَرْفُ الزمان فأنحى الظُّفْرَ والنابا
مُشَرَّدين بآفاقٍ رجـاؤهم داجٍ ألاح جبين الشمس أم غابا

---

(١) الضمير فى «غادرت» يرجع إلى السفينة ، والثغر هو ثغر البحر ، والمراد هنا بورسودان إذ كنا نظن أن سنسافر منها ثم سافرنا من بور سعيد وكانت تلك أول مرة رأيت فيها مصر .

* نظمت سنة ١٩٤٨ .

(٢) أطراب جمع طرب وهو الانفعال سواء أكان فى حزن أم فرح . قال الشاعر :

وأرانى طربا فى أثـرهم طرب الواله أو كالمختبل

كم فى فلسطين موتورٌ وثاكلة ... ويائسٌ شكّ فى الرحمن وارتابا

الدورُ صارت لإسرائيلَ خالصةً ... والمالُ غودِر أنفالاً وأسلابا

دهاهُمُ مادهانا من مواعِدَ لاَ ... يُوفَى بها جُعِلَتْ مَيْنًا وكِذّابا[1]

ومن شيوخ ذوى جُبْنٍ قَدِ اتّخَذوا ... من المذلّةِ باسم الدين جلبابا

من كُلِّ نِكْسٍ خسيسِ النفسِ يتْبعُه ... نَوْكَى العقول زرافاتٍ وأحزابا[2]

وفِتْيَةٍ أَلِفُوا خَفْضَ المُقَامِ فما ... يُلْفَوْنَ يوماً إلى العلياءِ وُثَّابا

فيخطُبُون إذا ما الأمن حاطَهُم ... ويركُضُون غداة الروع هرابا

وطالِبُ العِلْمِ عاف العِلمَ مِنْ فَنَدٍ ... وظنّ نَيْلَ العلى شَغْبًا وإضْرَابا[3]

وفى السياسَةِ خَلْقٌ لا أبَالَكَ كم ... يَفْتَنُّ فى الخزْى إبداعًا وإغرابا

مذبذبون بلا دين ولا وطــن ... ما إنْ يَمَلُّونَ تَنْعَاقاً وتَنْعابا

نَدُّوا عن المثل الأعلى فَقَدْسكنوا ... رَبْعَ الْخَنَى وَأَرَبُّوا فيه إربابا[4]

إنى أرى الْعَيْشَ قد ضاقت مَذَاهِبُهُ ... فاسلُكْ إلى الموتِ إنْ أبْصَرتَهُ بابا

هذا الشبابُ بلوناهُ على مَضَضٍ ... فكَيْفَ بالعيشِ إنْ فَوْدُ الفتى شابا[5]

أبِيتُ فى لَنْدَنَ أســوانَ مُخْتَزِنًا ... حَيْرَانَ أندب عند النيل آرابا

ولا خليل يُوَاسِينى ولا وَزَرٌ ... أُعِدُّه لطُرُوقِ الخطْبِ إن نابا

---

(١) الكذاب بكسر الكاف وتشديد الذال : الكذب . وجاءت فى القرآن .

(٢) النوكى : الحمق .

(٣) الفند : الخرف والضلال .

(٤) أرب بالمكان : أقام وأطال الإقامة .

(٥) الفودان جانبا الرأس من الأمام .

وَلستَ أَشكو إلى الأَصحاب أُشْمِتُهُم ... عَدِمْتُهم لصُرُوفِ الدَّهْرِ أَصحابا

مِنْ كُلِّ مَنْ راحَ مَطْوِيًّا عَلَى حَسَدِى ... ولا أُكاشِفُهُ بُقْيَا وإِعْتابا[1]

آلَيْتُ أُخْدَعُ عَنْ مَحْضٍ بمؤتَشَبٍ ... فأَحْسِبُ الْمجْدَ أَسماءً وأَلقابا[2]

تَقَرَّبَ الناسُ كيما يكْسِبُوا عَرَضًا ... واتَّخَذُوا من ولاة السوءِ أَرْبابا[3]

وكم ترى بَهْرَجِيًّا يَزْدهى أُمَمًا ... جَهْلاً تُقَدِّسُ أَوثانا وأَنصابا

إنى لعمرُك مَا أَنْفَكُّ فى نَصَبٍ ... مِمَّا أَرُومُ إلى الآمال أَسبابا

فلا أُحِسُّ لها بَرْقًا فأَرْقُبَهُ ... ولا نسيماً بنفع الرُّوحِ هَبَّابا

وأَبَّ قَلْبِى إلى أَهْلِى وجيرتِهِمْ ... وَقَدْ يكونُ إلى الأَحْبَابِ أَبَّابا[4]

وطَارَ لُبِّىَ شَوْقًا إذ ذَكَرْتُهُمُ ... وَمارَ دَمْعِىَ من عَيْنَىَّ صَبَّابا[5]

ورُحْتُ أَطْلُبُ فى الماضين تَسْلِيَةً ... تُرِيحُ سَرْحَ مُنًى أُعْزِبْنَ إعزابا[6]

أَتلو سبيلهمُ فى كُلِّ مُسْتَطَرٍ ... لا يملكُ المرءُ عنه الطرفَ إعجابا

كأَنَّ فيه جِناناً بينها سُعُدٌ ... يَسْتَنُّ فيها رحيقُ الْخُلْدِ منسابا[7]

---

(١) الإعتاب ، المسامحة .

(٢) أى لا أخدع . وحذفنا النفى لمكان القسم . وكذا أسلوب العرب كثيراً . والمحض : الصافى والمؤتشب : المخلوط . ولك فى أحسب النصب بتقدير أن والرفع تجعله عطفاً .

(٣) زحاف الطى عند واتخذوا .

(٤) أب بتشديد الباء فعل مضعف معناه حن واشتاق .

(٥) مار : سال .

(٦) أعزبن : مبنى للمجهول أى أبعدن . إعزاباً : إبعاداً . شبهنا المنى ههنا بالسرح من الماشية .

(٧) السعد بضمتين جمع سعيد وهو النهر وهى من ألفاظ رسالة الغفران .

عمى ملتون*

مَتى تَعُدِ السِّنون تَعُدْ فُصُولٌ ولكن لا يعود لِىَ النهار

ولا حُلْوُ اقترابِ المُسْىِ والصُّبْـ ـح أو رَأْىُ الربيع له ازدهار[١]

وَوَرْدُ الصيف والأنعامُ تزجَى وَوَجْهُ الإِنْسِ ذو القُدْسِ الخيار

رُزِقْتُ سَحَابةً وأحاطَ لَيْلٌ وعن مَرَحِ الأنيس بِىَ ازورار

ومن سِفْرِ الهُدى الوُضَّاءِ سِفْرى كتابُ التِّيهِ والعَدَمُ القِفار[٢]

أرى[٣] آىَ الطبيعة فيه عَـفْىٌ محاسِنُهنَّ طمْسٌ واندثار

وإحدى السُّبْلِ سُبْلِ العلمِ سُدَّتْ فأَوْلِ أَنْتَ ، أَنت لِىَ المنار

ضياءَ القُدْسِ ، نَوِّر غَوْرَ نفسى وعُمَّ اللبَّ فيه لك انتشار[٤]

وَطَرْفاً فيه أَنْبِتْ واجْلُ عنْهُ الـ غشاوَةَ كلَّها فَهُوَ انسفار[٥]

لأُبْصِرَ ثُمَّ أُخْبِرَ عن أمور لها عن أَعْيُنِ البَشَرِ استتار

* مترجمة من قطعة النور لجون ملتون فى الفردوس المفقود فى مستهل الكتاب الرابع . وهى خمسة عشر بيتاً وقطعة من بيت ، ترجمناها بعشرة أبيات وذلك تقتضيه طبيعة الصياغة العربية ، وحرصنا على مراعاة الأصل وكانت أول ترجمة لها سنة ١٩٤٣ ثم أعيد فيها النظر هذا العام فلم يبق منها إلا البيت الأول .

(١) رأى : رؤيا . وفى الشواهد : ورأى عينى الفتى أخاكا .

(٢) من سفر الهدى : من البدل .

(٣) فى الأصل : أهدى لى ، والرؤيا هنا قلبية : فهى بمعنى ذلك . أو بصرية إذ الطمس متى رآه البصر فكأن قد عمى كل العمى وقد تكون بمعنى أرانى وحذفت الياء اختصاراً وهذا أقرب للأصل .

(٤) كانت الترجمة الأولى :

وعم اللب من شتى قواه إلخ .

وهذا أجود وأخصر .

(٥) ذكر ملتون الضباب والسحاب لأنه يستعير من الطبيعة الإنجليزية وذلك لا يستقيم فى العربية . والغشاوة من ألفاظ القرآن .

ذكرى حافظ *

يونية ١٩٥٧

«بَنَاتِ الشِّعْرِ بالنَّفَحاتِ جُودِى ... فَهَذا يَوْمُ شاعِرِكِ الْمُجِيد »

أَقولُ وحَلَّقت فى الْجَوِّ عَنْسٌ ... رَدَاحُ الشَّأْوِ مُتْرَزَةُ الْحَدِيدِ[1]

يُقَعْقِعُ فى الصِّمَاخِ الرَّعْدُ منها ... وَيُرْعِشُ بَوْنُها كَبِدَ الْجَلِيدِ

ويَسْتَنُّ السَّحاب بجانبيها ... دُخاناً وهْىَ تُمْعِنُ فى الصعود

وأُوصِدَت الْمَنافِذُ غَيْرَ ومضٍ ... إلى دُنْيا الْهَوى مِنْ ثَغْرِ رُودِ

متى بلَّغتنى مِصْرًا فإنى ... سأَحمد نِعْمَةَ الله الحميد

وأَشكُرُ للكنانَةِ إذْ أَقامت ... بذِكْرَى حافظٍ سُوقَ القصيد

وأَصْدح بالنَّشيد على ثَراهُ ... فقِدْماً كان يَصْدَح بالنشيد

وأَمْدَحُهُ وأَمْدح مادحيهِ ... بأَرْصَنَ فى المسامع من لبيد

أُحَيِّيه على بُعْدِ اللَّيالى ... بِرَيْحانى وَرَيْحان الخلود

وأَنَّ النِّيل أَصْهبُ مُطْمَئِنٌّ ... عليهِ النَّخْل ذُو الطَّلْع النَّضيد[2]

دَفُوقُ الْمَوْجِ جَيَّاشُ السَّجايا ... على شَطَّيْه بالْغَدَقِ الجديد

---

* ألقيت هذه القصيدة فى المهرجان الذى أقامه المجلس الأعلى لرعاية الفنون بجمهورية مصر آنذاك (ج ع م الآن) بفندق سان استفانو بإسكندرية سنة ١٩٥٧ لإحياء ذكرى حافظ فى شهر يولية ونظمت من قبل كما ترى .

(١) هذا من صفة الطائرة والعنس الناقة القوية ، والمترزة المحكمة الصنع هنا ، والرداح الضخمة وتوصف المرأة البادنة بأنها رداح والشأو المسافة . وفى الطائرة نوع من تأنيث وبدانة .

(٢) أن مفتوحة الهمزة معطوفة على بريحانى

وجَمَّل مِصْرَ أَنَّ بها جَمــالاً   عَلى غَيرِ النَّوائب ذا مزيد
وأَنَّ الله أَوْدعها جَلالاً   تَليــدًا خَالِدًا أَبد الأَبيد
وأَجْرى فى الفيافى فانْتحاها   مِنَ الإِيمانِ فى النِّيل السَّعيد
وقِدْماً كان علَّمنا بَنُوهــا   ففاضَ العِلْمُ ،بالشُّكْر العتيد
طرِبْتُ لِحَافِظ دَهْــرًا وَهَشَّت   إِلَيْه النفس من زَمَنٍ بعيد
وشعَّ على فُؤَادِى وَهْوَ غِرٌّ   بَوارِقُ ناره ذات الوقود
وثُرْتُ كمثل ثَوْرتِهِ وثارت   لِذَاتى نَبْتغِى فَكَّ القيود
فهل يدرى بأَنَّ الشِّعْر أَوْدى   كما أَودى الإِيادُ وأَهل أُودِ[1]
ولو حيًّا لحيًّا كُلَّ قَرْمٍ   وفِتْياناً كَأَشْبالِ الْأُسود[2]
وخلَّد ثَوْرَةً كُبْرى وبَعْثاً   جَديدًا بَعْدَ ما طُولِ الْخُمُود
وكيف يُخَلِّدُ الأَحْدَاثَ شِعْرٌ   ضَعيفُ الأَسْرِ خَوَّارُ الْعَمُود
ولكنَّ الرَّصِينَ الْجزْلَ صِيغَتْ   قَوافِيــهِ على النَّهْجِ السَّدِيدِ
كَنَظْمِكَ يَابْنَ إِبْرَاهِيمَ فَاسْلَم   بِسَلْم اللهِ مِنْ خَلْفِ اللُّحُودِ
أَجِــدُّكَ مَا تَــرَانِىَ إِلْفَ هَمٍّ   مُعَنًّى بِالْمُثَبِّطِ وَالْحَسُودِ
طَوِيلَ الصَّبْرِ مجموعٌ فؤادى   على بُغْضِ الزَّعانِف والقرود
وكلِّ مُقَلِّدٍ نَمَطاً جَــدِيداً   وما التَّقْلِيدُ بالنَّمَطِ الْجَديد

---

(١) فيه إشارة إلى قول جرير —
بأود والإياد لنــا صديق   نأى عنك الإياد وأين أود
(٢) أى لو كان حياً .

وَذِى جَهْلٍ تَخَبَّطَ فى عماه ... أَغَمِّ الْوَجْهِ للنُّعْمى كَنُودِ[١]

صبرنا إذ يكيد لنا طويلا ... وآثرنا الجميل من الصدود

بنى وطنى وما وطنى سواكم ... بنى النيلين والهَرَمِ المشيد

لكم بيضُ الوجوه على الليالى ... ومنّا للخطوب وُجوهُ سود

إذا ما أَحْلَبَ الْبَاغِى عَلَيْكُمْ ... رَأَى مِنَّا شَبَا بَأْسٍ شديد[٢]

أنا الشادى بشِعْرِىَ أَرْيحيا ... جَهِيرًا عند مُجْتَمَعِ الوفود

من السُّودان رُدت سبيل قومى ... بمُحْكَمَةٍ من الْكَلِمِ الشَّرود

وعاتبنى على ما قلت طَه ... فمعتذرٌ إلى طَهَ قصيدى[٣]

إذا أَنْشَأْتُه أَحْيَا جَرِيرًا ... وأَطْربَ مِنْهُ مِثْل أَبِى الوليد[٤]

سلامَ اللهِ بالإحسان مِصْرًا ... وأيامٍ كأيامِ الرَّشيد[٥]

ورَفْرَف رَحْمَةٌ منه وأَمْنٌ ... عَلى إِسْكَنْدَرِيَّةَ فالصَّعيد[٦]

---

(١) الأغم هو الذى ينمو شعر رأسه على جبهته أو يداخلها مداخلة يقارب بها الحاجبين، والغمم يكون فى القفا أيضاً بأن ينمو شعر الرأس على الرقبة وذلك قول هدبة « أغم القفا والوجه ليس بأنزعا » .

(٢) أحلب – جمع الجموع بالحاء المهملة وأيضاً بالجيم المعجمة والمهملة أحب إلى .

(٣) إشارة إلى ما قاله الدكتور طه حسين حفظه الله عن ديوان أصداء النيل وعتابه لصاحبه فى بعض ما قال – (من أدبنا المعاصر – بيروت – ١٩٥٨ – ١٣٧) .

(٤) أبو الوليد هو أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وكان يحسن نقد الشعر .

(٥) إن شئت قلت « فحيا الله بالإحسان مصرا » وما أثبت أحب إلى وسلام الله هنا مشرب معنى التسليم أى سلم الله بالإحسان مصرا وبأيام صفتها كذا وكذا – وقال ابن أبى الصلت (من شواهد الكتاب) :

سلامك ربنا من كل فجر ... بريئاً ما تغنثك الذموم

أى سلمت ربنا .

(٦) فالصعيد بالفاء أى إلى الصعيد وما بينهما .

من ثورة الشباب
أُم درمان ـ ١٩٤٤

صبراً على نُوَبِ الزمانِ العادى ... فالصبر خير كتيبةٍ وجهاد
آباؤك الصيدُ الكرام مَضَوْا ولم ... يصموا بياض فعَالِهِمْ بسواد
منهمْ قتيلُ أبى طُلَيْحَ مُرَمَّلاً ... تبكى عليه روائحٌ وغواد[1]
وموسَّدٌ فى كُرْدُفَانَ نجيعَهُ ... بالسيْف يَوْمَ تسايُفٍ وجلاد[2]
وأخو اللواءِ غداةَ بَرْبَر باسلاً ... فى عَيْلَمٍ طام من الأجْنَادِ[3]
ومرابطون بأركويتَ تَعَهَّدوا ... ثَغْرَ العدا مِنْ بأسِهِمْ بِعِهاد[4]
وقتيلُ بينِ المسجدين وحَوْلَهُ ... آباؤه لبسوا ثيابَ حداد[5]
لاقَتْهُ أملاكُ السماءِ وضَمَّهُ ... رضوانُ خالقِهِ على ميعاد
آباؤكَ الزهاد فى الدنيا إذا ... بَرَقَتْ بروقُ الحِرْصِ للزُّهَّاد

---

(١) هو عبد الرحمن بن الطيب عم أبى المؤلف .

(٢) هو عمر بن الطيب عم آخر قتل مع الزبير باشا .

(٣) هو الأمين بن أحمد المجذوب أمير الدامر وصاحب لوائها وقتل مع محمد الخير فى بربر وكان أول من هجم . والعيلم : البحر العظيم

(٤) هم الشيخ الطاهر المجذوب وابنه الشيخ وعشيرتهما وقاتلوا هناك وقد ارخ أخبار وقائعهم مع عثمان دقنه ، الشيخ بن الشيخ الطاهر فى كلمته التى يمدح بها المهدى :

أذكرت حى سعاد والعمارا ... وطفقت تندب بعدها الآثارا

وهى كلمة جيدة حقيقة بمن قالها ومن قيلت فيه . والعهاد : الأمطار التى تتعهد الأرض وهى هنا استعارة .

(٥) هو أمير الدامر الحاج حمد بن منصور المجذوب . وقتل صبراً رمياً بالرصاص أول الحكم الثنائى لتمسكه بعهد المهدى وجهاده وأهل الدامر يفتخرون بمقتله ويقولون : البلد بلدنا وحاج حمد ولدنا . وأعجب لاورمار كيف أغفله فى مقالته فى مجلة السودان فى وقائع ومدونات .

فاصْبِرْ كصبرِهِمُ فَلَسْتَ بمُعْذِرٍ ... إنْ لَمْ تَصُنْ لَهُمُ كريمَ تِلادِ[١]

واعْلَمْ بأَنَّكَ إنْ صَغَوْتَ إلى الذى ... يُزْهىَ بعاجله بنو الأَوغادِ[٢]

أَصْبَحْتَ فى وَهْدٍ بقاعٍ صَفْصَفٍ ... ليس الكريمُ مقامُه بوهادِ[٣]

ولَقَدْ أَراك وللزمانِ وريْبِهِ ... ظُلَلٌ فَقَدْ أَعْمَيْنَ كُلَّ فُؤادِ

فَتَنَحَّ عن وردِ اللئام فإِنَّهُمْ ... يَحْسُونَ حَسْوَ الطَّيْرِ ماءَ ثِمادِ[٤]

يتسارعون إذا هُمُ ناداهمُ ... لِلمطعم الدنِسِ الخبيث مناد

ياوَيْلَهُمْ ونَسُوا العواقبَ ليتَهُمْ ... قُرِعُوا بقاصمةِ الظُّهورِ نـآدِ[٥]

دهياءَ يعلم كُلُّ غاوٍ بَعْدَها ... أَنَّ الحياةَ مصيرُها لنفاد

وطنى فديتُكَ لو كَفَيْتُكَ واحداً ... عَمَّ البلاءُ فأَين أَين الفادى

شُغِلوا عن الأَوْتارِ بُحَّ صياحُها ... بخسائسِ الأَضْغَانِ والأَحقاد[٦]

يتجمَّعون لها وفى ظلمائها ... يتفرَّقون ومالهم من هاد

إِنَّ القلوب إذا خلَتْ من وازعٍ ... رَادَتْ إلى الآثام كُلَّ مَرَادِ

---

(١) معذر : بالغ عذراً .

(٢) صغوت : ملت .

(٣) مقامه بضم الميم وفتحها .

(٤) الثماد : المياه القليلة واحدها ثمد والكلمة معروفة فى الدارجة وفى « البطانة » بلدة تدعى « التميد » . « أى الماء القليل » . وفى البيت إشارة إلى قول الآخر :

لا أذوق النوم إلا غرارا ... مثل حسو الطير ماء الثماد

(٥) النآد بكسر الدال : الداهية العظيمة .

(٦) الأوتار : الثارات . والعرب تزعم أن الثأر يصير طائراً ويصيح مطالباً بالدم .

واستَمْرأَتْ مَرْعَى المَذَلَّهِ حُوَّماً ‏ حَوْلَ الحِمَى وتُذَادُ عند الوادِى[١]

فَرِحُوا بأَنْ قَبَرُوا الفضائلَ وانثنَوْا ‏ سُودَ الأَيادى خُوَّر الأَعضاد[٢]

شمِت العَدُوُّ بهم وآبَ بحَسْرةٍ ‏ أَهلُ الرشادِ ولاتَ حينَ رشادِ

أَوَّاهُ من دنيا يكونُ كريمُها ‏ فى الأَسرِ والأَغلالِ والأَصفاد

حِينَ ارتضى الضَّيْمَ اللئامُ وأَصبحوا ‏ صُبُرًا عليه بأَغْلَظِ الأَكبادِ

أَو ما كفانا أننا فى مَوْطِنٍ ‏ هُوَ نُهزَة المنتابِ والمُرْتادِ

نُمْسِى نُحَلَّأُ عن مواردِ نيلنا ‏ ويعب فيها أَوْكَسُ الْوُرَّاد[٣]

قد مُهِّدَتْ سُبُلُ النعيمِ لغيرنا ‏ ونبيتُ نَمْشِى فَوْقَ شَوْكِ قتادِ

كُبِتَتْ أَخايرنا وسُوِّدَ بيننـــا ‏ أَبناءُ كُلِّ لكيعة وضِمَادِ[٤]

من كُلِّ فاخِرَةٍ بِحدْج حَصَانها ‏ إِمَّا عَدَدْتَ مآثِرَ العُدَّاد[٥]

إِن الكرامةَ لن يَصُونَ عزيزَها ‏ وأَبيكَ غَيْرُ حَفيظةٍ وجلادِ

حَتَّى تُجَرَّع غُصَّةً من دَهْرِهـــا ‏ وتذوقَ منه لواذعَ الأَكباد

---

(١) أى يطردون من الوادى الخصيب ويسمح لهم بمرعى ذليل حول الحمى .

(٢) الأعضاد جمع عضد .

(٣) حلأ : منع الماء خاصة . وقال شوقى :

وزملــوا الحسين بالدماء ‏ محــلأ بين عيون الماء

وليس شوقى حجة . وإنما أشار إلى خبر تحلئة الحسين ، وهو شاعر عصرى بعد

(٤) الضماد : نوع من أنواع السفاح ، وهو أن يشترك فى المرأة رجلان .

(٥) أى كل من شأنه شأن الأمة التى إنما تفتخر بما عند سيدتها من أثاث ورواحل . والحدج ضرب من الهوادج . قال الأخطل :

أجرير إنك والذى تسمو به ‏ كأسيفة فخرت بحدج حصان

والحصان هى المرأة الحرة .

(نام الخليُّ وما أُحِسُّ رقادى ‏ والهمُّ مُحْتَضِرٌ لدىَّ وِسادى[١]
من غَيْرِ ما سَقَمٍ ولكن شَفَّنِى ‏ هَمٌّ أَراه قد أَصابَ فؤادى)

صخر أسوان*

يا صَخْرَ أَسْوَانَ إِنَّ الْقَلْبَ أَسوانُ ‏ وأَنْتَ من خَمْرةٍ خَرْساءَ نَشْوَانُ
تلوحُ فيكَ وُجُوهٌ ما أُبَيِّنُها ‏ ومُبْهَماتٌ من الذكرى وأَشجان
كأَنَّ فِرْعَوْنَ ذا الأَوتادِ ماكَرَهُ ‏ من الثَّنِيَّةِ ذاتِ الرَّيْد هامانُ[٢]
وخلتنى أَبْلُغُ الأَسبابَ مُرْتَقِياً ‏ وأَنَّ سِرًّا من الأَسرار عُرْيانُ[٣]
وشاهَدَ اللبُّ إِيمانَ الأُلى غَبَرَتْ ‏ تَرُبُّهُمْ مِنْكَ أَنْصَابٌ وأَوثان[٤]
وكاد يَهْفُو الفُؤادُ الصبُّ مِنْكَ إِلى ‏ حِبٍّ أَتَى دونَهُ نَأْىٌ وهِجْرَان
دانٍ عَلَى الْبُعْدِ والقُرْبى أَضَنُّ به ‏ على السلوِّ وطولُ الصَّبْرِ سُلْوَان
مُرِنِّقُ الشَّوْقِ همَّاسُ الشبابِ إِلى ‏ أُذنِ الهوى حِينَ طَرْفُ الرأْى يقظان[٥]

---

(١) البيتان المقوسان للأسود بن يعفر من شعراء المفضليات وهى من جياد الجاهلية وهذان مطلعهـا .

* من نافذة القطار بين أسوان والقاهرة — ١٩٥٥ ونظمت فى أكثر من عام .

(٢) الحرف الناتئ من الجبل . وفى هذا البيت والذى بعده إشارة إلى خبر فرعون وهامان . قال تعالى : وقال فرعون يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى . فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين — سورة القصص ، وقال تعالى : « وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى » — سورة غافر . والثنية هى الطريق فى الجبل . والأسباب الوسائل .

(٣) أى من أسرار الكون .

(٤) تربهم : أى تكون أربابهم .

(٥) مرنق : الكلمة مستعملة فى العامية السودانية . والعين ترنق للنوم ونحو ذلك . وفى البيت إشارة إلى المثل : الرأى نائم والهوى يقظان .

مُرَشَّحٌ بَسَماتٍ يَسْتَهِلُّ بِهـا ... لَهُنَّ فى الحَدَقِ المحبورِ ألوانُ[١]

ما للغرامِ يُذِيبُ الصَّدْرَ لاعِجُهُ ... والدمْعُ منكَ على الخَدَّيْنِ هتّانُ

أَمِنْ معتَّقَةٍ صِرْفٍ لها أَلَقٌ ... تمازَجَتْ فِيهِ أضواءٌ وألحانُ

تَحُثُّها مُفْرَدًا فى جَوفِ مُنْصَلِت ... يَسْتَنُّ بالرِّيفِ فيهِ الأَثْلُ والبانُ[٢]

ورُبَّما اقْتَرَبَتْ شَمَّاءُ مُشْرِفَةٌ ... تَكادُ تَنْقَضُّ أو صَمَّاءُ مِبْدَانُ[٣]

كأَنَّ لُجَّةَ بِلْقِيسٍ تُجَاذِبُها ... فَضْلَ الإِزارِ فناداها سليمانُ[٤]

فاذْكُرْ سليمانَ إِذْ نادى ولاحَ له ... حَيًّا تَبَلَّجَ من بلقيسَ ريّانُ[٥]

ياحبَّذا النيلُ أَنَّى كان مُنْسَرِباً ... وحَبَّذا ثَبَجٌ منه وكُثْبانُ[٦]

وحبَّذا شاطئاه والنَّخِيلُ ونِيرانُ القُرى ومَعِيزُ الحيِّ والضانُ

وحبَّذا وَقْفَةٌ بالنيل إِذ دَلَكَتْ ... بَعْدَ المَقِيلِ ورام الرِّىَّ رُعْيانُ[٧]

---

(١) المحبور : المسرور ، من الحبور .

(٢) الأثل : شجر ، وهو أخو الطرفاء ، وهو أكبر وأجمل ويعرف بهذا الإسم : الأثل ، فى شمال السودان ، وكثير هو بريف مصر . وقد رأيت شجراً آخر حسناً لم أعرفه فشبهته بالبان وسميته باناً . والمنصلت : دو القطار السريع .

(٣) أى صخرة شماء مرتفعة . ومبدان : ضخمة على التشبيه بالمبدان من النساء .

(٤) و (٥) كانت الصخرة ضخمة متصلة بالماء لها ظل عليه . وههنا إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النمل : — « قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها » — والخطاب لبلقيس وذلك أن الجن قالت لسيدنا سليمان إن بساقها شعراً كثيراً ، وإن رجلها كحافر الحمار ، ليكرهوه فيها ، فلا يتزوجها . فاتخذ صرحاً من الزجاج ، وأجرى فيه الماء ، فحسبته لجة . قال الزمخشرى : واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها ، فكشفت عنهما ، فإذا هى أحسن الناس ساقاً وقدماً ، لا أنها شعراء . ثم صرف بصره وذادها . ا . هـ . الكشاف ٣ — ١٤٥ — وتزعم الحبشة أن سليمان تزوجها فولدت له منليك .

(٦) ثبج النهر : أعالى موجه هنا .

(٧) دلكت : أى الشمس وذلك يكون قرب العصر .

والوارداتُ ضِفَافَ النيل أَزْفَلَةً   يَرْحَضْن ثَمَّ ومايَرْحَضْنَ خُلْقَانُ[1]

وَسَيْرُكَ اللَّيْلَ بَيْنَ الطَّلْحِ مُعْتَسِفًا   إذ اشْرَأَبَّ أَمامَ الْعَيْرِ ثُعْبانُ[2]

ياصَخْرَ أَسْوانَ قد أَضْفَتْ صَبابَتُنا   أَسىً عليك فأَنْتَ الآنَ أَسْوانُ

بَلْ مات منك هوى الأَحبابِ واضْطَبَرَتْ

نَفْسُـــكَ واشْتَمَلَ الأَشْجَانَ كِتْمـــانُ[3]

والنيلُ تحتَكَ مُنْسابٌ مُرَفْرِفَةٌ   عليه من عَذَباتِ السُّنْطِ أَغصانُ[4]

أُحِبُّ مِصْرًا لِحُبِّ النيل مُغْتَرِباً   بها ولى مِنْهُ كاساتٌ ونَدْمانُ

والنيلُ يَهْجِسُ فى أَعماقِ أَنْفُسِنا   مذنحْنُ فى سُبُحاتِ الْمَهْدِ ولدانُ[5]

وقد رَئِمْتُ الجِرارَ النَّاهضاتِ بها   مجاهداتٌ لَهُنَّ الصَّبْرُ أَخْدَانُ[6]

من مُبْلِغٌ صَخْرَأَسْوَانَ وقدشَحَطَتْ   لولا ادِّكارُكَ عَنْ مَغْنَاكَ أَسْوَانُ[7]

أَنَّا حَفِظْنا له عَهْدًا إذا نَكَثَتْ   عَهْدَ المودَّةِ بَعْدَ النَّأْى خُلاَّنُ

---

(١) يرحضن : يغسلن . والرحض غسل فيه ضرب وكذلك يكون الغسل عند شاطىء النيل . خلقان ، أى ثياب بالية . الأزفلة : الجماعة .

(٢) العير : الحمار .

(٣) فى الشطر الثانى زحاف الطى .

(٤) السنط فى القاموس بفتح السين ونحن ننطقها فى السودان بضمها وهو أحب إلى .

(٥) السبحات : لفظ من ألفاظ الصوفية وأصله من سبحات وجه الله أى أنواره وفى رأى وردزورث الشاعر أن المهد قريب من نور الله .

(٦) الجرار غير مستعملة فى السودان والمراد هنا جرار مصر وصواحبها . وأخدان جمع خدن وهو الخليل . وفى القرآن ولا متخذات أخدان ، فى سورة النساء ، ورئم بمعنى رحم وأحب ، والكلمة مستعملة فى لهجتنا الدارجة . وقولنا الناهضات بها ، على لغة أكلونى البراغيث وهى جيدة كثيرة فى الشعر ومنها فى القرآن .

(٧) شحطت : بعدت . والمغنى : الدار .

صُغْنا لَهُ تِبْرَ ساعاتٍ نُكالِئُها   من الْكَرَى حِينَ لجَّتْ فيهِ أَجْفَان[١]

صُغْناه شِعْرًا عَصِيًا لا يطيع إذا   لم تَرْتَبِطْهُ أَعاريضٌ وأَوزان

شِعْرًا يَشِعُّ عَلَى الأَكْوانِ بارِقُهُ   ورَعْدُهُ فى الدَّم الجيَّاش رنَّان

فَلَيْسَ يَحْبِسُهُ لِينُ الفراشِ ولا   من المدامَةِ ذاتِ البأْس إدمان

ولا مُسَامَرةُ الإخوانِ خامَرَهـــا   طِيبُ الْمُزَاحِ وَهَلْ للمرءِ إخوان

كأَنَّما الدَّامَرُ الْغَبْرَاءُ صَورُهَا   مِنْ صَمْتِكَ النازحِ الْمُزْوَرِّ صَوَّان[٢]

تَلُوح أَقْبُرُها شُعْثَ الحجارةِ قد   حَفَّتْ بِهِنَّ مَوَدَّاتٌ وأَضْغان

يُكَلِّمُ اللهَ منها كُلُّ مُفْتَرِشٍ   ثَرَى الضريح لَهُ باللَّيْلِ قُرْآن[٣]

بكى أمرؤ الْقَيْسِ من ذكْرى أَحِبَّتِهِ   وللأَحِبَّةِ فى جَنْبَيْكَ عِرْفَان[٤]

ولو بكَيْتَ لفاضَ الدَّمْعُ واشْتَعَلَتْ   من الأَسى فى مَعِين الدَّمْعِ نيرَان

صَبْرًا على الدَّهْرِ إنْ نابَتْكَ نائبةٌ   ومَضِّ نَفْسَكَ عُدْوان وخِذْلان

وما أَفَدتَّ بِصَبْرٍ غَيْرَ مَسْغَبَةٍ   إلى الحياةِ وطَعْمُ الْعَيْشِ خُطْبانُ[٥]

---

(١) نكالئها : أي نحرسها من أن يسرقها النوم .

(٢) المزور : المبتعد بجانبه . الصوان : الحجر . والدامر بلد المؤلف وهى على طرف الصحراء ، رعاها الله . وذكر صاحب تأريخ الفرنج أنها كانت مدينة السودان الدينية منذ أيام مملكة مروى القديمة ، وكانت تدعى مدينة أبولو والمشهور بين الناس الآن أنه أسسها حمد بن عبد الله رجل درو ، ويسمى ضمين الدامر وحفيد حمد هذا هو المجذوب بن على أبو دامع جد المجاذيب .

(٣) مما يرويه الناس من كرامات الأولياء فى الدامر ، سماع القرآن يتلى تلاوة واضحة من بعض القبور .

(٤) قال امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان   ورسم عفت آياته منذ أزمان

(٥) المسغبة : الجوع . الخطبان : الحنظل

نخادعُ الناسَ عَنْ نَجْوى ضمائِرِنا ... وفى قرارتها جَهْرٌ وعصيان
نَبْغى السلامَةَ هيهاتَ السلامَةُ والْ ... أَحْشاءُ ظامِئةٌ والْقَلْبُ غَرْثان[1]
ولا سبيلَ إلى السلوى وأَنْفُسُنا ... من التُّقَى ونِزَاعِ الغَيِّ بُرْكان
ياصَخْرَ أَسْوَانَ هَلْ سلوى نلوذُ بها ... بَلْ ما تلوذُ به صَمْتٌ ونِسْيان
والنيلُ حَوْلَكَ قَدْ دَفَّتْ غواربُهُ ... والريفُ قَدْ رَفَّ فيه الأَثْلُ والبان[2]
ياصَخْرَ أَسْوانَ إِنَّ القَلْبَ أَسْوانُ ... وأَنْتَ مِنْ خَمْرَةٍ خَرْساءَ نَشْوَان

دمعة على صديق*

ياعَيْنُ فابكى على الفتيانِ إذ ذُبِحُوا ... لما دعاهم صباحُ الموتِ فاصطبحوا
نبكى عليهم وما جدوى البكاءِ لهم ... وماعسى أَن تَغِيرَ الأَدْمُعُ السُّفُح[3]
تبكى العقائلُ والعُوذُ المطافِلُ والشْ ... شُعْثُ الأَرامِلُ والْمَحْجوبَةُ الرُّجُح[4]
والأَصْغَرون وأَشْيَاخٌ مُوَقَّرَةٌ ... عُبْرُ النوائبِ مِمَّا أُثْقِلوا رزحوا[5]
نبكى ونَرثِى الأُلَى لو كان أَمهلهم ... صَرْفُ الزمان لطابت فيهم المِدَح

---

(١) غرثان : جائع .

(٢) غواربه : أمواجه .

ولك أن تنشد : رفرف فيه مكان قد رف فيه .

* نظمت ببخت الرضا فى رثاء المرحوم أبى القاسم مرغنى وأصحابه الذين أصيبوا أول مارس ١٩٥٤ ونشرت فى الرأى العام ١٢ من ذلك الشهر وقد حذفنا منها عدة أبيات مما نشر ولم ينشر فنأمل ألا يخل ذلك بالسياق .

(٣) تغير : من غار يغير بمعنى نفع ينفع ومنه قول الشاعر : « ماذا يغير ابنتى عمرو بكاؤهما » .

(٤) العوذ : الحديثات الولادة والمطافل ذوات الاطفال .

(٥) عبر النوائب : تعبر بهم النوائب .

من الميامين شُبَّانا وجوهُهمُ ... عن نورهِنَّ زنادُ الحقِّ يُقْتَدح

لو أَنَّهُمْ قُتِلُوا فى يَوْمِ مَلْحَمَــةٍ ... دُونَ اللِّواءِ لقيلَ الْفَوْزُ والفَلَح

لكنَّهم ذُبِحُوا ذَبْحَ الشِّياهِ وَقَدْ ... طُلَّت دماؤُهُمُ فالدَّمْعُ مُنْسَفِح

طغت عليهم من الدَّهماءِ طاغِيَةٌ ... فَجعْجَعَتْ بِهِم ضَحْوًا فما بَرِحوا[1]

أَبكى أَبا القاسمِ النَّضْرَ الجبينِ أَما ... رأَى تَبَلُّجَهُ الأَوغادُ إِذْ كلحوا

أَغرُّ أَرْوَعُ وضَّاءٌ له أَلَقٌ ... كما يُجلِّى سوادَ الظُّلْمَة الوَضَحُ[2]

فردًا رُزِئناه والأَقدار فاجِعَةٌ ... أَصابَهُ عُصْبَةٌ هُوجٌ كأَن مزَحوا[3]

أَنْحَوْا إِليه على بَغْتٍ فُئوسَهُمُ ... فَمزَّقوه وولَّوْا وهو مُطَّرح

دامى الأَديم مُعَرًّى من محاسِنِه ... ياهَلْ أَحَسَّ به الأَجلافُ ما قبحوا

تاحتْ له حيثُ لا يدرى عصابَتُهم ... ومن له عن قضاءِ الله مُنْتَدح

طافوا به واستداروا ثُمَّ دار له ... من المنيَّةِ فى أَرماحِهِمْ قَدَح

غاب الوزيرُ وقد أَبدى نواجذَهُ ... يومٌ من الشرِّ فى أَنيابه قَلَح[4]

أَما رأَى النَّفَر الأَخيار إِذ سقطوا ... أَشاهد الهَمَجَ الأَشرار إِذ جمحوا

مضى ليلقى نجيباً جاذلاً فَرِحاً ... وكيف يحكم ملكاً جاذلٌ فرح

هلاَّ أَعدَّ لهذا الأَمــر عُدَّته ... إِن كان يجهل ما أَخْفَوْا فَقَدْ صَرحوا

---

(١) جعجعت بهم : حبستهم فى مكانهم حبساً غليظاً . ضحوا : نهاراً . ما برحوا : ما تحركوا وذهبوا . وهنا إشارة إلى كتاب عبيد الله بن زياد ليزيد بن الحرأن جعجع بالحسين .

(٢) الوضح : الصباح .

(٣) رزئناه : فقدناه .

(٤) قلح : اصفرار وقبح .

وَلَيْسَ عاذِرَهُ ما كان أَصْدَرَهُ ... حتّى يُغَيِّضهم جَهْرًا كما طفحوا
هاب الوزيرُ سبيل الحزم بَيِّنَةً ... والحقُّ أَبلجُ والعدوانُ مُتَّضح
لما اتّكلنا على الضعفِ استبدَّبنا ... رأْيُ الرَّعاعِ فقد لجوُّا وما كُبِحوا
كيف التخاذُل من دهياءَ سافِرَةٍ ... حمراءَ من جُثَثِ القتلى لها وُشُح[1]
مُضَرَّجين كراماً بات مضجعُهم ... من التّراب تُسوّى فوقه الصُّفُح[2]
ياوَيْلَ قومِيَ إذ نُودوا على عَجَلٍ ... إلى العلى فاستجابوا ثُمَّت افتضحوا
ياويلهم أَشمتوا الأَعداءَ وانصرفوا ... بالخِزْيِ قد نُصِحوا قدمًا فما انتصحوا
قد أَسخطوا الملأَ الأَعلى بما اقترفوا ... من الكبائر والإِثم الذى اجترحوا
وأَفزعوا ساهرًا أَمسى يؤَرِّقُه ... من فعلهم باسرًا ذا مُدْيةٍ شَبَح[3]
وقيل : دبَّرها صِلٌّ ونفَّذها ... أَذنابُه وطباها الزَّهْوُ والبَجَح
يبغوننا خُطَّةً شنعاءَ فاغِرَةً ... فماً من الْبَغْيِ يالَلشُّؤْم لو نجحوا
كنا نحاذر مصرًا أن تَحيفَ بنا ... فَقَد تَّحَيَّفَنا الشرُّ الذى نضحوا[4]
يادَمْعُ وَيْحَكَ لاتَسْكُبْ فإِنَّ رِضَا ... نَفْسِى طريقةُ عَدْلٍ أَمْرُها سجح
صَبْرًا فلا بَدَلٌ ممن تَخَطَّفَهُمْ ... ريبُ المنون ولاسلوى فقد نزحوا
ماتوا ثكلناهُمُ ثُكْلَ اليتيم فهل ... تُرىَ الأُلى فجعونا بَعْدَهُمْ فَرِحوا

---

(١) وشح : جمع وشاح .

(٢) صفح جمع صفيح وصفيح القبر وصفائحه : : احجاره .

(٣) أى يؤرقه شبح من فعلهم باسر ، أى عابس ، بيده مدية . فباسرا وذا مدية ، كلاهما حال ، كما فى قول الآخر : « لمية موحشاً طلل »

(٤) الضمير فى (نضحوا) يعود إلى الذين قتلوا أبا القاسم وصحبه فى أول مارس .

هل تستقلُّ بلادٌ تستقلُّ بها الْ ... فَوْضى ويَمْرَجُ فيها الجُهَّل الوُقُحُ[1]

ياويحنا ضَلَّةً نسعى وقادتنا ... تسرى وتُدلج حيث البؤس والتَّرَح

أَبكى حزيناً فسيل الدمع مُنْهَمِرٌ ... تزجيه مِنِّى جُفُونٌ حُفَّلٌ دُلُح[2]

ماذا يغيرُ بكائى بَعْد من قتلوا ... وهل أَسَوْن دموعى بعض ماجرحوا[3]

هيهات حتى يرودَ الْعَدْلَ رائدُهُ ... وَيشْربَ القوم من أَسْآرِ ما متحوا[4]

رثاء الضرس

١٩٤٣

لَقَدْ بَانَ ذَاكَ الْخِلُّ عَنَّا وَوَدَّعَا ... فَصُدِّعَ شَعْبٌ لَمْ يَكُنْ قَبْلُ صُدِّعا

فَيَالَيْتَ ضِرْساً كَان سَيِّدَ قَوْمِهِ ... أَقام لئَلاَّ يَتْرُكَ الْفَمَ بَلْقَعَا

تمكَّن فى عَمْرٍ مَكِينٍ جُــذُورُهُ ... تَمَكُّنَ مَخْشِىِّ الْعَشِيرَةِ أَرْوعا[5]

وكان قميناً أَن يقيم مكانَهُ ... ويُخْمِل فى السُّلطان كسرى وتُبَّعا

ولكنْ بناتُ الدهر فَرَّقَ شمْلُها ... تُخَبِّئُ فى الأَمْنِ الْمَخُوفَ الْمُرَوَّعا[6]

فلم يَقْتَنِعْ بالخُبْزِ واللَّحْمِ مَطْعَمًا ... وأُغْرِىَ بالسِّيسَاءِ والتَّمْرِ مطمعا[6]

---

(١) يمرج : من مرج الأمر من باب فرح إذا اختلط .

(٢) حفل : ممتلئة . دلح جمع دلوح أى ثقيلة من الامتلاء . قال الآخر :

قلت لخـــانة دلوح ... تسح من وابل ســـحوح

وهذا تمثيل لا استشهاد .

(٣) دموعى فاعل أسون على لغة أكلونى البراغيث . قتلوا وجرحوا للمعلوم والمجهول ، وجهان

(٤) أسآر : بقايا . متحوا : غرقوا .

(٥) العمر هو حيث تنبت الأسنان من لحم الفك ، والأروع الكريم .

(٦) هنا إشارة إلى شاهد النحاة — يا لك من تمر ومن سيساء ينشب فى المسعل واللهاء

هو الطَّمَعُ الْبَاغِي وَبَالٌ عَقِيبُهُ ... فَقَصْرَكَ أَلاَّ تجعل الْبَغْيَ مرتعا[١]

فَقِدْمًا أَطاح الظُّلْمُ هَامَةَ قَيصَرٍ ... ومَزَّق عن دَارا السِّتار المُمَنَّعا[٢]

وأَنْزَل رَبَّ الصغْدِ عَنْ عَرْش عِزِّهِ ... قُتَيْبَةَ لمَّا حَمَّلَ الْقَوْمَ مُفظِعا[٣]

وأَحْرَق فى نار الصَّواعق أَرْبَدًا ... فَأَمْسَى لَبِيدٌ بَعْدَهُ الْحُزْنَ جُرِّعا[٤]

أَغارَ عَلَيْهِ السُّوسُ يَنْحِتُ أَثْلَهُ ... وَما كَانَ لَوْلاَ السُّوسُ ضِرْسٌ لِيِيجَعا[٥]

يَظَلُّ نَهارى سَاكِنًا فَإِذَا دَجَا ... لِيَ اللَّيْلُ عاطانِى الْأَسَى وَالتَّفَجُّعا[٦]

وَيَلْذَعُنِي لَذْعاً تَرى الصَّبْرَ عِنْدَهُ ... رَكِيكاً كَبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ تَضَعْضَعا

وأَسْقِيهِ ماءَ الْمِلْحِ مُرًّا فَيَرْعَوِى ... قَلِيلاً ولكِنْ رَيْثَ أَنْ بَعْدُ يَلْذَعا[٧]

أَلَحَّ علىَّ اللَّيْلَ يَنْفِثُ سَمَّهُ ... وجَرَّعَنِى كَأْسَ السُّهاد فأَترعا

ووَسَّدَنِى بَرْدَ الْبَلاطِ ولَمْ أَجِدْ ... من الْجَنْبِ لاسْتِلْقَاءَةِ النَّوْمِ مَوْضعا

ولَأْياً طَعِمْتُ الغُمْضَ ثُمَّ تشوَّرَتْ ... ثَوائِرُهُ تُذْكِى لِيَ النَّارَ مضجعا[٨]

تَشَكَّى إِلى إِخوانِهِ وَقبيلـــه ... فَخَبَّ بِها دَاعِي السَّقَام وأَوْضَعا

---

(١) قصرك — أى كف .

(٢) يوليوس قيصر والمراد بدارا كل ملك من ملوك الفرس الأولين .

(٣) أراد قتيبة جند خراسان على الخروج فقتلوه ، وكان أجباراً ذا هيبة .

(٤) هو أربد بن قيس وفد على النبى ليقتله فأحرقه الله ، ولبيد هو الشاعر أخو أربد لأمه ورثاه بقصائد .

(٥) ينحت أثله من قولهم نحت أثلته أى تعرض له بشر ، وليبيجعا بكسر أولها بعد اللام الجاحدة هى ليوجع ، وإنما جئنا بها هكذا محاكاة لمتمم بن نويرة إذ لغة تميم كسر حرف المضارعة .

(٦) ولك أن تنشد — عاطانى الأذى والتوجعا . وما أثبتنا أجود .

(٧) ريث أن يلذع ، وبعد فاصلة بين أن وفعلها المنصوب .

(٨) لأيا — أى بعد لأى . تثورت تفعلت من ثارت .

فَفِى الْعَيْنِ أَوصابٌ وفى الأَنْفِ مثلها ... كما نَدَبَ الشَّرْقُ الإِمامَ الْمُوَدَّعا[١]

شكوتُ إلى ذَاكَ الطُّبَيِّب عِلَّتى ... وقلتُ عساه أَنْ يَضُرَّ وَيَنْفَعَا

أُصَغِّرُه إذ أَنَّهُ كَانَ طَالِبـــاً ... ولولا افْتِقارى زُرْتُ آخَرَ أَبْرَعا[٢]

أَقولُ عسَاه رَغْمَ أَن كان طالبا ... لِفِطْنَتِهِ دَارِى النِّطاسَةِ أَجْمَعا

فَقَد درّس التَّشْريح كُلَّ أُصولِهِ ... وَعَبَّ بماءِ الْفَحْصِ ثُمَّ تَرَفَّعا[٣]

مَتَى لُجَجٍ من كِتْشِنِيرَ نَوائِجٍ ... لَدَيها بَنُو جُنْبُولَ مَثْنَى ومَرْبعا[٤]

وقد كانَ مَزْهُوًّا علينـــا بعلمه ... كثيرًا علينا فَخْرُه مُتَنوِّعا

وقد كان مشقوق الْعُبَيْئَةِ خَلْفَه ... إلى يَوْمِ دِبْلُومَاتِهِ مُتَطَلِّعا[٥]

وقُلْتُ عَسى بَلْ أَحْرِ ثُمَّ لَعَلَّهُ ... يَكُونُ أَبو المِغْوارِ شَهْماً سَمَيْدَعا[٦]

كأَنِّى به احْرَنْبَى وهَبَّ ولم يَكَدْ ... وهَلْهَل يُزْجِى علمـــه مُتَدَفِّعا[٧]

فلا تَجْعَلَنَّا أَنْ نَوَدَّكَ خُضَّعا ... لِدَعْواكَ هَذِى عَوْضُ مَا نَحْنُ خُضَّعا[٨]

---

(١) أوصاب جمع وصب وهو الوجع — وهنا إشارة إلى قول حافظ إبراهيم رحمه الله « فى الهند محزون ، إلى قوله ، وفى فارس ما شئت من زفرات » والإمام المودع هو الشيخ محمد عبده رحمه الله .

(٢) أى أدعوه بالتصغير وأقول طبيب بتشديد الياء لأنه لا زال طالباً لم يتخرج بعد .

(٣) و (٤) هنا إشارة لشاهد النحو :

شربن بمـــاء البحر ثم تـــرفعت ... متى لجج خـــضر لهن نئيج

يصف الشاعر سحابا . ومتى بمعنى من بلغة هذيل . كتشنير ، كلية الطب بالخرطوم ، إذ كانت تدعى مدرسة كتشنر الطبية ، ونوائج — ذات أصوات بالجيم المعجمة . بنو جنبول — البريطانيون وكانوا يتولون التدريس .

(٥) العبيئة تصغير عباءة مخففاً . إشارة إلى المعطف الأبيض الذى يلبسه الأطباء .

(٦) هنا إشارة إلى شاهد النحاة فى باب الجر بلعل : لعل أبى المغوار منك قريب .

(٧) هنا إشارة إلى أفعال الشروع وبعض مسائل النحو مثل أحربنى وهو وزن لازم ، تقول احربنى الديك أى انتفش للحرب ، وذكر النحاة متعدياً فى أسرندى واغرندى .

(٨) أى لا تحسبن أننا سنخضع لدعواك من أجل حبنا لك .

وقال خليلي لا يَغُرَّنْكَ زَهْوُه ... فلم أُلْفِهِ في الْجِدِّ إلا لِيَجْزَعا

فقلتُ له قد ضِقْتُ ذَرْعاً بما أَرَى ... وأَوْشَكَ حَبْلُ الصَّبْرِ أن يتقطعا

وإنِّيَ قَدْ وَطَّنت نفسي لريبه ... فلستُ أُبالي الدَّهْرَ ضيع أم رعى

فقبليَ ما لاقى حُمَيْدٌ زمان مـا ... دعاه إلى الْحَلَّاقِ ذي البطش مادعا[1]

فَيَقْلَعُ بالْخَيْطِ «الدَّبَارةِ» ضِرْسه ... ويسقيهِ بعد القلع شاياً مُنَعْنَعا

وسِرْنا مَعًا نَحْوَ العيادة نبتغي ... كلاليبَ فيها تَتْرُكُ الْفَمَ أَصْلَعا[2]

وصاح أمام الباب يَنْهى وآمِرًا ... طبيبيَ يَرْجو أنَ يَقُول فيسمعا

وقد راعنا أَنْ أُوصِدَ الباب دُونه ... وقال «التَّمَرْجِيُّ» اللَّئيمُ: تَقَشَّعا[3]

فيالَكَ خِذْلاناً مُبيناً تَجَمَّعَتْ ... سَحائِبُهُ سُودًا عَلَيْنَا تَجَمُّعا

فقلتُ لَه أَيْنَ الدُّوَيْهِيَةُ التي ... تَدُقُّ بها بَطْنًا وَظَهْرًا وَأَضْلُعا[4]

فَأَخْرَجها حَمْرَاءَ ثُمَّ أَقَـرَّها ... على عُنُق حاكى بها الظبي أتلعا[5]

وَدَاخَلَنا مِنْها لِمَرْآهُ هَيْبَـةٌ ... وأَمَّا التَّمَرْجِيُّ الخبيث فأُفْزِعا

ويَسَّرَتِ الأَبوابَ من بَعْدِ عُسْرها ... وَصَيَّرتِ السَّاعَةُ الْحَزْنَ مَهْيَعا[6]

---

(١) كان الحلاقون يقلعون الأضراس في الماضي هكذا . وحميد هذا قد اضطر في هذا الزمان الحديث إلى الحلاق والدبارة ، حين اشتد الضرس عليه في مكان ناء عن المدن .

(٢) الكلاليب هنا ، آلات القلع ، وصلع الفم خلوه من الأسنان .

(٣) أي أن التمرجي وهو الممرض الحارس بباب المستشفى ، أنكرنا وأوصد الباب وقال لصاحبنا تقشع . والألف للتوكيد أصلها نون خفيفة .

(٤) الحديث هنا عن السماعة التي يلبسها الأطباء .

(٥) الأتلع الطويل العنق مع جمال . أي لما لبس السماعة صار بها مثل الظبي الأتلع .

بها : الضمير يعود على السماعة لا العنق .

(٦) لك أن تقول : يسرت بالبناء للمجهول .

وَأَقْعَدنى كالشَّاةِ رِيمَ اجْتِزَارُها   وَقَال عُبَيْدَ اللهِ وَيْلكَ تَشَجَّعا[١]

فَقُلْتُ لَهُ إنى كَمَا قد عَهِدتَّنى   أَبا أَشْبُل جَلْدًا فُؤَادى مُشَيَّعا

وأَعْدَدْتُ للأَيَّام إذ أَنت بَعْضُها   حُسَامَ اعْتِزَام ماضِىَ الْحَدِّ أَقْطَعا

وكان طبيبى قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ   جَسُورًا شديدَ البطش لن يَتَوَرَّعا

حَرِيصاً على الضِّرْسِ العنيدِ ولم يَكُن بِغَيْـ   ـرِ مِرَاسٍ ذُو الجُذور لِيُقْلَعا[٢]

فيَجْـذِبه جَذْباً عنيفاً ورُبَّما   دَنا أَمْرُه أَوْ هَمَّ أَن يتزعزعا

ويَجْذِبه جَذْباً وكالصَّخْرِ عِرْقُه   وأَما خليلى فالمصَابَ توقَّعا[٣]

ولما رأيتُ الطَّبَّ أَنْفَدَ طِبَّهُ   ولم يُبْقِ مِنْ ضِرْسٍ تَشَرَّمَ مَنزِعا[٤]

وَقُلْتُ له يأَيُّها الشَّهْمُ شَدَّ ما   نَصِبْتَ فَشُكْرُ الاجْتِهادِكَ بل لَعا[٥]

---

(١) ريم اجتزارها — أريد اجتزارها ولك أن تقول رام اجتزارها .

(٢) أى كانت للضرس جذور .

(٣) المصاب — الموت هنا .

(٤) أى لما رأيت طب الطبيب . قد نفد كله .

(٥) لعاً كلمة تقال للعاثر . والواو فى أول البيت واقعة فى جواب لما كما فى قوله تعالى فى سورة تنزيل : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها » .

مجاراة للشنفرى*

(نظمت فى فبراير ١٩٤٤)

أَجَبْتُ سرىَّ الشعر ينهَلُّ سلسلُ ... علىَّ فيجرى دافقا منه جدول
ولو شئت عاصَيْتُ الوقارَ وضَمَّنى ... مَعَ النَّفر الغاوين للَّهو محفل
ووُرْقُ حمامٍ لَسْنَ فى الأَيكِ مُشْرِق ... عليهن هفهافُ الحرير المرفَّل
يَمِسْن به والقَوْمُ صَرَّع لُبَّهم ... من النار ثاوٍ فى الزُّجاجات مُقْفَل
من النخلةِ الفيحاء أو ماءُ سنبل ... تقطره سوداءُ والليل أليل
ولوشْئتُ دارتْ كَرْمةٌ قُبْرُصِيَّةٌ ... تُخَيِّل رُشْدَ المرءِ ساعةَ يَذْهَل
وزَيْتيَّةٌ زهراء يُزْبِدُ كوبُهـا ... فيطمو إذا ما اصطَبَّه المُتَعَجِّل
فكُنَّ عزاءَ القلبِ والروحِ إذْ بغى ... زمانُ ضلالٍ جائِرُ الكفِّ مُخْبِل
ولو شِئْتُ حَيَّا بالمدامةِ شادِنٌ ... نضيرُ المُحَيَّا باسمُ الثغر أكحل
يُكِنُّ صفيراتِ الجبينِ تَخَفُّرًا ... وما هو إلا ريثما يتفَضَّل[1]
ويَنْهَضُ مَبْهُورَ القناع فَيُجْتَلى ... أَحَمُّ رحيبُ الطرف جذلانُ مُثْمَل[2]
يُلَوِّى لَبِيقًا بالزجاج بنانَهُ ... ويُدْنى رفيقاً ثَغْرَه فيُقَبَّل
فَمَتَّعْتُ غَضًّا من شبابى ولذَّنى ... غناءُ الغوانى كالحمائم تَهْدِل

---

* هذه كلمة طويلة نظمناها بأم درمان . وقد حذفت منها أكثر من نصف أبياتها . ومطلعها :

هو الشعر لا نسج من القول هاهل ... تبيت به مرضى قلوب تعلل

(١) تخفرا : أى ادعاء للخفر وهو الحياء . يتفضل يلبس ما خف وقصر من الثياب متفضلا بذلك .

(٢) المبهور الذى أصابه البهر وهو انقطاع النفس من الإعياء . والأحم صفة لسواد اللثاث أو سواد الشعر .

ولكننى أَعْصِى الغواة وأنتحى ... مناحِىَ تسمو النَّفْسُ فيها وتَجْزُل

مناحِىَ للغِرِّ الضعيف مخوفةً ... إذا غاب منها مجهلٌ لاح مجهل

خُلِقْتُ عَيُوفاً للزمانِ وزَيْفِهِ ... مُقيماً على حَزْنٍ فلا أتَسَهَّل

بسيط حواشى الود لاتستخفنى ... بهارجُ يهواها الغوىُّ المُضَلَّل

صدوق طوايا النفس لست بلابس ... ثيابَ رياءٍ كل يوم تبدَّل

أخا وَثَباتٍ لايُبالى إذا مضى ... أكان ضِياءٌ أم دجا ثَمَّ غيطل[1]

بعيد دواعى الشر يلقى زمانه ... بذمةِ حُرٍّ لايُدَاجِى فيَخْتِل

ولو كان فى الدُّنيا عظيمٌ حَقَرْتُه ... فكيف وفى الدنيا قمىءٌ وزُمَّل

وأُبْصِرُ أبناءَ الزَّعانِفِ فيهم ... أخو الكِبْرِيا والسادِرُ المُتَطوِّل

لعمرك إنى فى الحياة لزاهد ... إذا كان فيها سَيِّدَ القوم أَرْذَل

بَرِمتُ بعَيْشٍ فى بلادٍ كأنَّها ... بها مَطَرٌ من حاصِبِ الذُّلِّ يهطل

أقام بها أَمْلاكُ سوءٍ تَبَوَّءوا ... سرارتها كرسيُّهم ما يُحَوَّل[2]

فنُمْحِلُ حين السَّيْلُ بالوادِ مُفْعَمٌ ... وحين عيونُ النيل بالخصب هُمَّل

ويضربنا سوطٌ من الجور قاسطٌ ... ويلذعنا جَمْرٌ من الصَّبْرِ مُشْعَل

نَظَلُّ بذُلٍّ لا نرى الدَّهرَ غَيْرَهُ ... ونُمْسى بأنداءِ الضلالة نُهْزل

إذا ما فَرِحْنا غُدْوَةَ اليوم فَرْحَةً ... أُنيخَ علينا قَبْلَ أن زال كلكل[3]

---

(١) الغطيل : القطعة من الظلام . ويختل يخدع . زمل : ضعيف .

(٢) السرارة : وسط الوادى .

(٣) أى قبل زوال النهار .

ونُعْرِضُ عن أَجْنٍ فُنعطَفُ نَحْوَهُ   على الرَّغْمِ منا كارهين فَنَنْهَلُ[١]
متى قام منهم ظالمٌ مُتَعَجْرِفٌ   تَمَلَّقَــهُ منا دنىءٌ مُؤَمِّل
زعانف فينا كلِ نِكْسٍ مُلَهَّدٍ   له نابُ سوءٍ فى الخبائث أَعصل[٢]
أَلا فاقْبِسا من جَذْوةِ الشِّعْر إننى   أَسيتُ وفيها من همومى موئِل
تَشَعَّبُ فى قلبى همومٌ كأَنَّها   عواصف فى أَجواز يهماءَ نُسَّل[٣]
فمالك من أَيْدٍ فتنهضَ ثائرًا   ويُنْشَرَ من كبَّاتِ جَيْشِك قَسْطَل[٤]
ولكن قوافٍ حائراتٌ لحُزْنِهـا   لها مِزْهَرٌ فى ليل نفسك مُعْمَل

ثورة حزين*

أَلاهل درى قبْرُ الزبير بأَنّنــا   نُذَبَّحُ وسط الزَّنْج ذبح البهائم
فلو كان فينا سَيِّدٌ ذو حفيظةٍ   لهبَّ إلى وَجْهٍ من الرَّأْى حازم

أَبى الصَّبْرَ أَن الثَّأْرَ ليس بمُدْرَكٍ   وأَنْ ليس أَنْفُ الخائنين براغم
على أَنّ فينا عُدَّةَ البأْسِ والوغى   وفينا لدى الهَيْجا حماةُ المظالم

---

(١) الأجن : الكريه من المياه ، المتغير .

(٢) الملهد : منظور فيه إلى قول طرفة :

بطىء عن الجلى سريع إلى الخنى   ذلول بأجماع الرجال ملـــهد

والكلمة معروفة فى العامية السودانية ، يقولون لهدة ولهد .

(٣) اليهماء ، الصحراء . أجوازها : أرجاؤها . نسل جمع ناسلة أى متحركة .

(٤) الأيد : القوة . القسطل : الغبار .

* نظمت أواخر أغسطس وأوائل سبتمبر من سنة ١٩٥٥ – وحذفنا منها عدة أبيات وغيرنا عدة تراكيب وكلمات فنأمل ألا يخل ذلك بالأسلوب أو السياق .

هُمُ ملَّكُوا هيلاسلاسِي عَرْشَهُ ... وما رَهِبُوا رُوميلَ عند التَّصَادُمِ

وكَمْ فيهم من أصْمَعِ القَلْبِ ثابتٍ ... إذا استرجف الصنديدَ حَزُّ الغلاصم[1]

تُبَكِّي النساءُ بالدموع السواجم ... وماذا غَنَاءُ الدَّمْعِ عند الملاحم

لنا جُثَثٌ حُمْرٌ يُزَمْزِمُ حَولها ... شياطين لا يدرون معنى المآثم

إذا ما انْتَشَوْا من خمرةِ الدم أزْبَدُوا ... وهانت عليهم موبقاتُ الجرائم

وأنْشَد وَحْشُ الغابِ بَيْنَ صُدُورهم ... تِلاوَةَ أرباب قباحِ الدَّمادم[2]

تُزَمْجِرُ أفواهُ الثعابين عندها ... وتقذفُ من حِقْدٍ بعيدِ السخائِم[3]

إذا ما الرضيعُ الغِرُّ أَجْهَشَ ثَغْرُهُ ... تَلَقَّوْهُ من ثَدْى الحِرابِ بفاطِم[4]

وتُضْحِي النساءُ الآمناتُ يروعها ... إلى العار منهم كالسِّباعِ الضوارم[5]

وقيل أخوك «الذئبُ» فارْحم ضلاله ... وهَل يُطْغِيَنَّ «الذئبَ» غَيْرُ المَرَاحِم[6]

وسار بنا رأيُ الضعاف وهَدْيُهم ... وما رأْيُهم إلاَّ الرِّضا بالهزائِم

إذا ما أثار الخطْبُ رُشْدًا تهافتوا ... إلى أَمْرِ تلبيسٍ من الغِيِّ غائِم

---

(١) أى إذا رجف الصنديد الشجاع من حز الحلوق فى الحرب . استرجف : جعله يرجف والغلاصم : الحلوق . وأصمع القلب : شديده .

(٢) الدمادم : الصوت الذى لا يدرك مع شدة ودوى .

(٣) السخائم : جمع سخيمة : أى الأحقاد والضغائن .

(٤) أى جعلوا الحربة له بمنزلة الثدى .

(٥) كالسباع : الكاف فى محل رفع فاعل بمعنى أمثال . الضوارم : الجائعة إلى اللحم . من قولك سبع ضرم بكسر الراء .

(٦) يوصف الذئب بالغدر فى أشعار العرب . قال الفرزدق :

تعش فإن عاهدتنى لا تخوننى ... نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما ... أخيين كانا أرضعا بلبان

والمراحم : الرحمات بفتح الحاء .

وقد أَغْلَقَتْ نجوى الغباءِ نُفُوسَهُمْ ... فَهُمْ فى حُبُورٍ بين كاسٍ وطاعِمِ
وعلَّمهم طول الهوانِ جَلادَةً ... على دَمْعِ مظلومٍ وعُدْوانِ ظالِمِ
وقيل هو الرَّيْثُ الحكيمُ وخطَّةٌ ... تدارسها قومٌ صِلابُ الشَّكائِمِ
وقد كذبوا ماريْثُهُمْ عن درايةٍ ... ولكنَّ جُبْناً من ضعافِ العزائِمِ
وكيف يكون الرَّيْثُ رأياً وقد نرى ... دماءَ ذوى القُربىٰ وهَتْكَ المحارمِ
وقد عُفِّرَ الْخَدُّ الكريمُ وأُضْرِعَتْ ... من الذُّلِّ آنافُ الحسانِ الكرائمِ[1]
وليس يردُّ الشرَّ كشَّر نابُه ... طِوالُ الدعاوى وارتجالُ المحاكِمِ
أَلم يسمعوا فى مَنْزِلٍ بَعْدَ مَنْزِلٍ ... صِياحَ النواعى والْتِدامَ المآتمِ
وفرَّ ولاةُ الجُورِ عَنْهُ وغادروا ... عشيرتهم رهن العدو المراغمِ[2]
أَلم ترنا ذَلَّتْ وخامَتْ نفوسُنا ... وما سالِمٌ مِنَّا قريباً بسالِمِ
أَلِفْنَا حياةَ الخفْضِ نُرْخِصُ ديننا ... لها وهى غَرْسٌ حَرْثُهُ حَرْثُ نادمِ
وأَعجبنا اسم البرلمان جهالةً ... وما برلمــانٌ يشترى بالدراهمِ
وليس زعيم القوم من كان هَمُّه ... تَمَلُّقَ شِرِّيرٍ وإيواءَ جــارمِ
وليس زعيم القوم من ليس همُّه ... طِلابَ المعالى وارتقاءَ العظائمِ
ولكن زعيمُ القوم من يَصْدَعُ الدُّجى ... برأىٍ كحدِّ السيفِ أَبْلَجَ صارمِ
فَريقان مِنَّا كلَّما نادت العلى ... إلى الإِلْف لَجَّا لَجَّةً فى التخاصُمِ
وما نابتٌ إلا يروم جلالةً ... تُشَادُ على أَعناقنا والجماجمِ

---

(١) عفر : خلط بالتراب . الكرائم : جمع كريمة .

(٢) الجور بضم الجيم نهر من فروع النيل بالضفة الغربية .

صَبَرْنا على هذا العناءِ فَمَنْ لنا ... بأَرْوَع للسَّفْسافِ ليس برائم[١]
يظَلُّ لديه الأَرْذلونَ أنوفُهم ... مُخَزَّمَةٌ من بَطْشِهِ بالخزائم[٢]
أمانٍ ألا إن الأَمانى تَعِلَّةُ الـ ... ـضَّعيفِ لدى ليل من اليأْسِ قاتم
فياليت شعرى هلْ قضى اللهُ أننا ... عبيدٌ نُسَامُ الْخَسْفَ ضَرْبَةَ لازم

كأس الأَسرار*

هَلْ طَيْفُ مَيَّةَ سارٍ بَعْد مَسْراها ... قد غادرتْكَ طَرُوبَ النَّفْسِ مُغْراها
ولاحَ من فَمِها وَعْدٌ كأَنْ لَثِمَتْ ... به النسيمَ وبرْقٌ من ثناياها
تكادُ تُحْرِقُنا نيرانُ غُرَّتِهِ ... بَلْ أَحْرَقَتنا فصِرْنا من شظاياها
فيا أُهَيْلَ الغضى هل يبلغَنَّكمُ ... أنَّا عهودَ الهوى منكم رعيناها
نصونُها عن عيونِ الناسِ نُودِعُها ... من لُجَّةِ السِّرِّ فى الأَحشاءِ أَخفاها
إنَّ التى أسكرتْنا من بشاشتها ... ما بالها ضَنَّتْ عنا حُمَيَّاها
قامت تَراءَى فشاقتنا ببهجتها ... حتى إذا ماصَدِينا صدَّ عِطْفاها
قد علمتنا بعَيْنَيْها محبَّتَها ... فليتها تَهَبُ السُّلْوانَ عيناها
لوْ ساوفَتْنا بسَوْفٍ من تحيتها ... سَوْفَ العَيُوفِ لكُنَّا قَدْشكرناها[٣]

---

(١) ليس برائم : أى لا يرأم السفساف ، أى لا يحبه .

(٢) مخزمة : بالرفع على أنها خبر أنوف أو بالنصب على أنها خبر يظل . والخزائم عيدان أو حبال فى أنوف الإبل لقودها واحدها خزامة .

* مجاراة للبرعى فى كلمته : (قل للمطى اللواتى طال مسراها)

(٣) مأخوذ من شواهد سيبويه صدره وأكثر عجزه وتمامه على الأصل :

لوساوفتنا بسوف من تحيتها ... سوف العيوف لراح الركب قد قنعوا

فهل عُرَيْبُ الحِمَى يُفْدَى أسيرهمُ ... فإنَّ ميَّة لا يُفْدَى أُساراها

جادَ الغمامُ بذى غَـوْرٍ منازلَها ... وحيثُ أَشْرَفَ مِنْ سَلْعٍ كثيباها

وطالِعُ السَّعْدِ بالنعماءِ باكَرَها ... وبالْحَيا زَجِلُ الأَكنافِ حيَّاها

إنَّا نُكِنُّ لها الحُسْنَى ونُخلِصُها ... من المودَّة فى الأَعماقِ أَصفاها

لو طافَ طائِفُها والموتُ حاضِرُنا ... هَبَّتْ إلى النَّفْسِ بالغُفْرانِ ريَّاها

ولو رأَيْنا مُحَيَّاها وقد صَفِرَتْ ... آمالُنا كان فُرْقاناً محيَّاها[1]

وربَّما عصفت هوجُ الخطوب بنا ... سُودًا فَتَكْشِفُ عنا إن ذكرناها

نَسْرِى على ظُلَمِ الدُّنيا يُؤَانسنا ... بَيْنَ السِّنين رفيفٌ من ثُرَيَّاها

هِمْنا بها إذ فهمنا من تَبَلُّجها ... أَسرارَها وعلمنا أَنَّ معناها[2]

والنُّورُ من سُبُحاتِ الوجْهِ غامِرُها ... والفَيْضُ من نفحات الله يغشاها

واغْرَوْرَقَ اللَّعَسُ المغرورُ يَرْمُقنا ... طوْرًا وطوْرًا يناغينا بسُقْياها[3]

وهاتِفُ الشوقِ نادى فى ضمائرنا ... هل طيْفُ ميَّة سارٍ بعد مسراها

بانت تُحَثُّ إلى سَلْعٍ مطاياها ... وأَسْهَرتْ كَبِدَ المشتاق ذكْراها

---

(١) الفرقان : النجاة والخلاص . قال تعالى فى الأنفال : « يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم » . انظر الطبرى بولاق ٩ — ١٤٨ .

(٢) لك أن تنشد : منه معناها ولا تعجبنى والضمير يعود إلى التبلج — وأن هكذا أجود إذ المراد ترك المعنى معلقاً . ولك أن تجعلها مصدراً فتكون مفعولا به لعلمنا ولا أرى هذا الوجه . والأن أخو الأنين .

(٣) سبحات وجه الله : أنواره .

أَمَّا الْخَلِيطُ

١٩٥٦*

أَمَّا الخليطُ فبانوا بَعْدَ ما عَلِقا ... منكَ الفؤادَ هواهافاكْتُم الْحُرَقا[1]

كأنَّها نَخْلَةٌ بالشطِّ مُشْرِفَةٌ ... قدخضَّبَ البدْرُفى أغصانهاالأُفقا[2]

بانَتْ وفى القلب ذكراهاتُشِعُّ بها ... على الحشى موْهِناً من نورِها أَلَقا

لَمَّا تراءت بليتَيْها لتَحْزُنَنى ... ولا محالةَ أَنْ يشتاق مَنْ عشقا[3]

ما إنْ ذَكَرْتُ لهاوَجْداًولا ذكَرَتْ ... وَجْداً سوى أَنَّنا نَسْتَنْطِقُ الحَدَقا

ولااتَّعَدْناسوى المعروف إنْجَمَحتْ ... بنا الصَّبابةُ حتى نَشْكُوَ الأَرَقا

نَعْلَمُ أنَّ الحياةَ لا سُرورَ بهــا ... إلاَّ الرِّضا بقضاءِ الله إذسبقا[4]

قضى علينا قضــاءً لا مَرَدَّ لهُ ... فما نُحاوِلُ إلا الطيْشَ والنَّزَقا

حيَّا الغمامُ جِلاَهَ الواديَيْنِ وأَكْ ... نافَ الْغُوَيْرِ وحيَّا الرَّمْلَ والْبُرَقا[5]

---

* نظمت سنة ١٩٥٦ وفيها نظر إلى قصيدة زهير بن أبى سلمى :

إن الخليط أجد البين فانفرقــا ... وعلق القلب من أسماء ما علقا

(١) الخليط : الحى المختلطون . والكلمة كثيرة الاستعمال فى الشعر القديم يعنون بها حى الأحباء .

(٢) أى أن نور البدر يختلط بالأغصان أول طلوعه فتبدو الأغصان والأفق وراءها كأنها جميعاً مخضوبة بالحمرة . ونور البدر أبداً يكاد يضرب إلى الحمرة عند اختلاطه بأغصان الشجر لا سيما النخل .

(٣) هذا بيت زهير مع شىء من تغيير والبيت هو :

قامت تراءى بذى ضال لتحزننى ... ولا محالة أن يشتاق من عشقا

والليتان هنا واحدها ليت وهو صفحة العنق .

(٤) فى أول البيت زحاف الطى — وهو كثير فى الشعر الرصين . قال الأخطل :

مفترش كافتراش الليث كلكله ... لوقعة كائن فيهــا له جزر

(٥) جلاه : مفردها جلهة . وجلهة الوادى : جانبه .

والرَّكبَ إذ سلكَتْ أيدى الرِّكاب بهم ... مُيَمِّمينَ الْغضى من راكسٍ فَلَقا[١]

هل يعلمون بأنَّ الدارَ غيَّرَها ... عهدُ الأَنيسِ وأَمْسى شَعْبُها انْفَرقا

وشُبَّتِ النارُ يقضِى الحاكمون بها ... وأَنكَرَ البدْوُ تلكَ الأَيْنُقَ الدُّفُقا[٢]

صلَّى الإِلٰه على الهادى النبيِّ كما ... هدى وجازاهُ فَضْلَ السبقِ إذ سبقا

ونضَّر المِنْبَرَ الأَسْنَى وعطَّر رَوْ ... ضاتِ المُصَلَّى وأَسقاها الحيا غَدَقا

من مُبْلِغُ المصطفى إذ نَدَّ مُدْلِجُنا ... عن الهدى ونَحَوْنا التِّيهَ والغَسَقا[٣]

لا الأَزهرُ المرتجى تُرْجى هدايتُه ... ولا الدعاةُ تراموْا حَوْلَنا حِزَقا

وأُشْرِبَ الناسُ طَعْمَ الكُفْرِ وارتكسوا ... يُنـــافقون وما إنْ يتّقونَ تُقى[٤]

وحرَّفوا كلِمَ القُرْآنِ ، هاتِفُهم ... إلى الدَّنيَّةِ يَغْشانا بهـــا رَهَقا

فيابْنَ آمِنَةَ المُهْدِى إذا نكثوا ... صفَّ الظهيرةِ والمجنوبةَ العُتُقا[٥]

والواهبَ الكُومَ أَلْفاً يَندَفِعْنَ من الـ ... وادى يُخَالُ بِهِنَّ السَّيْلُ مُنْبَعِقا[٦]

---

(١) فلقا : صباحاً . قال زهير : «أيدى الركاب بهم من راكس فلقا» .

(٢) كانت للعرب فى الجاهلية نيران يحتكمون إليها ويعبدونها ذكر ذلك ابن قتيبة فى المعانى وابن إسحق فى السيرة . وقد شبت نار الزيت فى بلاد العرب جميعها بأخرة . ومن علامات الساعة نار تخرج من قعرة عدن ، كذا ذكر مسلم فى صحيحه . والدفق هى التى تتدفق فى سيرها .

(٣) المدلج : السائر بالليل . الغسق : الظلام .

(٤) إشارة إلى قوله : إلا أن تتقوا منهم تقاة .

(٥) كان صلى الله عليه وسلم إذا لم يصبح العدو تربص حتى تزول الشمس عن كبد السماء فيدهمهم جاعلا ضوء الشمس فى أعينهم وقد يؤخر الغارة إلى العصر . وانظر خبر النعمان بن مقرن فى فتح نهاوند — الطبرى . وخبر بنى قريظة فى السيرة . وكان صلى الله عليه وسلم لا يحارب كراً وفراً وإنما بالصف الزاحف . وانظر سورة الصف ومقدمة ابن خلدون . والمجنوبة : الخيل . العتق : الكريمة .

(٦) الكوم : الإبل الضخمة الأسنمة . وقد وهب صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك بعد حنين — راجع السيرة ٤ — ١٤٠ .

والقاهرَ الخَصْمَ بالحقِّ المبين وبالرُّ ... رُمحِ السنينِ وبالهنديِّ مُعْتَنِقا[1]

والجامعَ الناسَ أشتاتاً يُؤَلِّفُهمْ ... على المَحَجَّةِ حتَّى أقبلوا عَنَقا[2]

إنا شَقِينا بما نلقى فهل أَمَلٌ ... مِنْ فَيْضِ نورِك يَجْلُو الغمَّ والغرقا[3]

تَعَاجَمَ العربُ الأَحرارُ واستبقوا ... إلى الخيانة وارتادوا لها طُرُقا

وكان أَمرُهُمُ شُورى فصارَ إلى ... من لا أَبرَّ ولا أَوفى ولا صَدَقا

وآسفوا ابْنَتَكَ الزهراءَ واحتلبوا ... دمَ ابنِكَ السِّبْطِ لا يألُونَهُ حَنَقا

وقوَّلوك أَحاديثاً مُلَفَّقَــــة ... يا خَيْرَ مَنْ قال بالحُسْنَى ومن نطقا

لِيَفْتِنُونا بها عَنْ نورِ هَدْيِكَ يا ... نورَ الهدى وسِراجَ الظُّلْمَةِ الأَلِقا

يا وافِدَ اللهِ إنا وافِدونَ إلى ... سناكَ إذْ شَعَّ وسطَ اليأْسِ وانفلقا

إنِّى وَحَقِّكَ إيمانِى كمن شهدوا ... بَدْرًا يخوضون فى هيجائِها العَلَقا[4]

ومثلُ من صبروا بالشِّعْبِ من أُحُدٍ ... وتَرَّسُوا فَوَقَوْكَ النَّبْلَ إذْ رُشِقا[5]

ولو شَهِدْتُ حُسَيْنًا إذ يُحَلَّأُ عَنْ ... ماءِ الفُرَاتِ ويُسْقَى الْمَنْهَلَ الرَّنِقا

إذَنْ وَرَدْتُ حياضَ الموتِ مَوْرِدَهُ ... وما غَبَرْتُ أُصما فى العَيْشِ من فسقا

يا هادِيَ الخَلْقِ قد حار الدليلُ بنا ... فَقَدْ دَعَوْناك للخطب الذى طرقا

أَنت النبيُّ وأَنت المستجارُ وأَنْـ ... ـتَ المُرْتَجى لِفَكاكِ الرَّهْنِ إنْ لَمِقا

صَلَّى عَلَيْكَ إلهى كُلَّما هَتَفَتْ ... وَرْقاءُ هاجَ شجاها الدَّمْعَ فاستبقا

---

(١) إشارة إلى قول زهير : ضارب حتّى إذا ما ضاربوا اعتنقا .

(٢) العنق من سير الإبل السريع . قال الراجز : ياناق سيرى عنقاً فسيحا

(٣) إشارة إلى قول زهير : يخفن الغم والغرقا . ولك أن تنشد : القلقا . وما أثبتنا أجود .

(٤) العلق : الدم .

(٥) ترسوا : جعلوا أنفسهم كالترس أى الدرقة . وراجع خبر أحد .

البابُ الخامسُ

فى القصص

سعيد بن جبير

بنو مروان سادوا لهم ملك العَرَب
وللحجّاج سَيْــفٌ ومــا مِنْهُ هَرَب

بنو مروان سادوا لهم ملك نِزَار
وللحجّاج سيف وما منه فــرار

بنو مروان سادوا لهم ملك الْيَمَنْ
وللحجّاج سَيْفٌ وَيخْشاهُ الْحَسَن[1]

سعيدٌ بن جُبَيْر سعيدٌ ما سعيد
وللحجّاج سيف وَيخشاه يَــزِيد[2]

سعيدَ بنَ جُبَيْر أَشايَعْتَ العــدا
وللحجّــاج سيف ثوى فيه الردى

سعيدَ بنَ جُبَيْرٍ أَثُرْتَ فِيمَ ثُرْتَا ؟
ألا تفعل مــا بِهِ كُنْتَ أَمِرْتَا

---

(١) هو الحسن البصرى القائل وهذا سيف الحجاج يقطر دماً .
(٢) هو يزيد بن المهلب وكان جباراً إلا أنه كان يخشى الحجاج .

أُوُلِّيتَ القضاءَ فرضيتَ يا سعيد
وللحجَّاج سيف وفى الملك شديد
فيا ليتك لم تأْ خذ مقاليد القضاء
وفى المسجد جاهدت جهاد العلماء
سعيد بن جُبَيْرٍ أما تَخْشى الوعيد
وللحجَّاج سيفٍ والبطش عتيد[1]
سعيد بن جبير أما تخشى الأَمير
وللحجَّاج سيف ويخشاه جرير[2]
أَيا سيفَ الأَمير حَذَارِ من سعيد
وللحجَّاج سَيْف ولا يَخْشى الشهيد
بنو مروان سادوا وما هابوا الدماء
ويارُبَّ دماءٍ بكت منها السماء
بنو مروان سادوا وصاروا ذكريات
وللحجَّاج سيف عَفَتْهُ الحادثات
بكينا لسعيد بكى سيف الأَمير
وللحجَّاج دَمْعٌ يواريه غزير

---

(١) عتيد : مهيأ .

(٢) جرير كان يكثر من مدح الحجاج فكان أولى الناس بألا يخشاه .

وللحجّاج دَمْـعٌ مع السيف الرهيب
فقد صار سعيد مكينًا فى القلوب

السندباد

رَكِبْنَا مَرْكَباً لِلْهِنْــــدِ مِنْ مينائِنَا البَصْرَه
ثَلاثُونَ ، وَكُلٌّ يَأْ مُلُ الْفَوْزَ مِنَ السَّفْرَه
وملَّاحُــون عِشْرُونَ جَرِيئُونَ أُولو قُدْرَهْ
لَهُمْ شَيْخٌ مِنَ الْبَحْرَ يْــنِ بِالبَحْرِ لَهُ خبْرَهْ

وَقالَ الشَّيْخُ سَيْرُ الْبَحْــرِ فِيهِ خَطَرٌ جَمٌّ
إِذَا مَا هَاجَتِ الرِّيحُ وَثَارَ الْمَوْجُ وَالْيَمُّ
فَمَنْ كانَ جَباناً مِنْ كُمُ إِنْ حَدَثَ الْغَمُّ
إِذَنْ فَلْيَرْجِــعِ الآنَ وَلاَ لَوْمٌ وَلاَ ذَمُّ

فَقُلْنَا : إِنَّنَا طُرًّا عَلَى الْأَهْوَالِ شُجْعَانُ
وَلاَ خَوْفَ وإِنْ ثَار بِنَا فِى الْبحْرِ بُركَانُ
وما فِينَا لِمَــا تَأْمُ رُنَا يَا شَيْخُ عِصْيان
فَكُنْ أَنْتَ أَبانَا ثُ مَّ إِنَّا بعْدُ إِخْوَانُ

وسِرْنا سَبْعةً فِى نَسْ مَةٍ تُعْجِبُ هَبَّــابَهْ

تَوَسَّطْنا عُبابَ الْبحْـ ـرِ والأَمْواجُ صَخَّابَهْ
وكانَ الْماءُ مَدَّ الطَّرْ فِ قدْ نَشَرَ أَثوابَهْ
وَأَمَّلْنــا وُصولَ الهِنْـ ـدِ والآمالُ كَذَّابَهْ

فَفِى الثَّامنِ حينِ الدِيـ ـكُ فى مَرْكَبِنا صاحَا
وقَدْ شَعَّ جَبينُ الْفَجْـ ـرِ فى الظُّلْمةِ وَضَّاحَا
رَأَيْنا طائِرًا يَخفِـ ـقُ فى الْأَجْواءِ سَبَّاحَا
وَقالَ الشَّيْخُ قَرَّبْنا فهذا الْبَرُّ قَدْ لاحَا

رأَيْنــا شاطِئًا يَدْنو دُوَيْنَ الأُفْقِ قُدَّام
نَضِيرًا فَوْقَهُ دَوْحٌ وخَلْفَ الدَّوْحِ أَعْلامُ
تِلالٌ كلُّها خُضْرٌ عَلَيْها الزَّهْرُ بَسَّامُ
وَلِلطَّيْرِ عَلَيْها حِيـ ـنَ لاحَ الصُّبْحُ أَنْغامُ

وَأَرْسَيْنا وكلٌّ فا رِحٌ جَذلانُ مَسرورُ
وَكلٌّ بِبُلوغ الْبَـ ـرِّ مِلْءَ النَّفسِ مَحْبورُ
ولاحَتْ قُبَّــةٌ يَلْمَـ ـعُ فى أَرْجائِها النُّورُ
وقُلْنا هَذِه الهنْـــدُ وفيها الْخَيْرُ مَوْفورُ

لَقَدْ أَشْرَقَتِ الشَّمسُ وإنَّ الصُّبْحَ قدْ حَيَّا
وقَدْ أَضْفَى عَلَى الأَمْوا جِ لوْناً منْهُ وَرْدِيَّا

وقدْ أَلْبَسَ أَعلى الرَّوْ ضِ صبْغاً منْهُ نوريّا
ولِلْفَرْحَــةِ ناغَى عِنـ ـدَهُ الْقُمْرِىُّ قُمْرِيَّا

وقالَ الشَّيْخُ لَيْسَتْ هَـ ـذِهِ الأَرْضُ هىَ الهِنْدُ
وَلا تَغْرُرْكُمُ الْقُبَّـ ـةُ إِذْ لم تَصلوا بَعْدُ
وهذا مَوْضِعٌ خالٍ وفيهِ النَّمْرُ والأُسْدُ
ودُونَ الْهِنْدِ أُسْبُوعا نِ سَيْرٌ كلُّهُ جِدُّ

وأَمَّا تلْكُمُ القُبَّةُ إِنْ شِئْتُمْ لها خُبْرَا
فَلَيْسَتْ قُبَّةً حَقًّا ولا طِينًا ولا صَخْرَا
وَلكِنْ بَيْضَةُ الرُّخِّ فقُلْنا كلُّنا عُذْرَا
أَهَذِى قُبَّةٌ يا شَيْـ ـخُ أَمْ تُخبِرُنا هَتْرَا

فقَالَ الشَّيْخُ غَضْبانَ بصَوْتٍ جِدِّ مَحْزُونِ
لقَدْ كنْتمْ جَمِيعاً قلْـ ـتُمُ سوف تطيعونى
وهَأَنْتُمْ أُولاَءِ الآ نَ سَمْعَ الأُذْنِ تَعْصُونى
وقدْ أَخبَرْتُكُمْ حَقــاًّ فَفِى ماذَا تُمارُونى[1]

فَقلْنا كُلُّنا عَفْوًا فَهذِى قُبَّةٌ عَجَبُ
فقالَ لَنا إِذَنْ هَيَّــا لِتَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّيَبُ

(١) نون الوقاية محذوفة تخفيفاً وقرئ فى التنزيل « قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون » بالتخفيف ، قراءة نافع .

فَقَوْلِى وَإِلٰهِ الخَلْقِ لا زُورٌ ولا كَذِب
فَقُلْنا كُلُّنا شَتَّا نَ بَيْضُ الطَّيْرِ وَالْقُبَبُ

وسِرْنا كلُّنا مَاذَا الَّذِى يَبْدُو عَلَى الرَّمْلِ
عَظِيمًا يُشْبِهُ القُبَّةَ فى التَّدْوِيرِ وَالشَّكْلِ
أَهَذِى بَيْضَةٌ تَبْدُو لَنا فى الحجْمِ كالتَّلِّ
كَذوبٌ أنت ياشَيْخُ يميناً صادقٌ قولى

أَيا قَوْم اسْمَعوا إنَّ الذِى قدْ قُلْتُهُ حَقٌّ
إِذَنْ فَلْنَكْسِرِ الْقُبَّةَ كَيْما يَظْهَرَ الصِّدْقُ
أَلاَ لاَ تَفْعَلوا ذَلِكَ فَهْوَ الطَّيْش والْحُمْقُ
فإِنَّ الرُّخَّ طَيْرٌ هائِلٌ أَنْيابُه زُرْقُ

وقُلْتُ لَهُمْ أَطِيعُوا الشَّيْخَ قالوا إنَّه كَذَبَا
فَإِنَ تَكُ بَيْضَةً حَقًّا كَسَرْنَاهَا فَوَا حَرَبَا
لَكُمْ إنْ قَدِمَ الرُّخ لَسَوْفَ يُذِيقكُمْ عَطَبَا
وقُلْتُ لَهُمْ أَطِيعُوا الشَّيْخَ قالوا الشَّيْخُ لاَقُرْبَا

أَطِيعُونِى أَطِيعُونِى وَهَيَّا نُبْحِرُ الآنَا
فَإِنْ كَسَّرْتُمُ الْبَيْضَةَ جاءَ الرُّخُّ غَضْبَانَا
فقالوا هَاتِ ياشَيْخُ عَلَى قَوْلِكَ بُرْهَانَا

فَقَالَ الشَّيْخُ قَدْ ضِعْنا   فَيَا مَوْلاىَ غُفرَانَا

وَجاءُوا ذا بكَفَّيْه   قَدُومٌ ثمَّ ذا فَاسُ
وهَذا عِنْـدَه القَعْرُ   وهَذا عِنْـدَهُ الرَّاسُ
فَتَحْطِيمٌ وتَكْسِيرٌ   وقالَ الشَّيْخُ يا ناسُ
فَعَلْتُمْ فِعْلَةً نَكْرَا   ءَ إِنَّ الرُّخَّ فَرَّاسُ

ولَمَّا كَسَّرُوا الْبَيْضَـ   ةَ حَتى ظَهَرَ الْفَرْخُ
تنَادَوْا صَدَقَ الشَّيْخُ   أَلاَ قدْ صَدَقَ الشَّيْخُ
وكَذَّبْنَـاهُ لمَّا كا   نَ بالنُّصْحِ لَنا يَسْخُو
فَيا بُؤْسًا لَنَا ضِعْنا   إذا أَدْرَكَنا الـرُّخُّ

وقالَ الشَّيْخُ قَدْ جِئْتُمْ   بفعْلٍ شَائِن نُكْرِ
وكَذَّبْتُمْ مَقَالِى إِنَّـ   ى بالْبَحْرِ ذُو خُبْر
فَهيَّا الآنَ هَيَّا الآ   نَ يَاقَوْمِى إِلَى الْبَحْرِ
لَعَلَّ اللهُ يُنْجِينَا   مَتَى الرِّيحُ بِنَا تَجْرِى

وَأَطْلَقْنَـا شِرَاعَيْنَا   مَعَ الرِّيحِ مُجِدِّينَا
وَقُلْنَا : عَلَّ رَبَّ الْعَرْ   شِ مِنْ ذا الرُّخِّ يُنْجِينا
وَقُلْنا : إِنَّنَا مِنْ بَعْ   دُ للشَّيْخِ مُطِيعُونا
عَصَيْنَاهُ ضَلاَلاً وَ   خَبَالاً وَهْوَ يَهْدِينَا

وَلَمَّا غَابَ عَنَّا الْبَـ رُّ قُلْنَا الْحَمْدُ لِلّٰهِ
نَجوْنَا قَدْ نَجوْنَا لَيْـ سَ عَنَّا اللّٰهُ بِالسَّاهِي
وَقَدْ شَعَّ عَلى البَحْرِ أَصِيلٌ نُورُهُ زَاهِي
فَغَنَّيْنَـــا مِنَ الْفَرْحَـ ـةِ فِعْلَ السَّادِرِ اللَّاهِي

فَقَالَ الشَّيْخُ :صَهْ صَمْتًا أَلاَ قَدْ وَجَبَ الصَّمْتُ!
سَوَادَانِ يَلُوحَـــانِ بَعِيدًا ؛ إِنَّهُ الْمَوْت
لَقَدْ أَدْرَكَنَا رُخَّا نِ ما إِنْ مِنْهُمَا فَوْتُ!
صَمَتْنَا ، لَمْ تَكُنْ هَمْهَـ ـمَةٌ مِنَّا وَلاَ صَوْتُ

صَمَتْنَا كُلُّنَا نَنْظُـ ـرُ فِي خَوْف إِلى الأُفْقِ
سَوَادَانِ يَلُوحَـــانِ بَعِيدًا جِهَةَ الشَّرْقِ
وَهَدْرٌ يُشْبِهُ الرَّعْدَ وَلَمْعٌ شِبْهُ الْبَرْقِ
«أَهَاتَانِ طَخَاتَانِ ؟ » نَعَمْ يَامَعْشَرَ الْحُمْقِ[1]

طَخَاتَانِ تَسُوقَـــانِ إِلَيْكُمْ أَجَلاً تَمَّا
هُمَا رُخَّانِ . «يَاشَيْخُ أَحَقًّا مَا ، أَحَقًّا مَا[2]

---

(١) الطخاة ، السحابة الرقيقة أو الصغيرة . وفى عاميتنا فى السودان نسمى السحاب المتفرق طخا ومفرده طخاة وهذا يتجه فى الفصيح وهو المراد هنا .

(٢) نصبنا على الوجه الفصيح ولك أن ترفع . قال الآخر :

أحقاً بنى ابناء سلمى بن جندل تهددكم اياى وسط المجالس

تَقُولُ لَنَا ؟ » « نَعَمْ واللَّـهِ يَا بُؤْسَى وَيَا غَمَّا »
وَلاَحَ لَنَا جَنَاحٌ مِثْـلُ جُنْحِ اللَّيْلِ إِذْ عَمَّا

وَمِنْ خَلفُ جَنَاحَانِ مَهُولاَنِ عَظِيمَـــانِ
وَعَيْنَانِ كَنَارِ اللَّيْـلِ مِنْ بُعْدٍ تَشِعَّانِ
وَقَدْ جَاءَا بِهِدْرٍ كَـدَوِيِّ الرَّعْدِ رَنَّانِ
وَسَادَ الصَّمْتُ فِي الْمَرْكَـبِ يَا لَلْخَطَرِ الـــدَّانِي

وَجَاءَتْ فَوْقَنَا الرُّخَّـةُ فِي مِخْلَبِها صَخْرَةْ
فَأَلْقَتْهَا . فَدَارَ الشَّيْـخُ فِي دَفَّتِهِ دَوْرَةْ
فَيَا لَلشَّيْخِ مِنْ دَارٍ بِشَأْنِ الْبَحْرِ ذِي خِبْرَةْ
فَأَفْلَتْنَا وَفَارَ الْمَـــوْجُ مِنْ وَقْعَتِهَا فَوْرَةْ

وَثَارَ الْمَوْجُ . أَجْبَالٌ تَوَالَتْ إِثْرَ أَجْبَـــالِ
وَصَاحَتْ فَوْقَنَا الرُّخَّـةُ غَضْبَى ذَاتَ وَلْوَالِ
صِيَاحاً زُلْزِلَ الْمَرْكَـبُ مِنْهُ أَيَّ زِلْزَالِ
وَجَاءَ الرُّخُّ حَتَّى قَا بَلَ الْمَرْكَبَ مِنْ عَالِ

سَمَا ثُمَّ أَتَى يَهْوِى إِلَى الْمَرْكَبِ كَالسَّهْمِ
وَأَلْقَى صَخْرَةً نَكْرَا ءَ مِثْلَ التَّلِّ فِي الْحَجْمِ
وَدَارَ الشَّيْخُ إِنَّ الشَّيْـخَ بِالْبَحْرِ لَذُو عِلْمِ

وَلَكِنْ صَخْرَةٌ أُخْرَى تَخِرُّ كَكَوكَبِ الرَّجْمِ

فَيَا وَيْلاَ لَقَــدْ هَشَّـ ـمَتِ الْمَرْكَبَ تَهشِيمَا
لَقَدْ حَطَّمْتِ الدَّفَّـ ـةَ والْجَانِبَ تَحْطِيَما
لَقَدْ أَدْرَكَنَا الْمَوْتُ قَضَاءً كَانَ مَحْتُومَا
وَقُلْتُ الْوَيْلُ لِي مَالِي شَقِيَّ الْحَظِّ مَشْئُومَا

وأَمْسَكْتُ بِلَوْحٍ طَا فِياً كَانَ عَلَى الْمَاءِ
وَوَالَيْتُ لِرَبِّ الْعَرْ شِ أَسماءً بِأَسْمَاءِ
أَقُولُ أَيَا لَطِيفًا مَا لِكاً مَوْتِي وَإِبْقَائِي
أَعِــدْنِي لِأَرَى أُمِّي وَأَسْعِدْنِي بِإِنجَائِي

وَأَلْقَى اللَّيْلُ أَسْتَارَ ظَلَامٍ ذَاتَ أَهْوَالِ
وَأَمْسَيْتُ وَحِيدًا تَهْـ ـدِرُ الْأَمْوَاجُ أَحْوَالِي
عَلَى اللَّوْحَةِ وَسْطَ الْبَحْـ ـرِ فِي هَمٍّ وَأَوْجَالِ
وَجَاءَتْ مَوْجَــةٌ تُزْبِـ ـدُ تَحْتِي ذَاتُ إِعْجَالِ

فَتَعْلُو بِي وتَهْوِي بِي فَمِنْ عَالٍ إِلَى خَفْضِ
وَأَيْقَنْتُ بِأَنْ عِزْرِيـ ـلُ قَدْ جَاءَ إِلَى قَبْضِي
وَأَلْقَتْنِيَ مَنْهُــوكاً وَلَا أَدْرِي عَلَى الْأَرْضِ
لَقَدْ نَجَّانِيَ الرَّحْمٰـ ـنُ رَبُّ الْكَرَمِ الْمَحْضِ

سلامة القس*

رأى سَــلاَّمَةَ الزَّرْقاءَ يَوْمــاً   فَتىً كالقَسِّ كم صَلَّى وصاما

دَعَتْهُ إلى السَّماعِ وكان أَهلُ الْـ   ـحِجَازِ[1] لا يَرَوْنَ به أَثاما

فلَمَّا شَقَّ مَسْمَعُه غِنَــاءٌ   كأَنَّ به من النَّارِ اضطراما

دنا فأَحَسَّ فى الْعَيْنَيْنِ منْها   كمِثْلِ غِنَائِها فَصَبَا وهاما

أَلا إنَّ الغوانِىَ مُغْوِياتٌ   إذا سَدَّدْنَ أَنفَذْنَ السهاما

دَنَتْ منه بِرِفْقٍ ثُمَّ قالَتْ   أُحِبُّكَ هل ترى فى الحبِّ ذاما

فَقَالَ لها مَعَــاذَ اللهِ ، قَالَتْ :   وأَهوى مِنْكَ ضَمًّا والتزاما

فقال لها يمينًــا إنَّ قَلبِى   إلَيْكِ أَشَدُّ هَيْجاً واحتداما

---

* كانت سلامة من جوارى المدينة الحسان وأخذت الغناء عن أساطينه فى العهد الأموى وبرعت فيه وشراها يزيد بن عبد الملك ومات عنها واتهم بها ابنه الوليد . وكانت فتنة من الفتن . روى صاحب الأغانى — ٨ ص ٩ خبراً عنها طريفاً ذكر فيه أن عثمان بن حيان المرى والى المدينة ، منع الغناء بها ليطهرها من الفساد فاحتال عليه عبد الله بن أبى عتيق حتى أدخلها عليه وهى فى زى امرأة صالحة قال صاحب الأغانى : « فلما دخلت على عثمان حدثته فإذا هى من أعلم الناس بالناس وأعجب بها وحدثته عن آبائه وأمورهم ففكه لذلك . فقال لها ابن أبى عتيق اقرأى للأمير شيئاً . فقرأت له . فقال لها : احدى له . ففعلت . فكثر تعجبه : فقال : كيف لو سمعتها فى صناعتها . فلم يزل ينزله شيئاً فشيئاً حتى أمرها بالغناء . فقال لها ابن أبى عتيق : غنى غنى . فغنت :

سددن خصائص الخيم لما دخلنه   بكل لبان واضح وجبين

فغنته ، فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها إلى آخر الخبر . . . ا . هـ »

وأما القس الذى تنسب إليه فهو عبد الرحمن بن أبى عمار الجشمى أحد قراء مكة وكان يلقب بالقس لعبادته .

هذا وسيجد القارئ فى نظمنا تكراراً للقوافى ولا نرى نحو هذا إيطاء إذا كان اتصال القصة يدعو إليه — راجع باب عيوب القافية من كتابنا المرشد الجزء الأول .

(١) عند قولك الحجاز زحاف العقل . وهو تحويل مفاعلتن إلى مفاعلن فى الوافر . ولك أن تنشد : أهل المدينة أو نساك مكة .

دنَتْ مِنْهُ وَوَدَّت من جــواب ... يجيبُ به عِنَاقاً أو لِزَاما

تَرَقْرَقَ دَمْعُها ودَعَا نَجِيٌّ ... من الأَشْوَاقِ يَسْمَعُهُ بُغَاما :

هَلُمَّ إلى الحجيج إلى حطيم ... نُطِيفُ به وَيتْرُكُنَا حُطَامــا

تَكلَّمُ تَبْهَرُ الأَنفاس منها ... مَقَاطِعَها وَتَغْتَرِقُ الكلاما

لهَا لَعَسٌ تَخَلَّجَ وَهى تُرْخِي ... عَلَى العيْنَيْنِ من هُدْبٍ اثاما

إذا اشتدَّ النِّزاعُ بها تراها ... تَشُوبُ به لِتَسْتُرَهُ ابتساما

تَحَبَّسَ فهو فى الآماقِ جَمْرٌ ... وفى الخدَّيْنِ يَلْمَحُهُ غماما

فقالت ما الذى يَعْدُوكَ عَنِّ ... فقال الله أَخْشَى . ثُمَّ راما ...

رِتاجَ البابِ وابتدَرَتْ تُنَاغِي ... فَدَيتُكَ لو تُقِيمُ هنا مُقَاما[1]

أَلَحَّتْ ثم قالَتْ وهى غَضْبَى ... أَتَخْشَى الله بَلْ تَخْشَى الأَناما

ولو قد كُنْتَ تَخْشَى الله حقًّا ... عَرَفْتَ الحُبَّ مِنِّى والغرامــا

تراءتْ وهْوَ يَخْرُجُ وارْجَحَنَّتْ ... ونَطَّقَ مَشْيُها الْمَوْجَ الرُّكاما

وَتَبْسُطُ من غــلائِلِها جَنَاحاً ... وَآخَرُ من غَــدَائِرِها تَرَامى

وداعَبَتِ الســتائِر مُسْدَلاتٍ ... براحَتِها ومَضَّغَتِ السَّلاَما[2]

إذا لَمَستْ رِتَاجَ الباب أَبْدَى ... إلَيْكَ بريقُ مِعْصَمِها ابتساما[3]

---

(١) فى هذا البيت والذى قبله التضمين – وجاء فى شعر النابغة وغيره .

(٢) أى سلام التوديع .

(٣) « إذا » قد يؤتى بها للدلالة على الماضى . وفى النص القديم (طبع السودان) :

وإذ لمست رتاج الباب أبدى ... إليه بريق معصمها ابتساما

فأى الروايتين أعجبتك فخذ بها .

وأَرَّقَهُ تَذَكُّرُهــا وأَضْحَى يُراقِبُ أَن يُلِمَّ بها لِماما
وأَقْبَلَ هاجِسٌ بَيْنَ الْحَنايا يخاصِمُهُ بِحُجَّتِها خصاما
يقول له وصــار حشاهُ جَمْرًا لَعَلَّ شفاهها تَشْفِي الضِّرَاما
لَعَلَّ الصادِىَ الولهانَ يُرْوِى برُؤْياهـــا وإنْ عَفَّ الْأُواما
لها ثَغْرٌ رقيقُ الْهَمْسِ يُلْقِى إِلَيْكَ الدُّرَّ تلقُطهُ تُؤاما
وهَمَّ إلى الرجوعِ فقال صَوْتٌ من الأَعْمَاقِ دينكَ والْحَرَاما

فقال الْقَسُّ والأَضلاعُ حرَّى وخال عَفَافهُ عنها انْهِزَاما
« سَلاَمَةُ إنَّها هَمِّى ودائى وشرُّ الداءِ ما بَطَنَ العِظَاما »[1]
سَلاَمَةُ إنَّ رؤيتها شفــائى وقَدْ ذهَبَتْ وغادَرَتِ السَّقَاما
ألا إن السوادَ سوادَ قَلْبِي يَحِنُّ ولا سبيلَ إلى سَلاَما[2]
رَدَاحُ اللَّفْظِ أُنْثَى اللَّحْظِ يَحْكِى تَغَنِّيها السَّفِينَ كَبَا وقاما
وتَنْشُرُ من جلاجِلها شِرَاعاً فتَقْتَحِمُ النُّفُوس بِهِ اقتحاما
غَشَتْنِى عِنْدَها الحُمَّى وزَافَتْ إلَىَّ فكِدتُ أَلْهَمُها التهامـــا[3]
على أَنى كَبَحْتُ جِمَاحَ نَفْسِى وقد هَمَّتْ بأَنْ تَرِدَ الحراما
كَبَحْتُ جماحَها أَخْشَى عَلَيْنا وأَخْشَى أَهْلَ مَكَّةَ أَن أُلَاما[1]

---

(١) هذا من شعر القس نفسه – الأغانى ٨ – ١١ .

(٢) هذا على الترخيم كما فى قول زهير ، خذوا حظكم يا آل عكرم . والاسم ممنوع من الصرف لأنه علم مؤنث . والتخفيف فى لام سلامه اتبعنا فيه مذهب القس نفسه فى البيت المتقدم من شعره .

(٣) غشتنى على اللغة الطائية وغيرها غشيتنى .

جَذَبْتُ زمامَها إذْ كانَ وُدِّى سوى ما كان أَنْ أُرخى الزِّماما
تُحَدِّثنِى مُنَى الآمالِ عَنْها فَوَيْحَ النَّفْسِ قَدْ رامَتْ مراما
يُؤَرِّقنِى تذكُّرُها وأُضحِى أراقِبُ أَن أُلِمَّ بها لماما
ويرتاحُ الفؤادُ إلى لِقَاها ويَحْسبُ حَرْبَ لُقْياها سلاما
وأَحْسبُهُ عِفَّتِى عنها وصَبْرِى أَمَامَ الْحُبِّ جُبْناً وانهزاما

أَلا كَيْفَ السبيلُ لِقَطْفِ دَانٍ يكُونُ قِطافُهُ عارا وذاما
أَلا كَيْفَ السبيلُ وصِرْتُ أَلْقَى أمام الْوَصْلِ أَهْوَالاً جساما
وأَقْسَى العاتبين عَلَىَّ لُبِّى يُذَكِّرُنِى المُرُوءَة والذِّماما
وأَقْوَاماً إذا شَمِتُوا أَصابَتْ شماتتُهُمْ بِمُدْيَتِهَا العظاما
أَلُومُ تَقِيَّتِى فيها وأُنْحِى على رَأْيِى أُخاصِمُهُ خِصَاما
عَصَيْتُ الْحُبَّ والأَشْوَاقَ فيها وقَدْ مَلأَتْ دُجى صَدْرى أَثَاما

يَقُولُ لِى السوادُ سوادُ قلبِى تمتَّعْ قَبْلَ أَن تَلْقَى الحماما
وإِنْ تُحْجِمْ فما هُوَ من عَفَافٍ خَشَاةَ الله بل تَخْشَى الأَنَاما
ولو قد كُنْتَ تَخْشَى الله حَقَّا عَرَفْتَ الحُبَّ منها والغراما

فَزَمْجَرَ فى ضَمِيرِ النَّفْسِ قِرْنٌ كَمْوج البحر يلتطم التطاما

---

(١) لك أن تنشد : وأخشى من أذى الناس الملاما .

تَكَادُ لِهَدْرِهِ إِذ جَاشَ فيهــا ضُلوعُ الصدر تَنْفَصِمُ انفصاما
تَعَثَّر خَطْــوُهُ مِنْــهُ وكَلَّتْ قُواهُ وطرْفُهُ أَغْضَى وغاما
صَلاتَكَ فاذكرنْها والصياما وعَهْدَ اللهِ وَيْحَكَ والذِّماما

أَصاخ وقَلْبُه الْخَفَّاقُ جاشَتْ به الأَهْــواءُ تَزْدَحِمُ ازدحاما
وزَمْجَرَ فى ضَمِيرِ النَّفْسِ صَوْتٌ من الأَعماق دينَكَ والحراما
وقد شَقَّ الأَذانُ السَّمْعَ مِنْهُ يُذَكِّرُهُ العبــادَةَ والقياما
ورنَّق من كُوَى الأوهام يُبْدِى إِلَيْهِ بريقُ معصمها ابتساما
أَصاخ إِلى الأَذانِ هل اطمأَنتْ اليهِ النَّفْسُ أَن تَلْقَى أَثاما
فأَذْرى عَبْرَةً حَرَّى وأَصْغَى إِليهِ فخاله منها بُغَاما :
هَلُمَّ إِلى الحجيج إِلى حطيمٍ نُطِيفُ به ويتركُنا حُطَاما

ورَوَّعَهُ المُقيمُ وقد أَقامــا وسَلَّ اللُّبُّ من عَزْمٍ حُساما
وكادَ الخَطْوُ يَخْذُلُهُ وخَفَّتْ شئونُ الدَّمْعِ تُنْجِدُه سِجاما
ورَاعَ يَوْمٌ بَيْتَ اللهِ مِنْهُ فَتىً كالْقَسِّ كَمْ صَلَّى وصاما[1]

---

(١) راع يريع : بمعنى رجع يرجع . قال طرفة :

تريع إلى صوت المهيب وتتقى بذى خصل روعات أكلف ملبد

عمرو بن يربوع والسعلاة*

سَأَرْوِى لَكُمْ قَوْلاً قَدِيماً غَيْرَ مَوْضُوعِ
سَأَرْوِى لَكُمْ قَوْلاً صَحِيحاً غَيْرَ مَصْنُوعِ
سَأَرْوِى غَيْرَ تَلْفِيقٍ وتَزْوِيق وَتَوْشِيعِ
حَدِيثاً يُطْرِبُ الأَسْمَا عَ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَرْبُوعِ

فَتًى كانَ تَمِيمِيًّا شُجاعاً بَطَــلاً نَدْبَا
جَرِئُ الْقَلْبِ قَتَّالَ الْ عِدَا إِنْ شَهِدَ الْحَرْبَا
يُجِيدُ الطَّعْنَ بِالرُّمْحِ وَبِالصَّمصَامَةِ الضَّرْبَا
وَلاَ يَجْبُنُ إِنْ لاَقَى وَلاَ يَسْتَشْعِرُ الرُّعْبَا

فَتًى مَا جَاوَزَ الْعِشْ رينَ وَالْخَمْسَة . وُضَّاءُ
لَهُ دِرْعٌ لَهَا فِى الشَّ مْسِ أَضْوَاءٌ وَأَضْوَاءُ
وَتَعْلُو رَأْسَهُ الْخُوذَ ةُ . مِثْلُ الْمِلْحِ بَيْضَاءُ
وَمِنْ تَحْتُ حِصَانٌ كَهُ بُوبِ الرِّيحِ عَدَّاءُ

---

* أخبار السعالى والغيلان منثورة فى كتب الأدب العربى . ولعل من أطرفها قصة عمرو بن يربوع . فقد زعموا أنه لقى السعلاة وهى أنثى الغول وغلبها وقيل له إنها ستكون أمرأة صدق إن لم تدعها ترى البرق . فكان يغطى وجهها بشملة كلما خشى رؤيتها البرق . وغفل مرة عن ذلك . فلما رأت البرق حنت إلى أهلها وقالت له :

أمسك بنيك عمرو إنى آبق برق على أرض السعالى آلق

وكانت العرب تعير بنى عمرو بن يربوع أنهم بنو السعلاة .

سَرَى لَيْلاً عَلَى صَحْرا ءَ   مِثْـلِ الثَّوْبِ مَمْدُودَه
يَبَابٍ قَفْرَةٍ جَرْدَا ءَ   مَرْتٍ غَيْرِ مَحْدُودَه[1]
بِهَا مِنْ أُمَّةِ الْجِنِّ   جُمُوعٌ غَيْرُ مَعْدُودَه
وَفِيهَا كَبِدُ الرِّعْدِيـ   ـدِ إِنْ جَازَفَ مَهْرُودَه

سَرَى لَيْلاً عَلَى ظَلْمَا   ءَ لاَ تُسْلَكُ مَرْهُوبَه
وَلِلرِّيحِ دَوِيٌّ يَتْـ   ـرُكُ الْأَنْفُسَ مَرْعُوبَه
وَنَارُ الْبَرْقِ مِنْ حِينٍ   إِلَى آخَرَ مَشْبُوبَه
وَلِلْغَيْمِ سُتُورٌ خَلْـ   ـفَهَا الْأَنْجُمُ مَحْجُوبَه

وَلَكِنَّ الْفَتَى عَمْرًا   شُجَاعُ الْقَلْبِ لاَ يَخْشَى
يَرَى الْإِدْلاَجَ كَالنَّوْمِ   وَظَهْرَ الْفَرَسِ الْفَرْشَا[2]
وَقَدْ يَحْسِبُ سِتْرَ الْغَيْـ   ـمِ مِنْ جُرْأَتِهِ عَرْشَا
وَلاَ تُرْهِبُهُ الْجِنُّ   إِذَا مَا هَرَشَتْ هَرْشَا

تَغَنَّى وَهْوَ مَاضٍ مُسْـ   ـرِعٌ فِي جِهَةِ الْبَرْقِ
أَنَا عَمْرٌو وَلِي سَيْفٌ   وَرُمْحٌ غَيْرُ مُنْدَقِّ[3]
وَلاَ أَرْهَبُ أَنْ أَلْقَى   أَمَامِي أَشْجَعَ الْخَلْقِ

---

(١) يباب : خالية . مرت : قفر .
(٢) الإدلاج : سير الليل .
(٣) غير مندق : لا ينكسر .

إِذَا مَاصَعَنِي الْقِرْنُ رَأَى مِنِّيَ ذَا حِذْقٍ[1]

تغَنَّى وهْوَ لاَ يَشْعُرُ بِالْجِنِّ حَوَالَيْهِ
تَنَادَوْا وهْوَ لاَ يُبْصِرُهُمْ قُدَّامَ عَيْنَيْهِ
بِأَصْوَاتٍ لَهَا رَنَّةُ أَجْرَاس بِأُذْنَيْهِ
وَقَالُوا : وَهْ وَهَه وَيْهِي وَهَهْ وَيْهِي وَهَهْ وَيْهِي

وَمَعْنَاهَا بِلَفْظِ الْإِنْسِ هَذَا الْمَرْءُ كَذَّابُ
وَقَالَ الْجِنُّ رَبْرَابُو تَرَبْرَابُو تَرَبْرَابُو
وَمَعْنَاهَــا بِلَفْظِ الْإِنْسِ نَحْنُ الْجِنَّ أَنْجابُ
وَشُجْعَــانٌ وَفُرْسَانٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ وُثَّابُ

وقَالَ الْجِنُّ :تبْ تبْرَى ومَعْنــاها اقْتُلُوا عَمْرَا
كلُوا مِنْ لَحْمِهِ خُبْزًا وصُبُّوا دَمَهُ خَمْرَا
كَذَا قَدْ أَجْمَعُوا أَمْرًا فَيا قبحاً لَهُ أَمْرَا
ولَكِنَّ الْفَتَى عَمْرًا حَصِيفٌ لَمْ يَكُنْ غُمْرَا[2]

فَمُنْذُ اعْتَلَتِ الْأَصْوَاتُ كالْأَجْرَاسِ رَنَّانَه
تَغَنَّى مِنْ نَشِيدٍ يَذْعَرُ الْجِنَّةَ أَلْحانَه

---

(١) ما صعني : ضاربني وقاتلني .
(٢) غمر : قليل التجارب .

نَشِيدٌ كانَ قدْ أَلَّـ ـفهُ مِنْ أَهْلِ فَرْغانَه
تَقِىٌّ ناسِكٌ يَقْضِى بِذِكْرِ اللهِ أَزْمانَه

وقالَ الْجِنُّ ما مَعْنا ةُ هَذا رَجُلٌ شَرٌّ
وذِى أُنْشُودَةٌ مَشْئُو مَةٌ مَقْبُوحَةٌ نُكْرُ
سَيُفْنِينا بَها إنْ لَمْ يَدَعْ إنْشادَها عَمْرُو
أَلاَ قَدْ عَظُمَ الْخَطْبُ أَلاَ قدْ فَدَحَ الْأَمْرُ

وقالَتْ مِنْهُمُ السِّعْلاَ ةُ لاَ أَرْهَبُ ذَا اللَّحْنا
ولاَ يَقْتُلُنِى إنْ رَ جُلٌ يَوْماً بِهِ غَنَّى
وقالَ الْجِنُّ للسِّعْلاَ ةِ يَاهَذِى اصْدُقِى . إنَّا
نَرَى ذَا اللَّحْنَ مِنْ قوَّ تِهِ يَمْلَؤُنا جُبْنَا

وقالَتْ لَهُمُ السِّعْلاَ ةُ قدْ عَلَّمَنِى جَدِّى
مِنَ الْأَسْرَارِ ما أَنْجُو بهِ مِنْ بَيْنكُمْ وحْدِى
فَقالَ الْجِنُّ ذا اللَّحْنُ لَنا مُرْدٍ لَنَا مُرْدِى[1]
فَشُدِّى وَاقتُلِى عَمْرًا فَهَذِى سَاعَةُ الشَّدِّ[2]

فَقالَتْ لَيْسَ لِى بِالْحَرْ بِ يَا قوْمِىَ مِنْ عِلْم

---

(١) مرد : قاتل .
(٢) الشد : الهجوم .

ولاَ يَقْوَى عَلَى عَمْرٍو   إذا قَاتَلْتُهُ ، عَزْمِى
وإِنْ لمْ يُتبعِ الضرْبَـ   ـةَ فِى لَحْمِىَ أَوْ عظْمِى
بِأُخْرَى مِثْلِها متُّ   كَلمْحِ الْبَرْقِ يَا قوْمِى

فَقالُوا إِنَّنا مُرْدُو   كِ إِنْ لَمْ تَقْتُلِى عَمْرَا
وَقَالُوا كَيْفَ نَرْضَى أَنْ   تَعِيشِى بَعْدَنا دَهْرَا
وقِدْما عهِدتُهُمْ قَـوْ   مَ سَوْءٍ شُحِنُوا غَـدرَا
فَخَافَتْ مِنْهُمُ وامْتَـ   ـلَأَتْ مِنْ خَوْفِهِمْ ذُعْرَا

فَقالَتْ لَيْسَ لِى بُـدٌّ   ولاَ أَبْغِى ، مِنَ الْحَرْبِ
ولاَ بُدَّ مِنَ الطَّعْنَ   ولاَ بُدَّ مِنَ الضَّرْبِ
وإِنِّى ـ مَعْشَرَ الْجِنِّ ـ   فتاةٌ حُرَّةُ الْقَلْبِ
سَأَمْضِى نَحْوَ عَمْرٍو فَاتْـ   ـرُكُونِى ساعَةً صَحْبِى

وصارَتْ فِيَلةً سَوْدَا   ءَ وانْصاعَتْ إِلَى عَمْرِو
ومَدَّتْ نَحْوَهُ خُرْطُو   مَها واقْتَرَبتْ تجْرِى
تَلَقَّاها بِطَعْنٍ صا   ئِبٍ فِى ثُغْرَةِ النَّحْرِ[1]
فَخَرتْ كَبِناءٍ شا   مِخٍ هُدَّ مِنَ الْقَعْرِ

---

(١) ثغرة النحر : الحلق .

(٢) الفذة : الواحدة .

وقالَتْ : عَمْرُو أَتْبِعْ هَـ ذِهِ الطَّعْنَـةَ فى الْحِينِ

بِأُخْرَى مِثْلِها يَا عَمْ رُو فالفَذَّةُ تُؤْذِينِي [٢]

وإنْ أَتْبَعْتَها يَا عَمْ رُو أُخرَى فَهِيَ تُرْدِينِي

فَأَرْتاحُ مِنَ الْآلامِ كَلاَّ لَنْ تَغُشِّينِي

كَفَاكِ الضَّرْبَةُ الأُولَى وَبَعْدَ الضَّرْبَةِ الْمَوْتُ

وَلاَ يُنْجِيكِ مِنْهُ الْآ نَ لاَ لَوٌّ وَلاَ لَيْتُ

وَسَيْفِي حِينَ يَبْرِي الْعَظْ مَ لاَ حِسٌّ وَلاَ صَوْتُ

وَلاَ يُنْجِي عَدُوِّي حَيْـ ـثُمَا أُدرِكُه فَوْتُ

وَغَنَّى عَمْرُو خَوْفَ الْجِـ ـنِّ إنَّ الْجِنَّ أَشْرَارُ

فَفِي أَجْسادِهِمْ جَمْرٌ وَفِي أَكْبادِهِمْ نارُ

ولَوْلاَ لَحْنُهُ نالَتْـ ـهُ أَنْيابٌ وأَظْفارُ

وأَمْسَى جُثَّةً مِنْ حَوْ لِها الْجِنَّانُ سُمَّارُ [١]

وقالَتْ بَعْدَ ما خَرَّتْ ولاَ تَسْطِيعُ تَحْراكا

ضَعْنَ ثَوْبَكَ مِنْ فَوْقِـ ـيَ واضْرِبْهُ بِيُمْناكا

فَهَذَا سَوْفَ يُحْيِينِي ومِثْلَ الْبَدْرِ أَلْقاكا

فَتَاةً غَضَّةً حَسْنا ءَ تَهْوَاهـا وتَهْوَاكا

---

(١) الجنان : الجن .

أَلاَ يَا عَمْرُو رِفْقاً بِي ... وَلاَ تَقْسُ عَلَى مِثْلِي

فَما فِعْلُكَ هَذا يَا ... فَتَى يَرْبُوعَ بِالنُّبْلِ

وَلاَ تَغْضَبْ لِما أَبْصَرْ ... تَهُ يَا عَمْرُو مِنْ فِعْلِي

فَقَدْ أَرْغَمَنِي قَوْمِي ... وَقَدْ هُدِّدْتُ بِالْقَتْلِ

وَلَكِنِّي أَرَاكَ الآ ... نَ شَهْماً غَيْرَ مَخْدُوعِ

فَإِنْ أَلْبَسْتَنِي ثَوْبَ ... كَ يَا عَمْرُو بْنَ يَرْبُوعِ

وَمَسَّحْتَ بِيُمْنَاكَ ... عَلَى كَعْبِيَ أَوْ كُوعِي

تَجِدْنِي غَادَةً حَسَّا ... نَةً تَذْهَبُ بِالرُّوعِ

فَلَوْ جَرَّبْتَنِي يَا عَمْ ... رُو لَمْ تَأْسَفْ لِتَجْرِيبِي

إِذَنْ أَخْلَصْتُكَ الْوُدَّ ... صَحِيحاً غَيْرَ مَكْذُوبِ

وَصَاحَبْتُكَ فِي سَيْرِ ... ظَلاَمٍ بَعْدَ تَأْوِيبِ[1]

وَأَصْفَيْتُكَ مَا يُصْفِيـ ... ـهِ ذُو حُبٍّ لِمَحْبُوبِ

دَعَتْهُ بِكَلاَمٍ لَيِّـ ... ـنٍ لَوْ صَادَفَ الصَّخْرَا

لَشَقَّ الصَّخْرَ فَانْسَابَ ... مَعِيناً وَجَرَى نَهْرَا

وَلَوْ صَادَفَ مَرْتاً ذَا ... رِمَالٍ مُوحِشاً قَفْرَا

إِذَنْ أَلْبَسَهُ نَبْتاً ... وَحَلَّى نَبْتَهُ زَهْرَا

---

(١) التأويب : سير النهار .

دَعَتْهُ بِحَدِيثٍ صا دِقٍ لَيْسَ بِتَمْوِيهِ
وساقَتْ قوْلَها المَعْسُو لَ مِثْلَ الْماءِ تُزْجِيهِ
وبالنَّظْرَةِ مِنْ طَرْفٍ يُكِنُّ الْعَطْفَ تَرْميهِ
وباللُّطْفِ تُنـادِيهِ وبالْحُبِّ تُنـاجِيهِ

فَأَلْـقَى ثَوْبَهُ مِنْ فَوْ قِها لَيْسَ بِهَيَّابِ
وقدْ أَيْقَنَ أَنْ صِدْقٌ صَحِيحٌ غَيْر كذّابِ
دُعاهَا وبُكاها وهْ يَ فِي حُزْنٍ وتَنْحابِ
وقلْبٍ أَيِّ مَكْلُومٍ ودَمْعٍ أَيِّ سَكّابِ

ومَسَّحَ فوْقَها بِالْكَفِّ مَسْحاً لَيِّناً هَوْنا
فصارَتْ غادَةً فتّا نَةً باهِرَةً لَوْنَا
بِشَعْرٍ قدْ تَدَلَّى وا رِفاً مُسْتَرْسِلاً جَوْنَا
وتَبْغِي مِنْ فتًى يَرْبُو عَ أَنْ يُلْبِسَها صَوْنَا

وقَالَتْ يَا فتَى يَرْبُو عَ غَنِّ الآنَ لاَصَمْتَا
وَسَيْرًا مُسْرِعاً كَيْ نَقْ طَعَ الدّاوِيَّةَ الْمَرْتا[1]
وكَيْمَا نَسْبِقَ الْجِنَّ الْ أُلَى يَبْغُونَنـا بَغْتَا
بِمَوْتٍ عاجِلٍ يَا سَيِّ دِي هَيَّا بِنَا حَتَّى . . .

---

(١) الداوية : الصحراء .

... نَرَى أَرْضَ تَمِيمٍ حَيْثُ أَهْلوكَ مُقِيمُونَا
وحَيْثُ الْغِيدُ تَحْتَ النَّخْلِ بِالْأَشْعَارِ يَشْدُونَا
ويَغْدُو صِبْيَةُ الْحَيِّ رِعَـاءً ويَرُوحُونَا
أَجَلْ ، قالَ لَها عَمْرُو مَعِي سَوْفَ تَسِيرِينَا

وقالَتْ لاَ تَدَعْنِي عَمْرُو حِينَ الْفَرَسُ انْصَاعَا[١]
أَرَى الْبَرْقَ إِذَا لاَحَ عَلَى الآفَاقِ لَمَّاعَا
فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ الْبَرْقَ يَكْسُو الكَوْنَ إِشْعَاعَا
تَذَكَّرْتُ بَنِي الْجِنِّ فَذَابَ الْقَلْبُ مُلْتَاعَا[٢]

تَذَكَّرْتُ دِيَارَ الْجِنِّ والعِتْرَةَ والصَّحْبَا
وأَبَّ الْقَلْبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَوْطَانِه أَبَّا[٣]
وفارَقتُكَ . فَاجْعَلْ فوْقَ وجْهِي أَبَدًا ثَوْبَا
إِذَا ما لَمَحَ الْبَـارِقُ شَرْقًا كانَ أَوْ غَرْبَا

وَسارَا سَيْرَ جِدٍّ يَطْوِيانِ الْبِيدَ فَالْبِيدَا
إِلَى أَنْ أَشْرَقَ الصُّبْحُ علَى كُثْبَانِ يَمْثُودَا[٤]
دِيَارٌ مِنْ تَمِيمٍ تُنْبِتُ العِزَّةَ والْجُودَا
لَقَدْ كانَ فَتَى يَرْبُوعَ شَهْمَ الْقَلْبِ صِنْدِيدا

---

(١) المرت : القفرة الخالية .
(٢) ملتاعاً : محزوناً .
(٣) أب : حن .
(٤) يمثود : اسم موضع .

وإِذْ عَاشَرَ بِنْتَ الْجِنِّ أَلْفَى حُبَّها جَمًّا
وأَلْفَى عِنْدَهَا حَزْماً وأَلْفَى عِنْدَها عَزْما
وتَدْبِيرًا ، وتَرْضَى بِالَّذِى يُحْضِرُهُ قِسْما
فَما أَرْأَمَها زَوْجاً وما أَرْأَفها أُمَّا

وقدْ كان بِهَا عَمْرُو بنُ يَرْبُوع أَخَا لُطْفِ
يُوَاتِيهَا بِمَحْضِ البِرِّ والرِّقةِ والعطْفِ
فَلاَ يَلْذَعُ بِالْقَوْلِ ولا يَضْرِبُ بِالْكَفِّ
ولا تَسْمَعُ مِنْهُ قَطُّ إِنْ عاتَبَها أُفِّ

وَإِنْ لاَحَ ضِيَاءُ الْبَرْقِ غَطَّاهَا بِأَثْوَابِ
حِذارًا أَنْ يَهِيجَ الْبَرْقُ نَارًا ذاتَ إِلْهابِ
مِنَ التَّحْنانِ والشَّوْقِ إِلَى أَهْلٍ وَأَصْحابِ
مِنَ الجِنَّانِ بِالصَّحْرَاءِ والوِدْيَانِ والْغابِ

ويَومًا شامَتِ السِّعْلاةُ بَرْقاً لاحَ فِى الدَّجن[1]
وعَمْرُو نائِمٌ مِنْ سَفَرٍ أَتْعَبَهُ مُضْنِ
وكانَ الأُفْقُ جَوْنًا قَاتِمًا بِالسُّحْبِ الدُّكْنِ[2]
وعَمْرُو نائِمٌ يا لَكَ مِنْ نَحْسٍ ومِنْ غَبْنِ

(١) شامت : رأت . الدجن : السحاب
(٢) جونا : أسود .

وإِذْ أَبْصَرَتِ الْبارِ ... قَ فى أَدْكَنٍ سَحَّاحِ[1]
بَكَتْ مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ ... وقَالَتْ عَمْرُو يا صاحِ
أَلاَ ترْنُو لِبَرْقٍ لاَ ... حَ صَوْبَ الشَّرْقِ لَمَّاحِ
يَهِيجُ الْبَرْقُ أَحْزَانِى ... ويَمْحُو كُلَّ أَفْـرَاحِى

يَزِيدُ الْبَرْقُ آلاَمِى ... ويُذْكِى نارَ أَحْزانِى
ويَدْعُـونِى بِإِلْحاحٍ ... إِلَى أَهْلِى وأَوطانِى
ولاَ أَسْطِيعُ يا عَمْرُو ... سِوى السَّيْرِ بِأَذْعانِ
لِأَمْرِ الْجِنِّ إِذْ بَرْقُهُمْ ... يُحْرِقُ وجْـدَانِى

بُنَيَّـاتِى وأَوْلادى ... بِهِمْ يا عَمْرُو كُنْ بَرًّا
فلنْ تُبْصِرَنِى يا عَمْ ... رُو زَوْجِى مَرَّةً أُخْرَى
لِماذَا لمْ تَضَعْ ثَوْ ... بَكَ يَا عَمْراهُ يا عَمْرا
فقَدْ حانَ فِرَاقٌ يا ... لَها داهِيةً كُبرَى

بكى عَمْرٌو وطَارَتْ زَوْ ... جُهُ السِّعْلاَةُ سَباحَه
وطارتْ نَحْوَ لَمْعِ الْبَرْ ... قِ والْأَدْمُعُ سَحَّاحَه[2]
إِلَى حَيْثُ بَنُو الْجِنِّ ... لدَى الصَّحْرَاءِ نَبَّاحَه

---

(١) الأدكن السحاح : هو السحاب الشديد المطر . وهذه الأبيات تنظر إلى حائية ابن هرمة التى يقول فيها :
كأن العازف الجنى أو أصوات أنواح ... على أرجائه القصوى تهديها بمصباح

(٢) سحاحة : صبابة .

وحَحْ واحَه وحَحْ واحَــه   وحَحْ واحَه وحَحْ واحَه

ومَعْناها لَقَدْ عادَتْ   فتاةٌ قدْ فقَدْنَاهَا
وكانَتْ قبْلُ نَجَّتْنا   فلَنْ نَكْفُرَ جَدْواهَا
فَشُكْرًا لِإلٰهِ الْخَلْـ   ـقِ إذْ أَنَّا وجَدْناهَا
ولَنْ نَعْرِضَ بَعْدَ اليَوْ   مِ لِلْإِنْسِ بِمَسْرَاهَا

خاتمة

فرغنا بحمد الله من جمع هذه الاختيارات فى السابع عشر من شهر رمضان المعظم من سنة ١٣٧٨ هـ . وقد جرَّدناها من هجاءِ الأَشخاص ومن ليِّن الأَشعار لكى لا يجتمع ذلك فى موضع واحد مع مدح الرسول .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلف
عبد الله الطيب

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠

